

٢١٢,٩٥
٥٨٢

الجامعة الإسلامية
المدينة المنورة
مكتبة الدراسات العليا
الرقم الخاص
١٤٣
الرقم العام

المملكة العربية السعودية
جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة قسم الدراسات العليا
بمكة المكرمة

((الحافظ ابن عبد البر النمرى محدثا))
رسالة ماجستير في فرع الكتاب والسنة

(مقدمة من)
الطالب الطاهر بن الصادق الأنصاري

بإشراف
الأستاذ الدكتور عبد العظيم أحمد الفياشي

عام
١٣٩٦ - ١٣٩٧ هـ
١٩٧٦ - ١٩٧٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

(كلمة الشكر والتقدير)

وقبل كل شيء أشكر الله الذى لا اله الا هو والذى لا تتم الصالحات الا بتوفيق منه ، ثم بعد ذلك لا يسمنى وأنا على وشك من فراغى من كتابة هذه الرسالة ، لا يسمنى والحالة هذه الا أن أسجل شكرى العميق لأناس كانوا ساعدى الأيمن بعد الله فى تحضير هذه الرسالة . وأولى من يستحق منى جزيل الشكر والعرفان من أولئك : هم القائمون على جامعة الملك عبدالمعز شرفها الله لما بذلوه لنا من الرعاية العالية المشكورة ، فجزاهم الله عنا أفضل الجزاء وعلى رأسهم الشاب المؤمن عميد كلية الشريعة الدكتور راشد راجح ثم كان أولى الناس بشكرى بعد ذلك : صاحب السماحة الأستاذ الدكتور عبدالمعظم احمد النباشى المشرف على هذه الرسالة فجزاه الله خيرا الجزاء فقد كان مخلصا فى اشرافه ، وسخيا بكثير من وقته ولو كانت أعماله الخاصة متراكمة .

وكما أشكر القائمين على مكتبة الحرم المكى ، أولئك الكرام ، الذين بذلوا لنا الطريق بعد الله ، وخدمونا من غير جمل منا ، ولكن جعلهم على الله الذى يتفضل على المتقين بأكرم ما قدموا .

وفى ختام شكرى لهؤلاء لا يسمنى الا أن أقدم أعق شكرى لأولئك الاخوة فى الحقيقة لكل باحث - وأعنى أصحاب المكتبات الخاصة - ويستحق شكرى وتقديرى من هؤلاء قبل كل أحد ، أصحاب الفضيلة : أخى الفاضل الشيخ محمد المختار الصادق الانصارى ، والشيخ محمد حسن الهاشمى ، والشيخ محمد احمد التنبكى ، فقد فتح هؤلاء مكاتبهم الخاصة أمامى ، آخذ منها ما شئت ، وأدع ، فلهم منى أسى آيات الشكر والعرفان .

مقدمة هذا البحث

وهي قد اشتملت على النقاط التالية :

- ١ - سبب اختياري لهذا الموضوع .
- ٢ - بيان لبعض الصعاب التي واجهتني في تحضير هذه الرسالة .
- ٣ - بيان للاصطلاحات الخاصة بي التي استعملتها في هذه الرسالة .

١ - سبب اختياري لهذا الموضوع :

لا شك أن لذكر مجرد اسم الأندلس في نفوس المسلمين عامة جروحا تصعب دما ، تلك الجزيرة الخضراء التي سحرت ألباب الأذهان ، والتي وصفت بأنها الفردوس المفقود .^١ والتي وصلت إليها شمس الاسلام - الوضوء في أواخر المائة الأولى من الهجرة ، وعلى التحديد في السنة الثانية والتسعين من الهجرة .^٢ عندما فتحها طارق بن زياد مولسي

(١) انظر : نفح الطيب للمقري ١ : ١٢٦ قال ناقلا عن لسان الدين ابن الخطيب في وصف تلك الجزيرة :
خص الله تعالى بلاد الأندلس من الربيع وغدق السقيا ، ولذا ذلة الأوقات وفراة الحيوان ودير الفواكه ، وكثرة المياه ، وتبحر العمران ، وجودة اللباس ، وشرف الآنية ، وكثرة السلاح ، وصحة الهواء ، وبيضاض ألوان الانسان ، ونيل الأذهان ، وقبول الصنائع ، وشهامة الطبايع ، ونفوس الادراك ، واحكام التمدين والاعتبار ، بما حرمه الكثير من الأقطار مسا سواها .

(٢) انظر : نفح الطيب للمقري طبعة احسان عباس ١ : ٢٣١ ، وزاد أن ذلك الفتح كان يوم الاثنين لخمس خلون من رجب .
وانظر أيضا : القصد والأثم لابن عبد البر ٣٤ ، وتاريخ التمدين الاسلامي لجرجي زيدان ١ : ٩٨ .

موسى بن نصير الذى كان على رأس جنود المسلمين الموجهة الى المغرب آنذاك
فى زمن الوليد بن عبد الملك الأموى .

لقد فتحها المسلمون يومئذ فأقاموا فيها الحضارة المشهودة ، والتسى
دامت ٧٨١ سنة "١" . وقد أقامت فى أغلب تلك المدة الطويلة العدل وأرهبت
الاعداء ، وحملتهم على دفع الجزية ، واضطرتهم الى التقرب لسلطين المسلمين
هنالك "٢" .

قلت : هذا هو حضارة الأندلس من ناحية العدل وقوة الجانب ، وأما
من ناحية ما أسدته هذه الحضارة للإنسانية من فنون المعرفة والآداب فعن ذلك
حدث ولا حرج .

فقد ساهم الأندلسيون فى كل الفنون ، وتقدموا على من سواهم فى تلك
الحقبة من الزمن "٣" فكان منهم المفسرون الكبار "٤" كما كان من بينهم
المحدثون الذين بلغوا الذروة فى علم الحديث النبوى على صاحبه أفضل الصلاة

-
- (١) تاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان ١ : ١٠٠ .
 - (٢) نفع الطيب للمقرى طبعة احسان عباس ١ : ٣٥٤ ، و ٣٥٥ ، و ٣٦٣ ،
و ٣٦٤ و ٣٦٥ - ٣٦٦ وأعلام الاسلام المنصور بن أبى عامر
لعلى بن أدهم ، ٩٧ .
 - (٣) انظر : مواقف حاسمة لمحمد عبد الله عنان ٣١٢ - ٣١٣ ،
والاسلام فى اسبانيا للدكتور لطفى عبد البديع ٣٩ ، وأصول
التاريخ الأيوبى الحديث ، تأليف هربرت ترجمة الدكتور احمد
عبد الرحيم مصطفى ٧٥ ، وتاريخ المغرب فى القرن العشرين تأليف
روم لاندو . ترجمة الدكتور نقولا زياده ٢٠٤ ، فقد ذكر هذا مامعناه :
ان انجلاء المسلمين عن الأندلس قد سبب فيها الفقر ، والدمار .
 - (٤) أمثال أبى بكر بن العريشى صاحب أحكام القرآن ، والقرطبى صاحب
التفسير الكبير .

وأزكى التسليم "١" والفقهاء "٢" واللغويون والشعراء "٣".

وكما نبع في تلك البقاع في أثناء حكم الاسلام هنالك كثير من علماء الاقتصاد - المزارعين والصناع "٤". ووجد أهل الفلسفة من أصحاب الهيئة وعلم النجوم "٥" ووجد في حضارة الأندلس أغلب الصنائع والحرف التي يظنها كثير من جهال المسلمين اليوم حدثت بفكرة من الغرب الافرنج وحدهم ، وان من عداهم لا يمكن أن ي اخترعها .

قلت : هذا هو الأندلس كما كنا نسمع من آبائنا وعلماؤنا الناطقين بالأمانة العلمية الواجب اتباعها ، فلما كان الأمر كذلك ، وكانت طبيعة نشأى عسدم معرفتى بالتاريخ الأندلسى الا ما سبقت الاشارة اليه من كلام بعض علمائنا عنه ، وصادف ذلك كله سماعى لكثير مما يذكر عن الأندلس فى هذه الايام من أنها كانت فى تلك العصور منبع اللهو ، والغناء ، والطرب ، ومنشأ الخمر والخمارين وغير ذلك من الأوصاف التى يطلقها أصحاب الأغراض الفاسدة ، على تلك الجزيرة التى أسدت للإسلام والمسلمين من الخدمة ما لا يجوز الاستهانة به . "٦"

-
- (١) كبرى بن مخلد ، وابن الفرضى ، وابن وضاح ، وابن عبد البر
 - (٢) أمثال : ابن رشد صاحب بداية المجتهد ، والقاضى عياض
 - (٣) أمثال : محمد بن الحسين التبريزى معلم هشام بن الحكم ، وابن عبد ربه صاحب العقد الفريد ، وأبو الوليد احمد بن زيدون ، انظر : تاريخ العرب فى اسبانيا جمهورية بنى جهور ، للدكتور خالد الصوفى ١٢٤ .
 - (٤) كالنفاقى القرطبى صاحب " كتاب الادوية المفردة " وابن العوام الاشبلى .
 - (٥) انظر : نفح الطيب للمقرى طبعة احسان عباس ١ : ٤٥٧ ، و ٤٥٩ ، و ٤٦٠ ، والاسلام فى اسبانيا للدكتور لطفى عبد البديع ٤٦ - ٤٨ ، وتاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان ١ : ١٠١ .
 - (٦) انظر : مواقف حاسمة فى التاريخ الاسلامى لمحمد عبد الله عنان ٣٣٤ . وتاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان ١ : ١٠٠ - ١٠١ .

وعلمت أن تلك الأوصاف الخبيثة لم يكن ليطلقها على الأندلس في عصور
حكم الاسلام فيها ، الا المستشرقون اعداء الله ، واذنابهم ، كما اوضح لي أن
قصدهم الوحيد من اشاعة تلك الأوصاف عن الأندلس المسلمة هو :

أولا : لئلا يهتم المسلمون بتاريخ ذلك البلد الطيب ، ووثقوا صلتهم بتاريخه
النفيد .

وثانيا : أنهم يقصدون من وراء اشاعتهم لتلك العناكر عن الأندلس تسهيلها على
نفوس الشباب حيث أنهم يرمزون دائما الى كل ما فيه اشاعة العناكر وكثرتها
في شعوبنا المسلمة .

وثالث : يرمزون من وراء تلك الاشاعات الكاذبة عن الأندلس : الى اسدال الستار
ما استطاعوا على حضارة الأندلس ، وما أسدته للانسانية أيام حكمهم
المسلمين " ١ " لكي ينسبوا تلك الحضارة كلها الى الافرنج ، حتى
يكونوا في عيون الناس هم المبتكرون لذلك أولا ، والسابقون الى الحضارة
الحديثة قبل كل شيء " ، فيكون لهم الفضل لذلك الابتكار وذلك السبق .

رابعا : يقصدون من اشاعة تلك الكبائر عن الأندلس الى زيادة الستر للتراث الديني
الذي خلفه الأندلسيون حتى لا ينكشفوا ، ويتضح كذبهم عن الأندلس
والاندلسيين .

فلما رأيت ذلك التناقض بين ما يرويه علماءنا ، وآباؤنا عن الأندلس فسي
ظل الاسلام ، وبين ما يذكره عنه اعداء المسلمين ، وأعداء حضارتهم ، وصادف
ذلك رغبة شديدة لدي في الاطلاع على تلك الكنوز الأندلسية الموصوفة بأربع الصفات
ورغبة أكيدة مني في الاستزادة من العلم النافع .

قلت : لما رأيت ذلك كله ، ووقعت لي تلك الرغبة ، حملني ذلك كله على :

(١) مواقف حاسمة لمحمد عبد الله عنان ٢٢٦ ، وتاريخ العرب في اسبانيا -
جمهورية بنى جهور ، للدكتور خالد الصوفي ١٢٤ ، والاسلام فسي
اسبانيا للدكتور لطفى عبد البديع ٣٩ ، وما بعده ، وأصول التاريخ
الأوربي الحديث ٢٣١ .

اختياري لهذا الموضوع ، وخاصة عندما شجعتني بعض أساتذتي على المضى فيه
وذكر لي أن هذا من الموضوعات الجديدة بالبحث ، حيث أنه لم يسبق أن بحث
كما ينبغي .

فاخترت هذا الموضوع : لبيان ما هو الحق فيط يتعلق بالانڈلس
والانڈلسيين إبان حكم الاسلام هناك ، ولبيان للعالمين ما حاول أعداء
الاسلام اخفائه من كتوز التاريخ الانڈلسي "١" التي ينبغي في نظري اظهارها
قدر الطاقة "٢" حيث أنها قد حوت من فنون المعرفة ما يجعل المتهمين للاسلام
والمسلمين بالتأخير ينزعون عن أنفسهم تلك الاتهامات البغيضة ، التي أورثها
المستعمرون وخلفوها فيمن بعدهم ، ولكي تتحقق لي رغبتى في الاستزادة من
المعارف النفيدة .

٢ - الصعاب التي واجهتني في تحضير هذه الرسالة :

لقد أخذت أهيتي لتحضير رسالتى هذه منذ اخترت موضوعها ، وما ان
بدأت أبحث عن المراجع الأصلية في بحثى هذا حتى ظهرت أمامى صعاب لم أكن
أتوقعها في الواقع ، وهى تتمثل فى :

أولاً : ندرة كتب الانڈلس عموماً فى المكاتب ، فقد عمل أعداء الاسلام المتغلبون
على حضارة الانڈلس ، على نقل ما خلفته تلك الحضارة من الكتب السسى
بلادهم ، ونسبته فى كثير من الأحيان الى أنفسهم ، وحاولوا بقدر
الامكان منع المسلمين من الاتصال بذلك التراث ، وكما ساعدهم على ذلك
تأخر المسلمين فى العصور السابقة ، فلم تحظ هذه الكتب - الانڈلسية -
بعناية القائمين على العلم ، الا فى الايام الأخيرة .

(١) انظر : تاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان ١ : ١٠٠ - ١٠١ ،
و ٤ : ٢٢٤ ، وأعلام الاسلام المنصور ابن ابى عامر لعلى بن أدهم
٨٠ - ٨١ - و ٩٧ ، وتاريخ المغرب فى القرن العشرين تأليف روم لاندو
ترجمة الدكتور نقولا زيادة ٢٠٤ .

(٢) راجع مقدمة كتاب المغرب فى طلى المغرب لابن سعيد ، المقدمة
لشوقى ضيف .

فمن هذا الواقع المروّجت القاشمين على أغلب المكاتب لا وجود
لشيء من هذا التراث لديهم ، ولا يعلمون عنه شيئا ، وكان من يسألهم
عن كتب معينة من تراث الأندلس انسان يطلب معدوما ، أو يتكلم بالغاز
لا تفهم عنه ، وخيرهم ردا من يقول لك : اذهب الى مكتبة فلان فانها
هى التى تعنى بالواد .

ويعلم الله الى أى حد كان يبلغه منى الحزن عندما أجد أكثر مكاتبنا
تخلو من هذا التراث ، ولكنى كنت حريصا على المضى فى بحثى هذا ،
فجعلت اتصل بأصحاب المكاتب الخاصة ، فوجدت ولله الحمد عند الأفراد
منهم كثيرا من بغيتى ، وذلك ما خفف عنى أكثر آلامى وأحزاني .

ثانيا : قلة طبع كتب الأندلس :

الواقع أنى كنت أتوقع أن المطابع الحديثة قد اكتشف أصحابها الكثير
من تراث الأندلس ، وقاموا بطبعه فعلا ، لظهارا لطافيه من المزايا الثمينة
ولكى تعم به الفائدة ، ولكن الواقع كان غير ذلك ، إذ أن أكثر المطابع
قد غفلت عن طبع حضارة الأندلس ، اللهم الا اليسير فى الأيام الأخيرة .
ولم يكن ذلك الطبع قد انتشر فى الأسواق ، الانتشار المطلوب .

وقد كان الدكتور شوقى ضيف محقق كتاب المغرب فى حلى المغرب
لابن سعيد قد انتبه لهذا قبلى ، فقال فى مقدمة الطبعة الأولى من ذلك
الكتاب مانصه : " وما أشك فى أن هذا النص سيدفع المؤرخين للشعور
الأندلسى دفعا الى أن يعيدوا النظر فى تاريخها ، وما نشره من أحكام
فيه ، فيعدلوا فى هذه الأحكام تارة ، وبلغوها ، ويثبتوا موضعها أحكاما
جديدة تارة أخرى ، " قال : " ومعنى ذلك أنه يحمل كثيرا من
الحقائق الأدبية التى كنا نجهلها عن الأندلسيين ، وحياتهم الفنية ،
وما أكثر ما نجهله عنهم ، ومن أجل ذلك تشتد الحاجة الى أن تنشر
كتبهم ، وآثارهم ، قال : " ولا يختلف اثنان فى أن ما نشر عن الأندلس
لا يزال قليلا ، وأن نشر أى نص جديد يسد فراغا كبيرا ، لما يزيحه من
معان ، وخصائص أدبية ، ولما تغتفر اليه المؤلفات ، والمصنفات المنشورة

من نصوص أخرى تسندها ، وتقوم ما فيها من خلل ، ونقص " ١ "
الى أن قال في موضع آخر ، يزيد فيه تأكيد الحاجة الى نشر هذا القسم
من تاريخنا الاسلامي ، قال : " وكثير من هذه التراجم كان مجهولا
وكثير منها كان المعروف عنه قليلا ، وكثير أضيفت اليه أخبار ، وأشعار
جديدة " . " ٢ " . . . الى أن قال شوقي ضيف : " ونحن نعترف
أن تاريخ الشعرا الأندلسي لا يزال غامضا في كثير من جوانبه ، لقلة
ما نشر من الكتب التي عاصرت ، ووصفت ، ولقلة الدواوين التي بقيت منه ،
فأكثر ما كان من ذلك سقط من يد الزمن " .

قال : ومن أجل ذلك يعد نشر أى نص جديد فيه شيئا بالغ
الخطر " ٣ "

قلت : إذا كان هذا الكلام حقيقة وواقعا فيما يتعلق بالأدب ،
والشعر اللذين يضمنان في الغالب كثيرا من الأمور التي يحبها عاشقوا
الفساد ، مما يجعلهم يسعون في طبعها لنشرها بين الناس ، فطوباك
بما يتعلق بالعلوم الدينية عموما مما خلفه علماء الأندلس فإنها قد كان
حظ أكثرها النفاذ ، والذهاب ، فقد اعدم أغلبها عنادا ، وانتقاما
من المسلمين " ٤ " ثم كان حظ الباقي منها أن صارت له مكاتب الأعداء

-
- (١) انظر : مقدمة شوقي ضيف لكتاب المغرب في حلى المغرب لابن سعيد .
 - (٢) نفس المصدر السابق ١ : ١٧ .
 - (٣) مقدمة كتاب المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ، المقدمة لشوقي ضيف
١ : ١٧ .
 - (٤) انظر : مواقف حاسمة لمحمد عبد الله عنان ٣٢٦ ، قال : فلما سقطت
دولة الاسلام في اسبانيا بسقوط غرناطة معقله الأخير سنة ١٤٩٢ م -
انهارت دعائم هذا الصرح الفكري الجليل ، ولم تضر أعوام أخرى حتى
ارتكبت اسبانيا النصرانية جريمتها الشائنة بتدمير تراث التفكير الاسلامي
ففي سنة ١٤٩٩ م أمر الكردينال خفيس مطران : طليطلة بجمع جميع
الكتب ، والآثار العربية ، ومنها كثير من المصاحف البديعة الزخرف
وآلاف مؤلفة من كتب الآداب ، والعلوم . واحتفل باحراقها ، بعمل من
أعمال الايمان ، - حسب ظنه السي - قال : " ولم يستثن منها الا
ثلاثمائة من كتب الطب وهبت لجامعة الكال (أى القلعة) . وهلمك

مقابر "١" الا ماشاء الله منه ، نسأل الله جلّت قدرته أن يرينا اليوم
الذى تستخرج فيه جميع كتب أمّتنا من مكاتب الأعداء لتعود اليّنا ،
للاستفادة منها .

وثالثا : صعوبات نشأت لي أثناء بحثي عما يتعلق بالحافظ ابن عبد البر من
تعريف به ، أو ثناء ، أو غير ذلك ، ومنشأ ذلك أن الحافظ قد اشتهر
عند معظم المؤلفين بإضافته الى جده عبد البر "٢" ، كما اشتهر في
نفس الوقت عند الكثيرين بكنيته أبي عمر "٣" ، وذلك علاوة على اشتهاره
باسمه الصريح : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر . فكنت لا أبحث
عما يتعلق به غالبا في كتاب الا وبدأت فيه بالبحث عن ييوسف

-
- في تلك المحنة معظم تراث الأندلس الفكرى . ثم قال : ومختلف -
المؤرخون في تقدير عدد المخطوطات العربية التي ذهبت فريسة هذه
الجريمة الشائنة : فيقدرها بعضهم بأكثر من مليون . ولكن كونسدي
يقدرها بثمانين الفا . قال : وتقديره أرجح وأقرب
قلت : هكذا ملل محمد عبد الله عنان الى ترجيح مقاله كونسدي ، ولكن
الذى يبدو أن من قال : بالعدد الكثير هو الذى وافق الصواب ،
وذلك لأن الأندلسيين قد تمايقوا في أيام الاسلام في اقتناء الكتب
فعمروا المكاتب العامة والخاصة ، واشتروا الكتب من كل مكان فلا يستغرب
ولا يستبعد أن تصل مكاتب الأندلس في تلك الأيام الى ملايين الكتب ،
فقد علم من الأمراء بالاندلس التسابق الكبير في جمع كتب الدنيا في ذلك
الوقت ، وكذلك العلماء وطلبة العلم لم يكن لهم غرض في ذلك الوقت
مثل جمع الكتب واقتنائها .
- (١) انظر : مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام لمحمد عبد الله عنان ٢٥٠ وراجع
أيضا في ٣٣٥ - ٣٣٦ ، فقد ذكر هناك أسما كثير من الكتب التي لازالت
هنالك في مكتبة الاسكوريال باسبانيا .
- (٢) وذلك كثير عند المغاربة والاندلسيين ، راجع نفح الطيب ج ١ : ٥٩٧ ،
والرسالة المستطرفة للكتاني ٤٥ .
- (٣) وخاصة عند مؤرخي الشرق ، راجع : البداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ١٠٤
ومرآة الجنان لليافعى ٣ : ٨٩ والفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية
٥ : ٨٦ - ٨٧ .

لكى أظفر به ، فاذا لم أجده من بينهم ، انتقل فورا الى من يكون أبا عمر
لعلى أجده من بينهم ضالتي ، فان لم أجده هناك ، أبحث عن أضيفوا الى
آبائهم ، وأجدادهم ، فاذا بحثت هنا أخيرا ولم أجده اقتنع بعدم وجود
الحافظ ابن عبد البر فى ذلك الكتاب ، أما قبل البحث عن كل ما اشتهر به
فلا يمكن أن اقتنع بعدم وجوده . فكنت القى من هذا التعدد مشقة كبرى
حيث انى كنت أطلع فى مجلدات عدة من كتاب واحد لكى أظفر بهذا الرجل ،
وكل شئ يتعلق به ، وقد يكون بعض تلك الكتب التى أبحثها ناقصا ، فأبحث
فى الموجود منها ، ثم أظل مواصلا الفحص عن الباقي من ذلك الكتاب . اذ لعله
هو الذى يضم ترجمة المبحوث عنه .

الى غير ذلك من مصاعب واجهت لا يخلو منها البشر غالبا ، اذ هسى
عبارة عن تحقيقات جارية على سنن الخلق لاهد منها ، وقد كان الكرام العاملون
فى جامعة الملك عبد العزيز وعلى رأسهم الشاب المؤمن من عميد كلية الشريعة الدكتور
راشد راجح الشريف حفظه الله وسدد خطاه آمين ، كانوا عضدى الايمن بعد
الله ، وهذلى تلك الصعاب التى تعترض أمانى .

٣ - " بيان لبعض الاصطلاحات الخاصة بي ، والتى استعملتها فى هذه الرسالة "

والواقع أنى قد حاولت أن اجتب فى هذه الرسالة ، كلما يدعو الى
الغموض ، أو الالتباس ، من اللفاظ التى لم تكن مشهورة ، كل الشهرة ،
ولم استعمل فيها اصطلاحا خاصا بى الا عندما يضطررنى الحال الى النقل
من كتاب ما ، فى طبعتين مختلفتين ، فاننى عند ذلك أسجل ما يفسق
به مراجع هذه الرسالة بين الثقلين ، بحيث لا يتردد فى ذلك بحول الله .

وفى الحقيقة أنى لم يحوجنى بحثى هذا الى أن أنقل من كتاب أيا كان
فى طبعتين مختلفتين ، أو فى طبعة ومخطوطة ، اللهم الا فى ثلاثة كتب
لا رابع لها :

أولها : كتاب التمهيد للحافظ ابن عبد البر :

فهذا الكتاب ، قد استعملت فى رسالتى الأجزاء الثلاثة الأولى منه ،

الطبعة بالمغرب العربي بالرباط ، والنقل منها أي هذه الأجزاء الثلاثة بدون تقييد الا بالجزء كالجزء الأول مثلا ، ثم عثرت للتمهيد على جزء كبير من جملة المخطوط الذي لم يطبع حتى الآن ، ووجدته في مكتبة السعودية بالرياض ، وكما نقلت منه شيئا فاني أقيد ذلك النقل بالاضافة الى نسخة مكتبة السعودية بالرياض ، ثم وجدت للتمهيد جزءا آخر مخطوطا بمكتبة الحرم المدني بالمدينة المنورة ، وهو غير الموجود بالرياض وغير الأجزاء المطبوعة بالمغرب ، وقد قيدت المنقول منه بالاضافة الى مكتبة الحرم بالمدينة المنورة.

وثاني الكتب التي نقلت في طبعتين لها :

هو كتاب جذوة المقتبس في رجال الأندلس ، لآيى عبد الله الحميدى فهذا الكتاب اضطررتى الحال الى أن استعمل نسختين منه مختلفتى الطبعة :

أولهما : بالطبعة التابعة لمكتبة نشر الثقافة الاسلامية ، لمؤسسه السيد عزت العطار الحسنى ، فهذه الطبعة كلما نقلت منها شيئا فاني أتركه بدون تقييد ، فلم أزد على قولى مثلا : راجع جذوة المقتبس

وثاني النسختين من جذوة المقتبس : هي النسخة التي نشرتها الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٤٦ م ، وقد قيدت النقل من هذه النسخة للفرق بين المنقول منها وبين المنقول من النسخة السابقة : بقولى : راجع جذوة المقتبس الطبعة الجديدة .

وثالث الكتب التي اضطررتى الحال الى أن نقلت في طبعتين مختلفتين لها :

هو كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للمقرئ ، وقد استعملت نسختين من هذا الكتاب مختلفتى الطبعة :
الأولى : منها بطبعة السعادة ، الطبعة الأولى بمصر ، وكل شئ نقلته من هذه النسخة تركته بدون قيد الا بالجزء كالجزء الأول

مثلا ، أو الثاني الخ .

وثاني : النسختين من النفح هي : التي كانت بتحقيق الدكتور احسان عباس ، نشر دار صادر للطباعة والنشر ببيروت ، فهذه النسخة من النفح قد قيدت المنقول منها بقولى : " انظر : طبعة

احسان عباس ، ومعض المواضع اكتفى بقولي : راجع نفع الطيب ح - ع عبارة
عن احسان عباس

وأخيرا هذا ما وجب بيانه خشية التباسه ، وأما بقية المواضع ، والكتب
المستعملة في هذه الرسالة فموضحة ان شاء الله باجزائها ، وطبعاتها
ولم أدع فيها غموضا ولا اختلافا حسب علمي . والله أسأل أن يمدد نسي ،
ويجعل علمي وعلمي خالصين لوجهه الكريم آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

وهو يشتمل على قسمين :

- ١ — الحالة السياسية بالأندلس • زمن ابن عبد البر •
 - ٢ — الحالة العلمية في زمنه أيضا • بالأندلس •
-

١ - الحالة السياسية

لا مناص من أن نلم العامة يسيرة بالفترة التاريخية التي سبقت الفترة التي عاشر فيها الحافظ بن عبد البر ، وهي التي تبدأ بحكم الامام عبد الرحمن الناصر لدين الله "١" . وقد استخلف يوم مات جده عبد الله سنة ٣٠٠ هـ وله من العمر ٢٢ سنة ، وكانت ولايته من المستطرف ، لأنه تولى الخلافة بالأندلس ، وأعلمه وأعلم أبيه حاضرون ، ولم يتكر أحد منهم ذلك ، ولا غيرهم "٣" وذلك لأن جده عبد الله كان يخصه بما لم يخص به أحدا من أبنائه ، ويوشحه في كثير من الأحيان لمهام الأمور .

بل ربما أقعده في بعض الأيام والأعياد في مجلسه الخاص به ، لتسليم الجنود عليه بدلا منه ، فصار ذلك سبب صحة الناس له فعلقوا به آمالهم ، وورثوه لقيادتهم بعد جده ، كما ذكر أن جده روى اليه يوما بخاتمه ايذانا منه باستخلافه "٤" .

(١) هو الامام عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي ، وكان الأمير الثامن من أمراء بني أمية بالأندلس ، ولى الخلافة سنة ٣٠٠ هـ وعمره اثنتان وعشرون سنة ، وتوفي سنة ٣٥٠ هـ تاريخ علماء الأندلس ٧ وقال : ميلاده كان سنة : ٢٧٧ هـ .

(٢) انظر : المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ١ : ١٨١ ، ونفع الطيب للمقرئ ١ : ٣٣٠ ، بغية المتوسل للضيبي ١٧ ، والبيان المغرب للمراكشي ٢ : ١٥٦ ، ودولة الاسلام بالأندلس عهد الفتنة الكبرى لمحمد عبد الله عنان ٥٨ ، والحلة السيرة لابن الأبار ١٩٧/١ ، وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ٧ وأعمال الاعلام فيمن بويج قبل الاحتلال من ملوك الاسلام للسان الدين بن الخطيب ٢٨ .

(٣) بغية المتوسل ١٨ ، والمغرب لابن سعيد ١ : ١٨١ ، ونفع الطيب للمقرئ ١ : ٣٣٠ .

(٤) البيان المغرب للمراكشي ١ : ١٥٧ .

وكان شهما صارما حاز خصل السبق دون من سبقه من الأمويين —
بالأندلس ، فجميع من سبقه منهم لم يتسموا بامرة المؤمنين ، بل لم يتعدوا في
الخطبة مجرد الامارة ، وجرى على ذلك مدة ، ثم طغى نفسه بامير المؤمنين
لما وصله ضعف الخلافة العباسية في أيام القنذر العباسي ، وتغلب الفاطميون
بالمغرب ، وذلك بعد مضي سبعة عشرة سنة من امارته ، وثلق عند ذلك بالناصر
لدين الله ، وكانت ولايته بمننا وبركة على اهل الأندلس ، كما كانوا يتوقسون ،
فقد وجد الأندلس مضطربة بالمخالفين مشبهة بشيران المتغلبين ، فاطفا تلك
النيران ، فلم يؤزل منذ تولى الخلافة يستنزل اهل العصيان المتغلبين حتى
قضى عليهم واستكمل انزال جميعهم في خمسة وعشرين سنة من ولايته ،
فأصبح جميع الأندلس تحت امرته ، وورهن تصرفه .^١ قلت : ولقد وصفه
بعض اهل التاريخ بما هو اعله :

فقال عنه المراكشي : " كان الناصر ملكا أزال اللأواء وحسم الأدواء
وقهر الاعادي ، وعدل في الحاضر والبادي ، فقد أسس الأسس وغرس الفروس ،
واتخذ المصانع والقصور ، وترك اعلاما باقية الى النفع في الصور الى أن
قال من جملة ذلك : اعتزركن الدين واحتى ذمار المسلمين ، وقام الجهاد
على ساق ، وخمدت نار الخلاف والشقاق " ^٢ فناهيك من فضل أعطاهم ، وعدل
أكتفهم به وخطاهم ، وشكرمة أنالهم اياها وسرة أبدى لهم حياها " ^٣

قلت : وهذا من ابن عذاري المراكشي اخاله وصفا صادقا لا غلوفيه ،
ولا اسراف ، ولا شطط ، لهذا الامام ، ولما استقر الأمر للناصر باسكان فتنة
الثوار عليه ، أخذ يمد يده الى ماليك النصرانية المجاورة ، ففوزاهم غزوات

-
- (١) انظر : المغرب في حلى المغرب ١ : ١٨٢ ، والبيان المغرب للمراكشي
١٥٧ : ٢ و ١٩٨ : ٢ ، ودولة الاسلام بالأندلس ٧١ و ٨٩ — ٩٠ ،
ونفع الطيب ١ : ٣٣٠ وخيمة الملتنس ١٨ .
(٢) البيان المغرب للمراكشي ٢ : ٢٢٣ .
(٣) نفس المصدر السابق ٢ : ٢٢٤ وتاريخ التمدن الاسلامي
لجرجي زيدان ٤ : ٢٢٤ .

متتالية كان النصر حليفه في أغلبها والحمد لله ، ولم تغلب له راية "١" ، اضطرب ملوك النصارى الى التقرب منه وطلب المعاهدة معه ، فأرسلوا اليه الرسل ، وعقد معهم معاهدات عديدة ، فكان ذلك عزاً للإسلام والمسلمين في تلك البقاع . "٢"

ومع ذلك لم تشغله مهام الحرب ، والاعداد لها عن أعمال الانشاء ، والممران ، فقد بنى الزهراء التي هي أعظم بناء في قواعد الأندلس الملوكية ، وكانت قريبة من قرطبة العاصمة ، "٣" وبنى قصر الروضة الى جانب الزهراء ، وهو مكانه الخاص به ، وأنشأ في ظاهر قرطبة منتزهات عظيمة ساق اليها الماء من أعلى الجبل ، وزاد في المسجد الجامع بقرطبة ، وأصلح فيها اصلاحات كبيرة "٤" وغير ذلك من تلك الأعمال الجبارة التي نفذت في تلك الأيام الميمونة ، قلت : ولا يشك من درس الحالة السياسية في أيام بنى أمية في أن عبد الرحمن هذا يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة بنى أمية بالأندلس ، لأنه وصل بها الى ما لم تصل اليه في المصور السابقة ، فقد غزا ما يزيد على خمسين فرزة ، ومهد البلاد وسط الأمن وروحد البلاد حتى لم يبق فيها مخالف ، ولا شك أن ذلك كان لأسباب عدة :

- ١ — حزمه وصراوته في الأمر
- ٢ — وفاءه بالمعهود التي يقطعها للمخالفين عند استسلامهم .
- ٣ — كرمه وسخاؤه .

-
- (١) نفع الطيب للمقري ١ : ٣٤٠ ، ودولة الاسلام ل محمد عبد الله عنان ٨٧
 - (٢) نفع الطيب ١ : ٣٤١ وما بعده . وأعلام الاسلام المنصور بن أبي عامر ، لعلى بن أدهم ٩٧ .
 - (٣) دولة الاسلام بالأندلس عهد الفتنة الكبرى ٩١ .
 - (٤) المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ١ : ١٨٣ ، والبيان المغرب ٢ : ٢٣١ ، ونفع الطيب ١ : ٣٥٥ ، ودولة الاسلام بالأندلس عهد الفتنة الكبرى ٩٢ .

٤ - معرفته التامة باختيار الرجال حتى جمع لخدمته كل واف أمين.

٥ - اهتمامه بمعالى الأمور والتصدى لها . "١"

ولاية الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر : "٢"

لما توفي عبد الرحمن الناصر لدين الله الأسوي السابق الذكر ، تولى امرة المسلمين بالأندلس ابنه الحكم ، وكان حينئذ قد بلغ سبعا وأربعين سنة ، فجرى على سيرة والده في تقوية الدولة والقضاء على كل بادرة من أهل الفتن . وكان حسن السيرة ، مطلقا الى معالى الأمور ، جامعاً للعلوم والفنون ، محبا لها مكرما لأهلها ، وجمع من الكتب في أنواعها وفنونها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله بالأندلس ، وذلك بإرساله عنها الى الأقطار ، واشترائه لها بأعلى القيم والأثمان ، فحطت اليه الدواوين من كل الأصقاع والبقاع في ذلك الوقت ، حتى لقد ذكر أن عدد الكتب التي كانت فهارس للكتب التي اجتمعت في خزائنه : أربعة وأربعون كتابا ، في كل مجلد منها عشرون ورقة "٣" وأن تلك الكتب التي ذكرنا عدد فهارسها كانت أربعمئة الف مجلد ، وكان رحمه الله ذا غرام بها قد آثر ذلك على الراحة المعتادة ، مع فهمه ، وعلمه ودقة نظره ، حتى عظمت استفادته ، وقد سمع العلم من عدة أجلاء ، وأكابر العلماء ،

(١) المغرب لابن سعيد ١ : ١٨٢ و ١ : ١٨٥ ودولة الاسلام بالأندلس ٧

(٢) انظر : نفح الطيب ١ : ١٥٨ . والمغرب في حلى المغرب ١ : ١٨٦ ، وجذوة المقتبس للحمدي ١٣ ، وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ٧ ، وصغية الملتبس للضبي ١٨ ، وأعمال الأعلام للسان الدين بن الخطيب ٤١ والبيان المغرب لابن عذارى ٢ : ٢٣٣ ، وتراجم اسلامية لمحمد عبد الله غان ٢٠٠ ، وتاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ٤ : ٢٢٤ .

(٣) جذوة المقتبس ١٣ ، وصغية الملتبس ١٨ ، والمغرب لابن سعيد ١ : ١٨٦ ونفح الطيب للمقري ١ : ٣٦٢ ، قال : وأقام للعلم والعلماء سوقا نافقة جلبت اليه بضائعه من كل ، ومدنية العرب بالأندلس ٢٣ . قال : كانت خزائن كتبه تحتوي على نصف مليون كتاب ، قال : ويروى أنه كان ملما بجميع ما تضمنته .

ومطهرهم على سبيل المثال لا الحصر ؛ العالم الكبير محمد بن عبد السلام الخشني^١

وقد كان المستنصر من أكبر الناس تأثراً بأولئك العلماء ، ولذلك كان شديد الانكار للخمر التي انتشر شربها في الأندلس ، فاهتم باستئصال شجرة العنب من جميع الأندلس ، واستئصال أشجار الناس في ذلك حتى أقنعوه بأن شارب الخمر يصنعونها في غير تلك الشجرة ، فعند ذلك توقف عما هم به^٢ .

وكان من جملة تلك الأعمال التي قام بها توسيع مسجد قرطبة ، وقيل كان أمره بذلك ثلثي يوم من خلافته^٣ ، فخرج بنفسه لتقدير وتفصيل بنائها وأحضر لها الشيوخ والمهندسين ، فحددوا اللازم ، وبينوا له المقدار الكافي من تلك الزيادة^٤ . ولم يقتصر في أعمال الانشاء على تلك الزيادة ، بل أصدر الأوامر إلى كثير من المدن الأندلسية لتوسعتها ، ولبناء ثغورها^٥ .

ومن جملة تلك المحاسن التي خلفها أنه لما كمل العمل في زيادته المذكورة للمسجد جعل شكره لذلك أن حصر ريع ما ورثه من أبيه على من يشغور الأندلس كافة ، توزع عليهم غلته سنوياً ، إلا أن تكون بقرطبة مجاعة^٦ .

(١) نفح الطيب ١ : ٣٧١ ومحمد بن عبد السلام هو : الخشني بن ثعلبة بن الحسن بن كليب أو كلب يكنى أبا الحسن من أكبر شيوخ المستنصر ، مات بالأندلس بعد رحلته سنة ٣٣٣ . انظر : بغية الملتبس للضي ٣٦ .

(٢) جذوة المقتبس ١٣ - ١٤ ، وبغية الملتبس ١٨ - ١٩ ، والمفسر في حلى المغرب ١ : ١٨٦ .

(٣) البيان المغرب لابن عذاري المراكشي ٢ : ٢٣٣ .

(٤) نفس المصدر السابق ٢ : ٢٣٤ و ٢٣٦ .

(٥) نفس المصدر السابق ٢ : ٢٣٦ .

(٦) نفس المصدر السابق ٢ : ٢٣٤ ومدنية العرب بالأندلس ، ٢٣ ، قال : وكان الخلفاء ينفقون على كثير من المدارس من مالهم الخاص .

وقد كان الخليفة الحكم مبع هذه الأعمال الانشائية مهتما بالفسزو ، واستتباب الأمن في أنحاء الأندلس ، فكان يواصل الجهاد لأعداء الله وردع كل من طمع في النكوص بالعهود السابقة ، حتى استبان الأعداء حقيقة الأمر ، وطموا أنه في الحقيقة صورة من أبيه الراحل "١" الذي فتح بلدانهم ، ودوخهم ، واضطربهم الى دفع الجزية أو الاسلام أو القتل "٢" فلم يزل ماضيا في تنميم فتوحات والده ، ومجددا لتلك العهود وعاقدا للعهد جديدة ، وقاضيا على كل ريح فتنة قارت الظهور حتى أمن الخلق على أنفسهم ، وأموالهم ، وانتشر العدل والأمن والأطمئنان "٣" ولم يزل كذلك حتى وافته المنية سنة ٣٦٦ هـ بقصره في قرطبة ، وله من الخلافة ستة عشر عاما "٤".

وهنا لابد من التمهيد بهذا العصر :

فلايخفى أن عصر الحكم المستنصر هذا كان امتدادا طبيعيا لعصر والده عبد الرحمن ، فان فترة حكمهما تعتبر بحق العصر الذهبي للاسلام بالأندلس "٥". ومن أجل ذلك قال محمد عبد الله عنان معلقا على عصر عبد الرحمن الناصر : " كان عصر عبد الرحمن بالرغم مما شغله من الفتن والحروب المستمرة ، عصر عظمة ورخاء ، ومجد بل كان في الواقع أعظم عصور الاسلام بالأندلس ، ذروة القوة والبهاء ، وكان حشد الفصل بين مراحل تقدمها وازدهارها ، ومراحل انحلالها ، وسقوطها "٦".

- (١) البيان المغرب ٢ : ٢٣٤
- (٢) انظر : البيان المغرب لابن عذارى ٢ : ٢٣٤ و ٢٣٥ : ٢ و ٢٣٧ : ٢ ، وجذوة الحميدى ١٧ ، ونفحة الطيب ١٩ ، ونفح الطيب ١ : ٣٥٩ و ٣٦٠ .
- (٣) نفح الطيب للمقرئ ١ : ٣٦٥ - ٣٦٩
- (٤) تراجم اسلامية لمحمد عبد الله عنان ٢٠٣ ، ونفح الطيب ١ : ٣٧٢ ، والبيان المغرب لابن عذارى ٤ : ٢٥٣ ، وجذوة المقتبس للحميدى ١٧ ، وقال عنه : " وقد انقرض عقبه . قلت : ليس الأمر كذلك ، بل ان هشاما الذي تولسى الخلافة من بعده ، ابنه ، وقد عاش طويلا بعد والده .
- (٥) نفح الطيب ١ : ٣٤١ و ٣٤٢ : ١ ، و ٣٤٣ و ٣٤٨ ، و ٣٦٥ ، و ٣٧٠ . والبيان المغرب لابن عذارى ٢ : ٢٣٣ و ٢٣٤ ، و ٢٣٥ ، - وجذوة المقتبس للحميدى ١٧ .
- (٦) تراجم اسلامية لمحمد عبد الله عنان ١٨٥ وانظر : تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ١ : ٩٨ ، و ٤ : ٢٢٤

ولاية هشام المؤيد بن الحكم المستنصر بالله : "١"

تولى هشام الخلافة بعد وفاة أبيه مباشرة ، وكان صغيرا جدا . ولذا كانت خلافته في الواقع تسليطا لغيره على تولى أمور الدولة ، اذ لا يتصور منه أن يصرف الأمور في تلك السن . ومن هنا قام بتولى عقد الشهادة على الناس في البيعة له بين يديه وكيله وصاحب شرطته الوسطى والسكة والموارث : أبو عامر محمد بن أبي عامر . وسيأتي الكلام عليه انشاء الله .

قال المقرئ : " فقتل ابن أبي عامر المغيرة " ^٢ " ٢ " ١ " الذي كان ينافس هشاما في الخلافة - بحملاؤه من ذكر - أي من أعوان هشام وعبيده - وتمت بذلك البيعة لهشام اسما ، ثم خطر على قلب محمد المذكور أن يتغلب على هشام لمكانه في السنن ^٣ " قال الحمدي : " وكان - أي هشام - فسي طول دولته تتغلبا عليه لا ينفذ له أمر " ^٤ " وقد طرد من قبل بعض الثوار " ^٥ " ثم أعيد سنة ٤٠٠ ، وبعد ذلك حاول الاستغناء عن الحجاب والقيام بنفسه .

(١) هو هشام المؤيد بن المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر ، وكنيته - أبو الوليد ، وأمه أمة اسمها صبح ، وقد تولى الخلافة وعمره تسع سنوات وقيل عشر ، وقيل إحدى عشرة سنة ، ولم يزل متوليا اسما لا حقيقة حتى اسقطه الثوار ، وقد كان لا يحسن تصرف الأمور حتى بعد أن كبر . انظر مثلا : جذوة المقتبس للحمدي ١٧ ، وبغية الملتبس ١٩ ونفح الطيب ١ : ٣٧٢ ، وأعمال الأعلام للسان الدين بن الخطيب ٤٣ ، وتاريخ علماء الأندلس ٧٠ . والبيان المغرب لابن عذاري ٢ : ٢٥٣ ، وتراجم اسلامية لمحمد عبد الله عثان ٢٠٣

(٢) هو المغيرة بن عبد الرحمن الناصر ، وهو عم لهشام . وكان أكثر شهرة بنى أمية يروونه أهلا للخلافة ولكن أنصار هشام اغتالوه لتنفيذ مخططاتهم ، اعلام الاسلام لعلي أدهم ٥٠ - ٥١

(٣) نفح الطيب للمقرئ ١ : ٣٧٣ ، والبيان المغرب ٢ : ٢٥٩

(٤) بغية الملتبس ١٩

(٥) جذوة المقتبس للحمدي ١٧

ولكن سرعان ما رجع الى طبيعه "١" ولم يزل على الحكم حتى قام عليه سليمان بن الحكم فى آخر شوال سنة ٤٠٣ فخلعه ، وغاب عن الناس خبره ، فقيل : انه قضى عليه عند دخولهم القصر ، وقيل : انه فريين يديه وقيل : قتل سرا "٢"

ابن أبى عامر الطاجب :

وفى عهد الحكم المستنصر بالله برزت شخصية أثرت فى مجرى الأحداث فى الأندلس فيما بعد ، تلك هى : شخصية محمد بن أبى عامر "٣" . ولقد وصل محمد بن أبى عامر الى قرطبة وهو شاب فطلب العلم والأدب بها ، ولم يزل يرتقى ويتقدم على أقرانه الى أن سمعت به صبح أم هشام وهى أم ولد للحكم المستنصر ، حيث طلبت من يكتب عنها ، فأخبرت عنه بطريق من كان يأنس اليه من فتيان القصر ، فترقى الى أن كتب عنها ، فاستحسن كتابه ، ومن يومئذ نهبت اليه الحكم ورغبت اليه فى تشريفه بالخدمة "٤" فكان أول مباشرته لعمل من أعطى الدولة عندما أراد الحكم أن يعين مشرفا لإدارة أملاك ولده عبد الرحمن ، فرشحه وزير الحكم الخاص "٥" فى ذلك الوقت لتلك المهمة فوافق الحكم عليه لما وصله من مدحه وكان ذلك فى سنة ٣٥٦ ، ثم تولى أملاك هشام المؤيد بعد وفاة أخيه عبد الرحمن .

ثم تقدمت به الحظوظ فولى منصبا بعد منصب ، حتى تولى منصب القضاء فى بعض الجهات ، فظهرت منه نجابة بهرت المسئولين ، ثم تولى بعد ذلك الزكاة

- (١) البيان المغرب لابن عذارى ١٠٠:٣ او ١٠٥ ، ونفح الطيب ٤٠٤:١
- (٢) البيان المغرب ١١٣:٣ ، ونفح الطيب ٤٠٤:١ ، وابن حزم الفكر الظاهرى لذكرى إبراهيم ١٨
- (٣) هو: محمد بن أبى عامر عبد الله بن عامر بن أبى عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافى من قرية تركش - بفتح التاء وسكون الراء - وفتح الكاف - وجده عبد الملك من جملة الوافدين مع طارق الى الأندلس . انظر: نفح الطيب للمقرئ ٣٧٥:١ ، والمغرب فى حلى المغرب ١٩٩:١ ، والبيان المغرب لابن عذارى ٢٧٦:٢ ، وبغية الملتص ١٠٥ واعلام الاسلام لعللى أدهم ١٥
- (٤) نفح الطيب للمقرئ ٣٧٦:١ ، وتراجم اسلامية لمحمد عبد الله عنان ٢٠١
- (٥) هو جعفر بن عثمان أبو الحسن الوزير الطاجب المعروف بالمصطفى ، كان من أهل العلم والأدب البار ، وهو الذى كان ناظرا لجميع أمور الحكم المستنصر قبل محمد بن أبى عامر . بغية الملتص ٢٤ ونفح الطيب ٣٧٢:١

والمواريث باشبيلية ، وبعد تلك المناصب اقتنع الحكم بجدارته "١" وأنه أولى من قرب لديه لعونه على حمل أمانة الخلافة ، التي لا يحطمها الا كل تقى متيقظ أمين ، فعينه وزيرا للشرطة ، وفي آخر عهده عينه ناظرا على الحشم - أى وزيره الخاص - وكان محمد هذا من أكبر المعاونين للحكم فى تولية ولده هشام العهد من بعده ، فكان ذلك من أعظم الأمور التي سببت رفعة لدى الحكم المستنصر بالله "٢" ولذا يمكن القول بأن الحكم المستنصر لم يميت سنة ٣٦٦ حتى صار مصير الأندلس بيد هذا الشاب الطموح ، حيث كان أقوى الثلاثة الذين كانت الأمور لديهم "٣".

ثم بعد أن مكث الحكم فى الدولة ، توفى فأخلفه ابنه هشام الذى كان محمد هذا من أعظم الساعين فى توليته ، ولذا كان عهده ميدانا لظهار محمد مواهبه فى الحكم واستبداده به ، قال عنه صاحب نفع الطيب : " وتمت البيعة لهشام ثم سما لابن أبى عامر أمل فى التغلب على هشام لمكانه فى السن ، ولم تزل تلك الهمة تحدوه والجد يحظيه ، والقضاء يساعده ، والسياسة الرشيدة الحسنة الموفقة لا تفارقه ، والبذل السخى وإكرام الرجال ينصرانه ، حتى قام

(١) نفع الطيب ١: ٣٧٦ ، وتراجم اسلامية ٢٠٢ ، والمغرب فى حلسى المغرب ١ : ٢٠٠ وتاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زبدان ٩٨؛ ١

(٢) انظر مثلا : تراجم اسلامية ٢٠٣ - ٢٠٤ ، ونفع الطيب ١: ٣٧٦ ، وتراجم اسلامية ٢٠٢ ، والمغرب فى حلى المغرب ١: ٢٠٠ ، والبيان المغرب لابن عذارى ٢: ٢٤٩ - ٢٥١

(٣) وهم محمد بن أبى عامر هذا ، والحاجب جعفر بن عثمان المصطفى والوزير الحاجب سابقا ، وأم هشام ، واسمها : صبح وكانت أم ولد للحكم ، ولكنها كانت عاقلة فاهمة لتصرف الأمور فكانت بمثابة المستشار لسيدها فلذا أشارت عليه بمحمد هذا وأنه رجل العمل الذى لا يلقى اهماله دون اسناد العمل اليه ، تراجم اسلامية لمحمد عبدالله عثمان ٢٠٣

بتدبير الخلافة ، وثاب له رأى فى الاستبداد بها ، فأقعد من كان له فيها انافة ،
وضرب بعضهم ببعض " ١ "

ومن تلك الحكم وحسن التصرف والشجاعة التى وصف بها هذا الرجل
ماقاله عنه المراكشى : " وأساس الأمور أحسن سياسة ، وداس الخطوب بأخشن
دياسة ، فانتظمت له الممالك ، واتضحت به المسالك ، وانتشر الأمن فى كل طريق
واستشعر اليمن كل فريق " ٢ "

وقال عنه المقرئ أيضا : " وكان عظيما فى قومه ، وله فى الفتح أثر ، قال :
وعظم ابن أبى عامر هذا ، وطلب على هشام المؤيد ، ومنع الوزراء من الوصول اليه
الا فى النادر من الايام يسلمون عليه وينصرفون ، ورضخ للجند فى العطاء ، وأعلى
مراتب العلماء ، وقمع أهل البدع ، والأهواء ، وكان ذاعقل ، ورأى وشجاعة ،
ومصر بالحروب ، ودين متين " ٣ "

ونقل المقرئ من ذلك عن ابن خاقان أنه قال عنه : " انه تمرس ببلاذ
الشرك أعظم تمرس " ٤ " ومحا من طواغيتها كل تعجرف ، وتغطرس ، وغادرهم
صرعى البقاع ، وتركهم أذل من وتد بقاع ، ووالى الى بلادهم الوقائع ، وسدد
الى أكبادهم سهام الفجائع ، وغص بالحمام أرواحهم ، ونخص بتلك الآلام بكورهم
ورواحهم " ٥ "

-
- (١) نفح الطيب للمقرئ ٣٧٣:١ ، والبيان المغرب لابن عذارى ٢٥٩:٢
 - (٢) البيان المغرب لابن عذارى ٢٥٩:٢
 - (٣) نفح الطيب للمقرئ ٣٧٣:١
 - (٤) قال الرازى فى مختار الصحاح : المراس : الممارسة والمعالجة ، ومرس
التمر وغيره فى الماء اذا نقه ومرته بيده ، وبابه نصر ٠٠٠٠٠ ٢٣١
 - (٥) نفح الطيب للمقرئ ٣٨٠:١

ومضى ابن أبي عامر في عمله المذكور : الحجابة على هشام والقيام بوظيفة الوزير الخاص إلى سنة ٣٦٨ حيث قام بما يعتبره المؤرخون نقطة التحول ، حيث أصدر أمره ببناء مدينة له في ضاحية قرطبة على ضفة الوادي الكبير بمسماها بقصر الزاهرة .^١

وكان ذلك التحول من ابن أبي عامر عن مقر الخلافة قبله الذي هو الزهراء التي بناها عبد الرحمن الناصر ، عندما استفحل أمره ، وظهر استبداده ، وكثر الناقمون عليه انكارا لما أقدم عليه ، وحسدا وبغيا من البعض مخطف على نفسه في دخوله إلى قصر السلطان .^٢

وفي سنة ٣٧٠ انتهى العمل من تلك المدينة الفاخرة فانتقل إليها بخاصته بل نقل إليها خزائن الأموال والأسلحة والدواوين ، وأنشأ لها حرسا خاصا بها من البهريز والصقالبة ، وفي ذلك الوقت اتخذ سمة الملك ، وتسمى بالحجسب المنصور ، وصارت الدولة ظاهرا وباطنا على حكمه ، ونفذت الكتب والأوامر إلى الأقطار باسمه ، وأمر بالدعاء له على المنابر ونقش اسمه على السكة

ولم يبق في الحقيقة من الخلافة الأموية سوى الاسم بدون معنى^٣ ومن سعادته وحسن اختياره أنه كان في تلك المدة مواظبا على الجهاد ففاز ستا وخمسين غزوة ، لم تتكس له راية قط مفي سائر أيام ملكه ، ولا هزم له جيش قط ، وما هلك له سرية ، ووطئت جنوده كل أنحاء تلك البلاد ، فاستدام بذلك الفتوحات والتوطيدات التي قام بها كل من عبد الرحمن الناصر ، وابنه الحكم المستنصر ، وكان عصره في الواقع تنهيط لعصريهما^٤

(١) تراجم اسلامية لمحمد عبد الله عنان ٢٠٧ ، وأعلام الاسلام لعلي أدهم ٨٢

(٢) البيان المغرب لابن عذارى ٢٧٥ : ٢

(٣) المغرب في حلى المغرب ٢٠١ : ١ ، وتراجم اسلامية ٢٠٦ ، والبيان المغرب للمراكشي ٢٧٥ : ٢ - ٢٧٦ ، وأعلام الاسلام لعلي أدهم ٨٣

(٤) نفح الطيب ٣٧٥ : ١ - ٣٧٦ ، و ٣٨٤ : ١ ، وتراجم اسلامية لمحمد عبد الله عنان ٢١٠ والمغرب في حلى المغرب لابن سعيد ٢٠٠ : ١ ، والبيان المغرب ٢٦٤ : ٢ ، و ٢٦٥ : ٢

ومن شجاعته وعدله أن امرأة من المسلمين كانت قد خطفها الأعداء منذ أمد بعيد ، اعترضت لجماعة من جنوده في بعض الانحاء النصرانية التي كان بينهم وبينه معاهدة فشرحت لهم قصتها وأكدت عليهم أن يبلغوا خبرها السي المنصور . فلما سمع بذلك ، قام بفزؤهم في الحال حتى ندموا وردوها صاغرين ^١ .

وكان داهية مشهورا بادراك خفايا الأمور ، وصتشر أصحابه ثم بعد أخذ آرائهم يستبد برأيه دولتهم ^٢ . وكان من محاسنه : زيادة الجامع بقرطبة وذلك حين انجلبت الى قرطبة قبائل البربر من العدو ، وافريقية ، وقصد الناس قرطبة لما تجمع من خيرات الدنيا ، ولما فيها من العلم ، والعلماء ، فضاقت مسجد الجامع بالناس فأصدر أمره الخاص بتوسعته ^٣ .

ومن أعماله التي قام بها في تلك الأيام انكاره الشديد على من وجد عنده شيء من الفلسفة ، والجدل في الاعتقاد ، أو تكلم في شيء من النجوم وأدلتها ، أو الاستخفاف بأموال الشريعة ، ولذا فقد أحرق ما وجد في خزائن كتب الحكم المستنصر ، من كتب الدهرية والفلاسفة ^٤ . بمحضر من كبار العلماء في وقته ، ومن أوقع بهم في تلك المعاني محدثين جمعه لما بلغه عنه قول من الارجاف في القطع على انقراض دولته ، فقطع لسانه ، ثم قطعه ، وصلبه ، وغير ذلك فقد كان شديد الحراسة لليلة الاسلامية ، والعقيدة الصافية التي هي العمدة الصلبة للاسلام الصحيح ^٥ .

قلت : ورغم ما سبق من أول الكلام على ابن أبي عامر الى آخره من المحاسن ، فقد أخذت عليه أمور مع ذلك نشير الى أهمها فيما يلي :

-
- (١) نفح الطيب للمقرئ ١ : ٣٨٠ ، و ٣٨١ و ٣٨٦ ، و ٣٨٧
 - (٢) نفح الطيب ١ : ٣٨٧ - ٣٨٨ ، والبيان المغرب ٢ : ٢٨٦
 - (٣) البيان المغرب للمراكشي ٢ : ٢٨٧
 - (٤) البيان المغرب لابن عذري المراكشي ٢ : ٢٩٢ ، وأعلام الاسلام لعلي أدهم ٨١ ، وابن حزم الظاهري المفكر لزكريا ابراهيم ١٦
 - (٥) البيان المغرب ٢ : ٢٩٣

- ١ - استبداده بالأمردون الخليفة الشرعى ، حتى وصل الى درجة أنه جرى فى ذلك على مجرى المتغلبين على سلطان بنى العباس بالمشرق ، من أمراء الديلم ، فأخذ فى تغيير سير الخلفاء المروانيين ، وسبك الدولة على قلبه الخاص ، فتعمد مخالفة ما كانوا عليه من السياسات والتصرفات^١
- ٢ - اختياره لصحبة سقطه الناس ، وتمكينهم من الجندية ، وأعطى الصقالبة وكثيرا من العبيد ، بل جعلهم من خاصته المقربين ، فأذل بذلك اشراف الأندلسيين ، حيث تغلب بأولئك الجنود على الجمهور ، وسلب منهم كل ظهور^٢
- ٣ - استئصاله لكل من كانوا سبب رفعته وتقدمه ، أمثال : جعفر المصطفى الذى كان قتله بسببه ، والصقالبة الذين مهدوا له الطريق أولا ، وغيرهم فكان من سياسته أن يستعين ببعضهم على بعض ، حتى قضى على الجميع ومقيت الأمور بيده بدون منازع^٣

وفاته :

توفى المنصور الحاجب ليلة الاثنين لثلاث بقين من شهر رمضان سنة ٣٩٢ ، وعمره خمس وستون سنة وعشرة أشهر ، وكانت مدة قيامه بالدولة منذ تقلد الحجابة الى أن توفى خمسا وعشرين سنة ، وأربعة وأربعين يوما^٤

-
- (١) اعلام الاسلام لعللى أدهم ١١١ ، والبيان المغرب ٢ : ٢٧٢
 - (٢) نفح الطيب ١ : ٣٧٤ وقال : واستكثر من العبيد والعلوج للاستئلاء على تلك الهيئة ، وقهر من تطاول اليها من العلوية فظفر بذلك على ما أراد ، والبيان المغرب ٢ : ٢٧٤ ، و اعلام الاسلام لعللى أدهم ٨٨ - ٨٩
 - (٣) نفح الطيب للمقرئ ١ : ٣٧٣ ، والبيان المغرب لابن عذارى ٢ : ٢٦٥ ، و ٢٦٨ ، و ٢٧٠
 - (٤) المغرب فى حلى المغرب ١ : ٢٠٢ ، والبيان المغرب ٢ : ٣٠١ ، ونفحة الملتبس ١٩ و ١٠٦ ، وجذوة المقتبس للحمدى ١٧ ، وتراجم اسلامية ٢١٠ ، و اعلام الاسلام لعللى أدهم ١٢٩ ، وابن حزم الظاهرى لذكرى ابراهيم ١٦

حجبة عبد الملك بن أبي عامر المنصور :

هو مروان المظفر بالله بن محمد بن أبي عامر "١" ، كان قد عهد اليه أبوه المنصور بالخلافة سنة ٣٨١ "٢" ولما توفي أبوه سنة ٣٩٢ ولى بعده جميع أعمال أبيه ، فجربى على سنته فى السياسة والغزو . وكان يظهر العدل ، ويحى جانب الشرع ، ويرفق بالرعية ، فكانت أيامه أعيادا ، ولم يزل فى مدة حجابته مثل اسمه مظفرا ، وموفقا فى معظم أموره "٣" الى أن وافاه الأجل المحتوم سنة ٣٩٩ ، فكانت مدة حجابته ، وملكه مستبدا سبع سنين "٤"

قلت : ومن خلال هذه السطور المتقدمة فى ترجمة عبد الملك ، وخلال ما سبق من الكلام المتعلق بأولئك العظماء قبله ندرك لا محالة أن عبد الملك هذا كانت أيامه آخر سعد الأندلس وطمانينته ، وقد كان ابن عذارى المراكشى قد أشار الى بعض ذلك بعد كلامه على تقرب ابن أبي عامر للصقالية والبرابرة وغيرهم ، قائلا :

" وعلى هذه الهيئة - التى هى اجازة البرابر والصقالية ، وجعلهم جند الخاص فهو وابنه المظفر كانا آخر سعد الأندلس ، وحد السرور بها والتأنس "٥"

-
- (١) نفح الطيب ١ : ٤٠٠ ، ونغية الطمس للضبي ١٩ ، والبيان المغرب ٣ : ٣ ، و أعمال الاعلام للسان الدين بن الخطيب ٨٣ ، وجذوة المقتبس ١٧ ، وابن حزم الظاهري لتركيا ابراهيم ١٦ .
 - (٢) البيان المغرب لابن عذارى ٢ : ٢٩٣ .
 - (٣) البيان المغرب لابن عذارى ٣ : ٣ ، ونفح الطيب ١ : ٤٠٠ .
 - (٤) جذوة المقتبس ١٧ ، ونغية الطمس ١٩ ، والحلة السمرية لابن الأثير ١ : ٢٦٩ ونفح الطيب ١ : ٤٠٠ ، والبيان المغرب لابن عذارى ٣ : ٤ ، و ٣ : ٣٦ و ٣٧ .
 - (٥) البيان المغرب لابن عذارى المراكشى ٢ : ٢٧٤ ، وتاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان ١ : ٩٩ .

ولاية عبد الرحمن بن محمد المنصور :

قام عبد الرحمن بن أبي عامر بعد أخيه عبد الملك بالأمر فحجر على هشام المؤيد واستبد بالأمر واستقل به ، إلى أن ثاب له الرأي بالاستقلال بالملك والاستئثار بما بقي من رسوم الخلافة ، فطلب من هشام أن يوليّه العهد بعده فأجابته إلى ذلك وحقق له أمنيته ، "١" وتلقب بالناصر ثم بالمأمون ، فكان يدعى بالحاجب الأعلى المأمون ناصر الدولة .

ولما تم له الأمر أخذ ينظر في الأمور نظرا غير سديد ، وخط الأمر وانفق الأموال في غير وجهها ، ونسب إلى الناس كثيرا من أباطيل القول والفعل حتى قلقوا منه وأبغضوه في الله وسألوا الله النجاة منه "٢" وكان جل أكابر قرطبة ينقمون عليه طلبه ولاية العهد فقاموا ضده ، فكان في ذلك حتفه وانقراض دولته ودولة قومه ، إذ اتفق الجميع عليه فوثبوا على صاحب شرطته فقتلوه ، وخلعوا هشاما المؤيد الذي تسبب في توليته . "٣"

وباعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار بن أمير المؤمنين الناصر ولقبوه بالمهدي ، وذلك بعد ولاية عبد الرحمن بأربعة أشهر ، ووجه الثوار : البرابرة إلى بيعة المهدي القائم بقرطبة ، فباعوه ، واغروه بعبد الرحمن الحاجب لكونه ماجنا فاعترضه من قبض عليه وقتله وحمل رأسه إلى المهدي ، وذهبت بذلك دولة العامرين كأن لم تكن . "٤"

(١) نفح الطيب ١ : ٤٠٠ وابن حزم الظاهري لزكريا ابراهيم ١٦ وأعمال

الاعلام للسان الدين بن الخطيب ٨٩

(٢) البيان المغرب لابن عذاري ٣ : ٣٨

(٣) نفح الطيب ١ : ٤٠٢ ، بغية الملتبس ١٩

(٤) بغية الملتبس ١٩ ، ونفح الطيب ١ : ٤٠٢ وابن حزم الظاهري لزكريا ابراهيم ١٧

ولاية محمد بن هشام : " ١ "

قام بالثورة على عهد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر سنة ٢٩٩ في جمادى الأولى من تلك السنة ، فاستولى على قرطبة بعد نزيف من الدم ، وفي أول يوم قام بذلك أعلن خلعه هشام المؤيد الذي تسبب في تولية عبد الرحمن بن المنصور ، وكان محمد بن هشام هذا وسليمان بن الحكم المستعين الذي كان يتصارع معه ، كانا من أسباب الفتن ومن أشد الموقدين لها ، ولذلك هلك بسبب ذلك خلشق لا يحصون كثرة " ٢ " .

يقول الضبي في ضمن ذكره للوقعة التي كانت بينهما بقرطبة ، والتقى سميت بالفتنة الكبرى ، يقول ما نصه : " فلم تكن الا ساعة حتى قتل من أهل قرطبة ما ينيف على عشرين ألف رجل . قال : وهي الوقعة المشهورة ذهب فيها من الخيار وأئمة المساجد والمؤذنين خلق عظيم " ٣ " .

والواقع أن تلك الايام التي أعقبت سقوط العامريين لا تستحق الاطالة في الاشادة بها ، لأنها أيام فتن خلت من الحروب الشريفة لتمكين الاسلام واستدامته ، كما خلت من الأعمال الانشائية النافعة .

وفي سنة ٤٠٠ وثب عبید سليمان بن الحكم المستعين على محمد بن هشام فقتلوه ، وذلك في اليوم الثامن من ذي الحجة في تلك السنة " ٤ " .

فتوصل بعض أهل قرطبة بعد وفاته الى ارجاع هشام ، المؤيد للحكم

-
- (١) هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، لقبه المهدي وميلاده سنة ٣٦٦
 - (٢) انظر : البغية للضبي ٢٠-٢١ ، والبيان المغرب لابن عذارى ٥٠: ٣ ، وجذوة المقتبس للحميدي ١٨ ، وابن حزم الظاهري لزكريا ابراهيم ١٧ ، وأعمال الاعلام للسان الدين ١٠٩
 - (٣) بغية الملتبس للضبي ٢٠ ، وابن حزم الظاهري لزكريا ابراهيم ١٧ ، ونفع الطيب ١ : ٤٠٤
 - (٤) بغية الملتبس ٢١ ، والبيان المغرب ١٠٠: ٣ ، وجذوة المقتبس ١٩ ، ونفع الطيب ١ : ٤٠٤

كما سبق مرة ثانية الى أن قضى عليه سليمان فى سنة ٤٠٣ "١"

ولاية سليمان بن الحكم المستعين : "٢"

لقد اتصل سليمان هذا بالبرابرة قبل تكين الاسلام فيهم ، والنصارى فطلب من الجميع النصر للقطر على حكم قرطبة ، فدخلها سنة ٣٩٩ ، وأخرج منها بعد فساد كبير منه على كل ما وصلت اليه يداه ، ثم دخلها سنة ٤٠٠ ولم تستقر به قدم ، الى أن دخلها مع برابرة دخوله الأخير فى صدر شهر شوال سنة ٤٠٣ "٣" فعندئذ عثش فيها ، وماض ، وتمكن فى تلك الأيام من تنفيذ مآربه البشعة .

يقول بن عذارى فى وصف دخوله الأخير : ولما استولى سليمان ، والبربر على قرطبة فى هذه الدولة الثانية ، كان منهم الطاجب والوزير ، قال : فكان سليمان هذا أول دولة البرابر بقرطبة ، قال : وقد ختمت دولة بنى أمية بالاندلس "٤"

- (١) البيان المغرب لابن عذارى ١١٣:٣ ، ونفح الطيب ١: ٤٠٤ ، وابن حزم المفكر ١٨
- (٢) هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، الامام السابق الذكر ، كنيته أبوأيوب ، البيان المغرب لابن عذارى ٩١:٣
- (٣) جذوة المقتبس ١٩ ، بغية الملتصق ٢ ، والبيان المغرب ١١٣:٣
- (٤) البيان المغرب ١١٤:٣ ، قلت : أما ما ذكره الحميدى : من أن انقطاع دولتهم النهائى كان بوفاة هشام بن محمد المعتد سنة ٤٢٧ ، جذوة المقتبس ٢٧ وما ذكره أيضا الحميدى : من أن الأشبيليين ادعوا أنهم قد وصل اليهم هشام المويذ فأقاموا الدولة باسمه معلنين بذلك نصرته ، الى أن أظهروا وفاته سنة ٤٥٠ ، قال : وانقطعت الخطبة لبني أمية من جميع أقطار الاندلس من حينئذ والى الآن . جذوة المقتبس للحميدى ٢٨ قلت : فهذا لا ينافى ما قاله ابن عذارى ، لأن ولاية هشام بن محمد المعتد لم تعد فى الواقع شيئا مذكورا ، لقصرها ، ولمجيئها بين تلك التقلبات الكثيرة للحكم ، وكانت ولايته سنة ٤٢٠ قال عنه الضى : ولم يبق الا يسيرا ، حتى قامت عليه فرقة فخلعوه فى تلك السنة . " بغية الملتصق ٢٣ . وأما فعل الأشبيليين فلم يعد أيضا شيئا ، إذ لم يكن ذلك منهم الا تمويه واحتياالا للحكم .

قال : فكان مهلها : مئتا سنة وثمانية وستون سنة وثلاثة وأربعون يوما .
وقال ابن عذارى أيضا في أيام سليمان ناقلا عن ابن حيان : كان ملكه بقرطبة
وغيرها أولا وآخرها ست سنين وعشرة أيام ، كلها شداد نكرات كريهات العبد
والفاتحة ، لم يعدم فيها حيف ولا أمن فيها خوف ، لتغيير السيرة واشتغال
الفتنة . قال : دولة كفاها ذما أن ناشئها شانجة الكافر . " ١ "

ولم يزل على توليته ، وفساده للأمر ، حتى دخل عليه على بن حمود
المنسوب الى على بن أبي طالب رضى الله عنه ، واحد قواده فقتله مبهسرا
ضرب عنقه يوم الأحد لمصبح يقين من المحرم سنة ٤٠٧ هـ " ٢ "

-
- (١) البيان المغرب ٣ : ١١٨ وأما ترجمته أحد رؤساء النصارى بالاندلس
في تلك الأيام ، وقد نصر سليمان المذكور .
(٢) بغية الملتبس للضيبي ٢٢ ، ونفع الطبيب للمقرئ ١ : ٤٠٦ ،
والبيان المغرب ٣ : ١١٧ قال : وجمع رأسه ورأس أخيه ورأس ميهبط
في طست وأخرجت ينادى عليها هذا جزاء من قتل هشاما المؤيد . . .
وجذوة المقتبس للحمدي ٢١

افتراق الجماعة بالأندلس

بعد ما وقعت الفتنة الكبرى التي سبق شرحها ، والتي وقعت بين محمد بن هشام وبين سليمان بن الحكم المستعين بعد ذلك تشتت شمل المسلمين ، وزال عنهم الترابط الذي سعدوا به ، ونالوا بسببه كل التقدم ، وتغلبوا على الأعداء بالمحافظة عليه ، يقول المقرئ : " افترق شمل الجماعة بالأندلس - أي بعد تلك الواقعة - وصار الملك طوائف في آخرين من أهل الدولة ، قال : مثل : ابن عباد باشبيلية ، وابن الأقطس بهطليوس " ١ ، وابن ذي النون بطليطلة ، وابن أبي عامر بهلنسية " ٢ ، وابن هود بسرقسطة " ٣ ، ومجاهد العامري بدانية والجزائر " ٤ .

قلت : وهذه الطوائف التي ذكرها المقرئ : هي التي أطلق عليها فيما بعد اسم دول الطوائف بالأندلس ، وهي التي ورثت الحكم بالأندلس بعد الأمويين ، وقد وقع بينها من الخلاف ، والنزاع ، والمطاربة ما كان سبب غياب شمس الاسلام عن الأندلس ، ولما وقعت الحادثة بقرطبة كما سبق ومات منها الخلق العظيم من العلماء وغيرهم ، في ذلك الحين خرج الكثير من أهل العلم يلتمسون الأمن والاستقرار من أقاصى البلاد وكان من جملةهم الحافظ بن عبد البر كما سيأتي ان شاء الله في ذكر مسكنه وكان عمره في ذلك الوقت ٣٢ سنة قضاها في طلب العلم والاجتهاد في تحصيله من أولئك الفطاحلة الذين ذهب جلهم من جراء تلك الفتنة ، ومن القادمين على قرطبة من غير أهلها ، يقول عنه القاضي عياض : رحل عن وطنه قرطبة في الفتنة فكان بغرب الأندلس " ٥ .

- (١) بفتح الباء والطاء وسكون اللام وفتح اليا وسكون الواو . نفح الطيب ٤٠٥ : ١
- (٢) بفتح الباء واللام والياء وسكون النون ، وكسر السين . نفس المصدر السابق
- (٣) بفتح السين والراء وضم القاف وسكون السين
- (٤) انظر : نفح الطيب للمقرئ ١ : ٤٠٥ ودانيه : بفتح الدال والياء وكسر النون ، والبيان المغرب لابن عذاري ٣ : ١٥٥ وما بعدها
- (٥) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠٨ ، والديباج لابن فرحون ٣٥٨ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣١٥

قلت فلحق ببني الأفطس ببطلبوس في غرب الأندلس^١ فأكرموه وأعلوا شأنه ، فولوه قضاء الأشبونة وشنترين في أيام ملكها المظفر بن الأفطس^٢ وهو : أبوبكر محمد بن عبد الله الأفطس وكان قريع المعتضد بن عباد ، ومحاربه ، وكان من أعظم ملوك الطوائف ، وصاحب كتاب المظفرى في الأدب والتاريخ نحو مائة مجلد^٣.

قلت : وبعد مدة من الزمن لم أقف على مقدارها انتقل الحافظ بن عبد البر من غرب الأندلس الى شرقها بمسكن دانية ، وبنسية وشاطبة في أوقات مختلفة ،^٤ في مجرى التقلبات السياسية المستمرة آنذاك . قلت : والسدى بيد وأن الحافظ بن عبد البر كان ينتقل عن كل بلد وجد الجفوة من أهله ، منذ أن خرج من بلده الأصلى قرطبة ، ويمكن أن يستنتج هذا الصنيع من فعله ، بما فعله لما دخل أشبيلية والتقى فيها ببني عباد ، فأكرموه لمقدمه ، ثم تغيروا عليه بعض الشيء ، فصبر حتى أخلفه مقامه ، وأطبقه اغتنامه فارتحل^٥ ونظم الأبيات التالية :

تكر من كنا نسر بقرسـه	وطاد زقاقا بعدما كان ساعلا
وحق لجار لم يوافقـه جاره	ولا لأمته الدار أن يتحولا

-
- (١) تراجم اسلامية لمحمد عبد الله عثمان ٢٩٨
 (٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٦ : ٦٥ ، وشذرات لابن العماد ٣ : ٣١٦ ،
 والديباج لابن فرحون ٣٥٨ ، وتعليق تكملة اكمال الاكمال لمصطفى
 جواد ٢٧٤
 (٣) المغرب في حلى المغرب ١ : ٣٦٤
 (٤) انظر : الصلة لابن بشكوال ٢ : ٦٤٢ ، وترتيب المدارك للقاضي عياض
 ٣ و ٤ : ٨٠٨ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣١٦ ، والوفيات
 لابن خلكان ٦ : ٦٥ ، والديباج لابن فرحون ٣٥٨
 (٥) انظر : نفح الطيب للمقرئ ٥ : ١٧٣ ، والمغرب في حلى المغرب
 ٢ : ٤٠٨

بليت بحمص^١ والمقام ببلدة طويلا لعمرى مخلق يورث البلى
 اذا هان حر عند قوم اتاهم ولم ينأ عنهم كان أعمى وأجهلا
 ولم تضرب الأمثال الا لعالم وماعوتب الانسان الا ليعقلا^٢

ولم يزل الحافظ بن عبد البر مترددا بين المدن الشرقية بالأندلس ، دانية ،
 وشاطبة ، ولنسية حتى وافاه الأجل وهو بشاطبة^٣ ، فكان ذلك نهاية
 لتلك الأحداث التى لازمته ، وأزعجته وأعدمته الاستقرار منذ أن أخرجته
 الزلازل ، والفتن من وطنه قرطبة .

(١) قلت : كانت اشبيلية بالأندلس : تشبه بحمص من الشام لجمالها ،
 وقيل : انما سموها اشبيلية حمصا لأن بنى أمية لما نزلوا بالأندلس
 وملكوه ، أطلقوا على كثير من تلك المدن أسماء مدن الشام . ويقال
 فى تحليل ذلك أيضا : انما أطلق على اشبيلية ذلك الاسم لأن جندا
 من جنود حمص بالشام دخلوها ، وأقاموا بها فسميت بهم . انظر :
 معجم البلدان ليقوت الحموى ٢ : ٣٠٤

(٢) نفح الطيب المقرئ ٥ : ١٧٣

(٣) انظر : وفیات الأعيان لابن خلكان ٦ : ٦٩ ، والدياج لابن فرحون
 ٣٥٩ ، والرسالة المستطرفة للكتانى ١٤ ، والصلة لابن بشكوال ٢ : ٦٤٢
 والاشارات الى أسماء المبهمات للنوى ١ : ٣٢ ، وترتيب المدارك للقاضى
 عياض ٣ و ٤ : ٨١٠

٢ - الحالة العلمية زمن ابن عبد البر بالأندلس

ولعل أول شئ يفرض نفسه على الباحث عن الحالة العلمية بالأندلس فرضاً ، أن يعرض ما يجاز لأشهر المدن الأندلسية التي أثرت في الثقافة الإسلامية ، طوال قرون كثيرة ، ولعل أقربها إلى الذهن وأولها بالتقدمة :

١ - مدينة قرطبة "١" وهي قاعدة الأندلس ومستقر العلم والعلماء ، ومنشأ التأليف الحصان ، ومحط رحل الخلافة الأموية بالأندلس ، "٢" وهي المختارة من قبل عامة الحكام بالأندلس ، فكانت دار المملكة بالاسلام والنصرانية ، قبله ، وماوى السنة والجمعة ، فكان أهلها أقرب الأقطار الأندلسية قاطبة إلى الدين ، وإلى التحلى بالعارف ، ولم تزل فى مدة الحكم الأموى ميدان المسابقة لطلاب المصرفة من كل أنحاء العالم واليها كانت الرحلة فى طلب الرواية ، ومنتهى الغاية ، ومركز الرواية ، ودار صوب العقول ، ووطن أولى العلم ، والنهى ، وينبوع متفجر العلوم ، وستان ثمر الخواطر ، ومحرر القرائح ، ومن ألقبها طلعت نجوم الأرض ، وأعلام العصر ، وفرسان النظم والنثر . "٣"

-
- (١) بضم القاف وسكون الراء وضم الطاء وفتح الباء مخففة ، القاموس المحيط ١ : ١٢٠ ، واللباب لابن الأثير ٢ : ٢٥٣ ، ومعجم البلدان ليقوت الحموى ٤ : ٣٢٤ ، وصفة جزيرة الأندلس المنتخبة من الروض المعطار للحميرى ١٥٣ ، ونفع الطيب طبعة احسان عباس ١ : ٤٥٨ ، قال المقرئ : ان قرطبة بالظاء المعجمة ، ومعناه أجر ساكنها ، يعنى عربت إلى الطاء . . . الى أن نقل أنها بلفظ القوط ، بالظاء المعجمة ، ثم نقل عن الحجارى أن الضبط فيها باهمال الطاء وضمها ، قال : وقد يكسرها المشرقيون فى الضبط كما يعجمها آخرون . نفع الطيب - ع ١ : ٤٥٩
- (٢) وصفة جزيرة الأندلس ١٥٣ ، وقضاة قرطبة للخشنى ٢
- (٣) نفع الطيب للمقرئ م - ع ١ : ٤٦٠ - ٤٦١ ، ومواقف حاسمه لمحمد عبد الله عنان ٢٤٣ ، وصفة جزيرة الأندلس ١٥٣ ، ومدنية العرب بالأندلس لجوزيف ٢٤

وأشار الحجارى^١ "الى بعض الاشباب التى أهلت أهل ذلك البلد لنيل هذه الصفات ، أشار قائلا ما معناه : أن أفقهم القرطبي لم يخل قط من البحث والطلب لأنواع العلم والأدب ،"^٢ هذا بعض الأوصاف لمدينة قرطبة ، وهناك ما يتعلق بوصفها الذاتى ، وهو ما أكثر فيه العلماء الخوض فى مصنفاتهم ، فقد وصلت بأنها : سرّة الأندلس ، وأنها مدينة عظيمة من بنيان الأوائل ، وأنها من بلاد الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد ، وأنها واسطة بين مدن الأندلس موفية على النهر ، فكانت بوصفها واسطة العقد بين تلك المدن : ملتنى لخيرات الجميع ، فجبيت اليها أكثر خيرات الأندلس ،"^٣ كما وصفت بطيب الماء والهواء ، وأنها كانت ذات البساتين والزيتون ، والقرى والحصون ، والمياه والعيون ، وأن لها من الحرث نصيب الأسد بنسبة لتلك البلاد كلها .

يقول أحد الواصفين لها : " ان ملوك بنى أمية حين اتخذوها حاضرة ملكهم لعلى بصيرة : الديار الكثيرة ، المنفسحة ، والشوارع المتسعة ، والمباني الضخمة ، والنهر الجارى ، والهواء المعتدل . . . والمحرث العظيم ، والتوسط بين شرق الأندلس وغربها ."^٤

قلت : ومن أعظم ما تتميز به قرطبة : مسجدها الجامع المشهور فقد توالى عليه الزيادات من خلفاء بنى أمية ، حتى بلغ الغاية ، وطار ذكره ، وأصبح من أجل مساجد الدنيا فى ذلك الوقت ، كبر مساحته

(١) هو : جاحظ المغرب ، أبو محمد عبد الله بن ابراهيم صاحب المسهب : وهو كتاب قد أكثر العلماء النقل منه ، والحجارى : بكسر الحاء وفتح الجيم وكسر الراء ، نسبة الى وادى الحجاره ، ومد ينتقوا دى الحجاره من المدن التابعة لطلطلة . المغرب فى حلى المغرب ٢ : ٣٥٠ ، و ٧ : ٢ ، و ٢ : ٢٦ ، وصفة جزيرة الأندلس ١٩٣ .

(٢) وصفة جزيرة الأندلس ١٥٣ وقضاة قرطبة للخشنى ٢ ، ونفع الطيب ح - ع ١ : ٤٦٠

(٣) نفع الطيب ح - ع ١ : ٤٥٩

(٤) نفع الطيب ح - ع ١ : ٤٦٢

واحكام صنعة ، وجمال هيئة ، واتقان بنية "١" وقد غنى بها الخلفاء
أشد غاية ، فتمقوها تعميقا مبالغيا فيه ، وطولا وعرضا ، وكانت مسقفة
النصف ، والنصف الآخر صحن بلا سقف ، وبلغ طوله بعد تلك الزيادات
الى مائة باع وعرضه ثمانون باعا "٢" . كما ذكر أن عدد المساجد
بقرطبة وحدها فى تلك العهود الميمونة التى تكن فيها الاسلام
من الانتشار هنالك : قد بلغ ٤٩١ مسجدا "٣" أعادها الله
للاسلام وأعاد له هيئته وانتشاره حتى تشمل الطمأنينة والسلام جميع
العالمين آمين .

وأدع هنا قرطبة مكتفيا بهذه العجالة ، على أمل أن يهيمى الله
باحثين يفردونها بالبحث ، لكى يظهرها بظهورها اللائق بها ،
فقد أنجبت من الاعلام والافذاذ فى ميدان المعرفة ما لم تتجه أية مدينة
تطالعها فى نأيتها عن مشرق العلوم الاسلامية ومنبعها "٤" وذلك ما
يجعلها فى نظرى حرية ببحوث شاملة تتبين من خلالها قيمتها
بمقدار مساهمتها فى نشر الاسلام وتخليده ، اذ بذلك تظهر مزايا
العلماء ، ومزايا بلدانهم .

٢ - أشبيلية "٥" من أعظم مدن الأندلس ، بعد قرطبة . ومن أقدمها
ومن محاسنها اعتدال الهواء ، وجودة المباني "٦" .

(١) البيان المغرب لابن عذارى ٢: ٢٢٩ ، وصفة جزيرة الأندلس ١٥٣ ،

ونفح الطيب ح - ع ١ : ٤٦٠ ، و ١ : ٥٤٥

(٢) وصفة جزيرة الأندلس ١٥٣

(٣) نفس المصدر السابق ١٥٧

(٤) انظر : نفح الطيب ١ : ٢٠٤ ، و ٤٠٥ ، و ٢٠٦ ، و ٢٠٧ ، و

٩٣ : ٢ ، و ١٥٤ : ٤ ، وما بعده الى ١٧٠ : ٤ ، وهو عبارة عن رسالة

بن حزم فى فضائل أهل الأندلس

(٥) هى : بكسر الهمزة وسكون الشين وكسر الباء واللام وفتح الياء وتاء

مربوطة . وصفة جزيرة الأندلس المنتخب من الروض المعطار ١٨

(٦) وصفة جزيرة الأندلس ١٨ ، ونفح الطيب ح - ع ١ : ١٥٦ - ١٥٧

قال عنها الحميدى : أنها من الكور المجندة ، نزلها جند من حمص الشام ٠٠٠ وهى من أمصار الأندلس الجلييلة الكثيرة المنافسح ، العظيمة الفوائد ، "١" وكانت عامرة ولها أسوار حصينة وسكنها خلق لا يحصون كثرة ، وأكثرهم مهاجرين أصحاب تجارة . وهى مطلة على النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة ، وسها البساتين والخيرات المتعددة ، وأسواق قائمة "٢" ومن جملة ما ذكر فى المقارنة بينها وبين قرطبة ، ما حكاه المقرئ :

أن قرطبيا وأشبيليا تجادلا فى ذلك ، فقال له القرطبي :
 " ما أدري ما تقول : غير أنه إذا مات عالم بأشبيلية ، فأريد بيع كتبه حملت الى قرطبة ، حتى تباع فيها ، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية ، ثم قال : وقرطبة أكثر بلاد الله كتباً "٣".

قلت : ولا يخفى ما فى هذه المقارنة الخاطفة من تفضيل قرطبة عليها بما لا يدع مجالاً للمناظرة .

٣ - طليطلة "٤" وهى من أعظم مدن الأندلس ، وفى وسطه ، كثيرة البشر حصينة لها أسوار حصنة ، وذكر أنها من بنيان العطارق ، وتقع على ضفة النهر الكبير "٥" وسها بساتين أحدها بها ، وأنهاراً مخرقة ، ورياض ، وفواكه حسان مختلفة الطعم واللوان ، وضياء بديعة وقلاع منيعة ، وقد كانت من تلك الأقاليم التى ازدحمت بالعلماء ، وأصحاب الوجاهة ، فعلى شأنها بنسبتهم اليها ، فما أكثر ما يقال : فلان الطليطلى "٦".

-
- (١) البيان المغرب لابن عذارى ١٤:٢ ، وصفة جزيرة الأندلس ٢١
 - (٢) نفح الطيب ح - ع ١٥٨:١ - ١٥٩ ، وصفة جزيرة الأندلس ١٨ و ٢١
 - (٣) نفح الطيب ح - ع ١٥٥:١ ، و ٤٦٣:١
 - (٤) بضم الطائين . وفتح اللامين وسكون اليا ، وتاء مربوطة . وصفة جزيرة الأندلس ١٣٠
 - (٥) نفح الطيب ح - ع ١٦١:١ ، والقصد والام لابن عبد البر ٣٤ ، وصفة جزيرة الأندلس ١٣٠
 - (٦) المغرب فى حلى المغرب ٨:٢ ، وصفة جزيرة الأندلس ١٣٢ ، ونفح الطيب ح - ع ١٦٢:١

٤- بلنسية "١" مدينة بالاندلس ، وتقع شرقى قرطبة ، وهى : بركة كهاى بحرية فى آن واحد ، وتعرف بمدينة التراب ، وبينها وبين قرطبة فسى بعض الطرق ستة عشر يوما ، وفى الطريق الآخر ثلاثة عشر يوما "٢" ، ومعتبرها المؤرخون : أجمل مكان بالاندلس ، قال ابن سعيد : " طيب الاندلس ومطعم الأعين والأنفس ، قد خصها الله بأحسن مكان ، وحفها بالأنهار والجنان ، فلا ترى إلا ماها تنفع ، ولا تسمع إلا أطيارا تسجع ، ولا تستشق إلا أزهارا تنفع ، وما أجلت لخطابها فى شىء إلا قلت : هذا ألمح " ، "٣"

وهذاوصفا أخاله حقا لا غلوف فيها ، وكانت من أعظم مدن الاندلس وأكثرها عمارة بالتجارة ، كما اشتهر أهلها بالعلم والمعرفة وحسن الزى وكرم الأخلاق . "٤"

قلت : وبعد هذه الإشارة الخاطفة الى أهم المدن التى أسهمت أسهاما مباشرا فى الثقافة الاسلامية ، أعود الى ما أنا بصدده الحالة العلمية بالاندلس زمن ابن عبد البر .

فالكلام على الحالة العلمية آنذاك يستدعى الإشارة أولا الى تلك المذاهب التى تنافس أهلها فى إيصالها الى كل البلاد الاسلامية ، فلا شك أن الاندلس قد صارت ميدان المسابقة لأهلها ، فكان له حظ من جميع تلك المذاهب

(١) بفتح الباء واللام والياء ، وسكون النون وكسر السين ، معجم البلدان للحموى ١ : ٤٩٠ . وصفة جزيرة الاندلس ٢٤٧

(٢) نفح الطيب ج- ع ١ : ١٧٩ ، ومعجم البلدان للحموى ١ : ٤٩٠ ، وصفة جزيرة الاندلس ٤٧

(٣) المغرب فى حلى المغرب ٢ : ٢٩٧ ، ونفح الطيب ج- ع ١ : ١٨٠ - ١٨١

(٤) وصفة جزيرة الاندلس ٤٧ وما بعده . والمغرب فى حلى المغرب ٢ : ٢٩٨

الاسلامية "١" وأول الداخلين اليه المذهب الشامي الذي عرف بمذهب
الأوزاعي ، وكان أول من أدخله هنالك : الامام صعصعة "٢" ومعاوية بن
صالح "٣" ولذا يقول المقرئ : " وأعلم أن أهل الأندلس كانوا في القديم على
مذهب الأوزاعي ، وأهل الشام منذ أول الفتح "٤"

ثم ظهر مذهب الأخفاف ، وكان من جملة الذين قاموا بنشره وإيضاح
معالمه : زيد بن بشير "٥" ولم يزل هنالك من يتمسك بمذهبهم رغم ما سيأتي
من انتقال الجميع الى مذهب المالكية .

(١) قال المقرئ ناقلاً ما آل اليه الأمر فيما بعد : " ولا مذهب لهم الا مذهب
مالك ، قال : وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به
بمحاضر ملوكهم ، ذوى الهمم فى العلوم " نفح الطيب ١ : ٢٠٦

(٢) هو : الامام صعصعة بن سلام الأندلسي ، فقيه من أصحاب الأوزاعي
وكانت وفاته سنة ١٩٢ ، جذوة المقتبس للحمدي ، الطبعة الجديدة
٢٤٤ - ٢٤٥ ، ونغية الملتبس للضبي ٣١١

(٣) هو : معاوية بن صالح الحضرمي من أهل حمص الشام ، ثم خرج
منها سنة ١٢٥ وقدم الى مصر ، ثم خرج منها الى الأندلس ، فلمّا
استقر عبد الرحمن الداخل بالأندلس ، اتصل به ، فولاة قضاء الجماعة
كلها . بنغية الملتبس ٤٤٣ . وجذوة المقتبس الطبع الجديد ٣٣٩
وتهذيب التهذيب لابن حجر ١٠ : ٢٠٩

وكان أيضاً من حملة الحديث المشهورين به ، وكان في وفاته خلاف ،
والذي يبدو وأنه توفي سنة ١٥٨ ، جذوة المقتبس ط ج ٣٣٩ - ٣٤٠ ،
وتذكرة الحفاظ للذهبي ١ : ١٧٦ ، وتاريخ العلماء لابن الفرضي القسم
الثاني ١٣٨ ، ونغية الملتبس للضبي ٤٤٤ ، وقضاة قرطبة للخشني
١٥ - ٢١

(٤) نفح الطيب للمقرئ ٤ : ٢١٤

(٥) هو زيد بن بشير الأندلسي ، وكان قد تفقه على مذهب الكوفيين الأخفاف
وأتى عليه الطحاوي على ما ذكره الحمدي ، انظر : تاريخ علماء الأندلس
لابن الفرضي ١٥٦ ، وجذوة المقتبس للحمدي ط - ج ٢١٩ ، ونغية
الملتبس ٢٨١

قلت : وفي تلك الاثناء طرق عليهم الباب : مذهب أهل الظاهر ،
فأخذ سبيله الى الانتشار ، وكان أول من أدخله الأندلس هو : عبد الله
بن قاسم ^١ وكان له ميل عظيم الى مذهب الظاهرية ، فأدخل ما أمكنه
من كتبهم الى الأندلس ^٢ .

قلت : ولا يخفى على من عنده الطم بتاريخ المذاهب الناشئة : أن
مذهب الظاهرية قد بقي ضعيفا في الأندلس ، حتى أخذ به أبو محمد علي
بن أحمد المشهور بابن حزم ^٣ وعندئذ ناقشه العلماء ، فبانت معالم
مذهبه ، وظهر الناقمون عليه ، فانتشر من وقته حتى وصل الى معظم
أقطار الاسلام .

وكذلك كان من بين الأندلسيين من اختاروا مذهب الإمام الشافعي
فصاروا اليه ، ودافعوا عنه ، فقد كان قاسم بن محمد ^٤ شافعي المذهب
وكان له تحقيق واسع في مذهب الشافعي ، فألف تأليف حسان ، من
جملتها الايضاح في الرد على المقلدين ، وغيره ، وكان مشهورا بها حسب

(١) هو : عبد الله بن قاسم بن هلال الأندلسي ، فقيه جليل ، كان مشهورا
بالرحطة والطلب ، وتوفي سنة ٢٩٢ هـ . انظر : بغية الملتبس ٣٣٧ ،
والبيان المغرب لابن عذاري ١٤٢ : ٢ .

(٢) البيان المغرب ١٤٢ : ٢ . قال : " وأدخل الأندلس كتب داود
القياسي ، وغيره " .

(٣) انظر : ابن حزم الظاهري لزكريا ابراهيم ، ١٠٥ .

(٤) هو قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار مولى هشام بن عبد الملك
وقال له : البيهقي ، كان محدثا فاضلا وله ميل كبير الى مذهب
الإمام الشافعي ، وقد أتى عليه العلماء بما هو أهله ، وتوفي سنة
٢٧٨ ، انظر : جذوة المقتبس للحمدي طبع جديد ٣٢٩ وبغية
الملتبس ٤٣١ وفضائل أهل الأندلس لابن حزم ١٥ قال : وتأليف
قاسم بن محمد المعروف بصاحب الوثائق وكلها حسن في معناه ، وكان
شافعي المذهب نظارا جاريا في ميدان البغداديين . ونفسح
الطيبح - ع ١٧١ : ٣

الوثائق "١" وقد كان قاسم هذا هو الذى مكن لهذا المذهب فى قرطبة .

قلت : والذى يبدو أن مذهب الشافعى قد وجد مجالا بالأندلس أكثر اتساعا من مجال مذهب الأحناف ، ولعل ذلك كان بسبب قرينه من مذهب مالك الذى ارتضى الجميع رأيه كما سيأتى ان شاء الله .

وهكذا بقيت الفتوى تجرى على هذه المذاهب التى وصلت الى الأندلس بحرية كاملة مدة طويلة ، الى أن تمكن المذهب المالكى بالأندلس ، الذى كان أول من أدخله الى الأندلس زياد عبد الرحمن شبطون "٢" ومضى فى نشر مذهبه المالكى الى أن اتصل به طلبة عطاش الى المعرفة ، فينهلون من معينه ، ثم يرحلون الى حيث استقى هو علمه ، فيأخذون كما أخذ ويعسودون ، ثم يكون لبعضهم أكبر الأثر فى إرجاع الجمهور الى مذهبهم الحاض المالكى ، وعلى رأسهم يحيى بن يحيى الليثي "٣"

(١) جذوة المقتبس طبع جديد ٣٢٩ ، ومغية الملتبس ٤٣١ - ٤٣٢ ،
وفضائل أهل الأندلس لابن حزم ١٥

(٢) هو : زياد بن عبد الرحمن بن زهير اللخمي المعروف بشبطون فقيه أهل الأندلس على مذهب مالك ، وكان رجلا صالحا عرض عليه القضاء فلم يقبله ، بل خرج هاربا بنفسه ، توفي سنة ١٩٩ ، وقيل : ١٩٣ ، وقيل : ٢٠٤ ، أنظر : جذوة المقتبس للحمدي طبع جديد ٢١٨ - ٢١٩ ، ومغية الملتبس ٢٨٠ ، وتاريخ علماء الأندلس ١٥٤ ، وقضاة قرطبة للخشني ٣ - ٤ .

(٣) هو : يحيى بن يحيى الليثي ، من أهل قرطبة ، وأصله من البربر ، من مصوذة قبيلة منهم ، وتولى بنى ليث ، يكتى أبا محمد ، وقد سمع مالكا ، وابن القاسم ، وكان مالك يسميه عاقل الأندلس ، وأليه انتهت رئاسة الفقه على مذهب الامام مالك بن أنس ، وقد عرض عليه القضاء مرارا فاعتذر ، بأنه هو المرجع اذا ظلم أحد القضاة الرعية ، وكان ذلك لارتفاع منزلته عند الخلفاء بالأندلس ، وكانت وفاته سنة ٢٣٤ . ارجع الى المراجع التالية : جذوة المقتبس ط ج ٣٨٤ ، وتاريخ علماء الأندلس ١٧٩ ، ومغية الملتبس ٤٩٥ وما بعده . وقضاة قرطبة للخشني وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٣٠٠ : ١١ - ٣٠١ .

قلت : ويحيى هذا هو الذى نشر مذهب مالك بالأندلس حتى غلب على غيره ، وتغلبت به جماعة لا يحصون كثرة ، قال عنه الحميدى : وكان مع امامته ودينه مكينا عند الأمراء معظما ، وغنفا عن الولايات متميزا عن القضاة^١

وكان حريصا على أن يكون عمل القضاة ، وغيرهم على مذهب مالك ، فاستعمل نفوذه فى ذلك . قال الحميدى : سمعت الفقيه الحافظ أبا محمد على بن أحمد - ابن حزم - يقول : مذهبنا انتشرا فى بدء أمرهما بالرياسة ، والسلطان : مذهب أبى حنيفة فإنه لما ولى قضاء القضاة أبى يوسف ، كانت القضاة من قبله ، فكان لا يولى قضاء البلاد من أقصى المشرق الى أقصى أعمال إفريقية الا أصحابه والمنتسبين الى مذهبه ، قال : ومذهب مالك بن أنس عندنا فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان^٢ مقبول القول فى القضاة ، فكان لا يلى قاض فى أقطارنا الا بمشورته ، واختياره ، ولا يشير الا بأصحابه ومن كان على مذهبه ، قال : والناس سراع الى الدنيا والرياسة ، فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم . به .^٣

وقد كان انتقال الأندلس الى مذهب مالك على ما ذكره المقرئ فى زمن الحكم بن هشام . قال : أعلم أن أهل الأندلس كانوا فى القديم على مذهب الأوزاعي وفى دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، وهو ثالث الولاة بالأندلس من الأمويين : انتقلت الفتوى الى رأى مالك بن أنس ، وأهل المدينة ، قال : فانتشر علم مالك ورأيه بقرطبة والاندلس جميعا ، بل والمغرب^٤ .

واختلف أهل التاريخ فى الأسباب الموجبة لهذا الانتقال المشدد فى تنفيذه ، بعد ما ذكرنا عن يحيى بن يحيى اللبثي ، فقال بعضهم :

-
- (١) جذوة المقتبس للحميدى طبعه جديدة ٣٨٣
 - (٢) نفس المصدر السابق ٣٨٣٠٠٠
 - (٣) بغية الملتصم ٤٩٧ ، وقضاة قرطبة للخشني ٤ - ٥ ، وجذوة المقتبس ٣٨٥
 - (٤) نفح الطيب للمقرئ ٤ : ٢١٤

ان بعض التلاميذ الذين وصلوا الى مالك بالمدينة ، وصفوا علمه وسيرته وتواضعه ، بعد رجوعهم الى الأندلس : للحكم الأموي الخليفة آنذاك ، فأعجب به ، وحمل الناس على مذهبه . وقيل : ان مالكا : قد اتى على الحكم الأموي في محضر من أصحابه الأندلسيين ، فنقلوا ذلك الشا إلى الحكم فاختلفوا في الحال مذهب مالك من بين تلك الآراء "١" ، وزاد بعضهم آراء أخرى في ذلك يحتمل أن يكون لها دخل في وقوع ذلك التحول السريع ، إلا أنني لا أقتنع ببعض تلك الآراء . "٢" المنتشرة بالأندلس ، وأيا ما كان السبب فان الحكم والقضاء قد استقرا على مذهب مالك ، ولم يزاحمه مذهب من المذاهب هناك إلا ما سيأتي ان شاء الله مما حصل بين المالكيين وأهل الحديث ، من أخذ ورد في تلك الحقبة ، (أهل الحديث بالأندلس) .

وتظهر طلائع الحديث النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم بظهور الامام بقى بن مخلد "٣" أحد تلاميذ يحيى بن يحيى السابق الذكر ،

-
- (١) نفع الطيب للمقرئ ٤ : ٢١٤ - ٢١٥
 - (٢) راجع : التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ٤ : ٢٢١ - ٢٢٢
 - (٣) بقى بن مخلد : بقى بفتح الباء وكسر القاف ، ومخلد : بفتح الميم وسكون الخاء ، وفتح اللام ، وفي هذا : أبو عبد الرحمن من حفاظ - المحدثين ، وأئمة الزهاد الصالحين ، رحل الى المشرق فروى عن الأئمة وأعلام السنة ، منهم الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه وأبو بكر بن أبي شيبة ، واحمد بن ابراهيم الدوري ، ويحيى بن معين ، وغيرهم من الأئمة الكبار بالمشرق في ذلك الزمن ، قال الحمدي في جذوة المقتبس : قال لنا ابو محمد . . . بن حزم : فمن مصنفات أبي عبد الرحمن بقى بن مخلد : كتابه في تفسير القرآن فهو الكتاب الذي ، أقطع قطعاً لا أستثنى فيه انه لم يؤلف في الاسلام مثله ، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ، ولا غيره ، ومنها في الحديث مصنفه الكبير الذي رتبته على اسماء الصحابة رضي الله عنهم ، فروى فيه عن الف وثلاثمائة صاحب ونيف ، ثم رتب حديث كل صاحب على اسماء الفقه ، وأبواب الأحكام ، فهو مصنف ومسنند معاً ، قال : ولا أعلم هذه الرتبة لأحد قبله ، مع ثقته وضبطه وإتقانه وجودة شيوخه ، فانه روى عن ١٨٤ رجلاً ليس فيهم عشرة ضعفاء وسائرهم أعلام جذوة المقتبس طبع جديد ٢٧٧ ، وتاريخ العلماء لابن الفرض القسم الأول ٩١ - ٩٣ وقال عنه الحمدي : وكان ذا خاصة - بالامام - احمد بن حنبل وجارياً في مضار أبي عبد الله البخاري وأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، وأبي عبد الرحمن النسائي

فيقوم بنشر الحديث وتدرسه للناس ، في المساجد وغيرها كما هو الواجب الذي تؤكد به الشريعة •

قلت : ويمضى بقى فى عمله ذلك ، الى أن فاجأه الفقهاء ، والمقلدون ، وأصحاب المصالح الخاصة ، وكان سبب ذلك أنه قدم الى الأندلس بعد رحلته الطويلة ، بمصنفات كثيرة لا يعرفونها ، فقد بالغ فى الجمع والرواية فعلاً البلاد علماً جما ، قال ابن حزم : صارت تواليف هذا الامام الفاضل : قواعد للإسلام لا نظير لها ، وكان متميزاً لا يقلد أحداً • "١"

وفى تصوير ما جرى بينه وبين بعض الفقهاء يقول ابن الفرضى : وقضى ملا الأندلس حديثاً مرواية ، فأنكر عليه أصحابه الأندلسيون "٢" وكان من أشدهم عليه محمد بن حارث "٣" ، أنكروا عليه : ما أدخله من كتب الاختلاف ، وفرائب الحديث وأفروا به السلطان وأخافوه به ، قال ثم ان الله بمنه وفضله أظهره عليهم ، وعصمه منهم ، فنشر الحديث ، وقرأ للناس روايته ،

= وقال : مات سنة ٢٧٦ وكانت ولادته سنة ٢٠١
انظر ترجمته : تاريخ العلماء لابن الفرضى القسم الأول ١٧٩ - ١٨١ ،
وجذوة المقتبس لطبع الجديد ١٧٧ - ١٧٩ ، وخية الملتبس ٢٢٩ -
٢٣٢ ، ونفح الطيب ٣ : ٢٧٢ - ٢٧٤ ، وفصائل أهل الأندلس لابن حزم
١٣ - ١٤ وطبقات الحنابلة لأبى يعلى ١ : ١٢ قال : رحل الى اماننا
احمد فسمع منه مرجع الى الأندلس فلهذا علما جما وكان ذا خاصة من
اماننا احمد

- (١) جذوة المقتبس للحميدى طبع جديد ١٧٧ - ١٧٨
- (٢) قلت : فى هذا التصريح من ابن الفرضى ما يصحح أن بقى بن مخلد هو المؤسس الأول لمدرسة الحديث بالأندلس ، لا ما ذكره بعضهم من أن كلا من معاوية بن صالح وزيد شبطون ، ويحيى بن يحيى ، يعتبرون من المؤسسين لتلك المدرسة ، وذلك لعدم ذكرهم فى مجال نشر الحديث كما وقع لبقى ، وقد كانوا قبله ، وتمكنوا من نشره ، وقد وافق غير واحد ابن الفرضى على جعله بقيا مؤسسا حقيقيا تلك المدرسة •
- (٣) هو : محمد بن الحارث بن أبى سعيد يكنى أبا عبد الله ، وكان من أهل قرطبة استطاعنا لا ولادة ، روى عن أبيه ، وعن يحيى بن يعلى اللشى ثم حج وسمع بمكة المكرمة ومصر من غير واحد قال ابن الفرضى : وكان قليل الفقه وأحد الثلاثة الذين قاموا على بقى بن مخلد ، الا أنه كان أجلبهم فى قصته ، وقال عنه القاضى عياض : وكان حافظا للفقه متقدما فيه • قلت : ولا يخفى أن هذا يعارض كلام ابن الفرضى السابق

فمن يومئذ انتشر الحديث بالأندلس ، قلت : فقصة ورود بقى الى الأندلس بما ورد به ، من العلم ، وكيف قابله الأندلسيون ، أكبر من أن تترك هكذا بدون البحث عن كل ما وقع ، لما فى ذلك من العبر والمفوائد .

فهناك وصف لتلك الواقعة أشمل مما ذكرناه وأكمل ، ان الأولى بنا ايراده لتوضيح جميع جوانب القصة وذلك هو وصف ابن عذارى قال فى مجرى الكلام على الأمير محمد "١" بن عبدالرحمن الأموى :

" وفى صدر دولته سعى ببقى بن مخلد الى الأمير محمد ، وذلك أنه لما قدم بقى بن مخلد من المشرق من رحلته الطويلة بما جمع من العلوم الواسعة ، والروايات العالية ، والاختلافات الفقهية ، أفاظ ذلك فقها قرطبة ، أصحاب الرأى والتقليد ، "٢" الزاهدين فى الحديث ، الفسارين عن علوم التحقيق ، المقصرين عن التوسع فى المعرفة ، فحسدوه ، ووضعوا فيه القول القبيح عند الأمير ، حتى الزموه البدعة ، وشنئوه الى العامة ، وتخطى كثير منهم برمييه الى الالحاد والزندقة ، وتشاهدوا عليه بغليظ الشهادات ، داعين الى سقك دمه وخاطبوا الأمير محمدا فى شأنه ، يعرفونه بأمره ، ويكثرون "٣" عليه بكل ما يرجون به الوصول الى سقك دمه ، ويسألونه تعجيل الحكم فيه ، فاشتد خوف بقسى بن مخلد جدا ، واستتر خوفا على دمه ، وعمل على الفرار عن الأندلس ان أمكنه ذلك "٤"

القاضى بقله فقهه ، وخاصة اذا أضفنا الى كلام عياض ما نقله أيضا عن أبى أيوب أنه قال : كان ابن حارث نبيها ذكيا فقيها فطنا ، فلا شك أن التعديل مقدم على التجريح فى المفسر ، انظر : ترتيب المدارك للقاضى عياض ٢ و ٤ : ٥٣١ ، وتاريخ علماء الأندلس لابن القرضى ٥٨ .

(١) هو الأمير محمد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام الأموى ابو عبد الله ولد سنة ٢٠٧ وبيع بالخلافة سنة ٢٣٨ وتوفى سنة ٢٧٣ ، البيسان المغرب ٢ : ٩٣ - ٩٤ ، وجذوة المقتبس طبع جديد ١١ ، وصغية — الملتبس ١٦ ، ونفع الطيب للمقرئ ١ : ٣٢٨ ، والمغرب فى حلى المغرب ١ : ٥١ .

(٢) البيان المغرب لابن عذارى ٢ : ١٠٩ .

(٣) نفس المصدر السابق ٢ : ١١٠ .

(٤) البيان المغرب ٢ : ١١٠ .

قال : فأرشدته الله الى التعلق بحبل هاشم بن عبدالعزيز^١ "وسوء" الى الأخذ بيده ، وكتب الى الأمير محمد ينشده الله فى دمه ، ويسأله التثبيت فى أمره ، والجمع بينه وبين خصومه ، وسماع حجته ، فيأتى فى ذلك بما يوفقه الله له .
قال : فألقى الله فى نفس هاشم الاصخاء الى شكواه ، والاعتناء بأمره ، فحضر له عن ساعده ، وأوصل كتابه الى الأمير محمد يشرح حاله ، فعطف عليه ، واتهم الساعين به اليه .

قال : فأمر بتأمين بقى بن مخلد ، واحضاره مع الطالبين له ، فتناظروا بين يديه ، فأدلى بقى بحجته ، وظهر على خصومه واستبان الأمير محمد حسدهم اياه ، لتقصيرهم عن مداه ، فدفعهم عنه ، وتقدم اليه بطأطاً قدمه ، ونشر علمه . قال : وأمر بإيصاله اليه فى زمرة من الفقهاء ، والرفع من منزلته فاعتلى ذروة العلم ، ولم يزل عظيم القدر عند الناس وعند الأمير محمد الى أن مات "٢"

ومما يتعلق بقصة بقى ، ما ذكره ابن سعيد عن الحميدى : قال : كان الأمير محمد محبا للعلوم مؤثرا لأهل الحديث ، عارفا بحسن السيرة ، قال : ولما دخل بقى الأندلس بكتاب مصنف أبى بكر بن أبى شيبة ٠٠٠٠ وذكر القصة الى أن قال : واستحضر الأمير ذلك الكتاب وجعل يتصفحه جزءا جزءا الى أن أتى على آخره ، وقد ظهن الفقهاء أنه يوافقهم على انكاره ، ثم قال بعد تصفحه لخازن مكتبته : هذا كتاب لا تستغنى خزائننا عنه ، فانظر فى نسخه لنا ، ثم قال لبقى بن مخلد :

انشر علمك ، وارو ما عندك من الحديث ، واجلس للناس حتى ينتفعوا بك . وشدد النهى للفقهاء ، وحذرهم فى أن يتعرضوا له مرة ثانية "٣" هذا ملخص تلصق القصة عند أكثر روايتها .

(١) وهو هاشم بن عبدالعزيز بن هاشم ابو خالد أخو أسلم بن عبدالعزيز القاضى ، مذكور بالأدب والفضل ، جذوة المقتبس الطبع الجديد ٣٦٤ ، وخية الملتبس ٤٧٠ ، والمغرب فى حلى المغرب ٥٢ : ١ وقال عنه :
وكان محمد قد فوض أمر دولته لهاشم بن عبدالعزيز أعظم وزرائه ، واشتمل عليه اشتمالا كثيرا

(٢) البيان المغرب لابن عذارى ٢ : ١١٠

(٣) المغرب فى حلى المغرب ٥٢ : ١ ، وجذوة المقتبس ط ج ١١ . ونفسح الطيب ٣ : ٢٧٣

ويمكن لنا أن نأخذ منها ما يلي :

أولا : أن الناس في كل زمان ، وكان أعداء لما جهلوا ، ولو كان حسنا صالحا .
ثانيا : أنه لا ينبغي للعالم أن يترزع في مثل هذه المواقف ، فيترك الحق واضحا أمامه لفعل من لا يقدر قيمة ذلك الحق .

ثالثا : أنه ينبغي ، بل يجب التحقيق قبل اصدار الحكم على من كان موقفه كموقف بقى في تلك اللحظات الحاسمة ، اذ في اصدار الحكم بالمنع مثلا لو صدر لا قدر الله ، مافيه امانة للدين ، واضاعة لمصدره الثاني — السنة — في تلك البقاع ، وذلك ما لا يجوز أن يقره المسلمون في أى وقت من الأوقات ، أو فى زمن من الأزمنة .

رابعا : أنه يجب على المسلمين اظهار الحق ، وتبيان ، والدفاع عنه ، مهما كانت أساليب ذلك الاظهار ، أو الدفاع ، فهنا مثلا فى القصة السابقة : لو لم يقم هاشم بن عبدالعزيز بالتوسط لبقى بن مخلد الى امام المسلمين ، لضاع ذلك الحق ، ولحرم الأندلس (الفردوس المفقود على ما يقوله بعضهم) فى تلك الآونة من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وفى ذلك من المفسدة ما لا يجوز — للمسلمين السكوت عليه والتغاضى عنه .

قلت : ولم يكن موقف الأمير محمد المشرف هذا مع بقى بن مخلد بدعا من نوعه ، من تلك الدولة الأموية ، بل كان الأمراء قبله بالأندلس على ذلك النهج يحترمون الفقهاء ، والحنابلة ، ويستشيرونهم فى كل أمورهم السياسية ، وغيرها^١

يقول الدكتور صالح رضا : وقد كانت مكانة العلم بالأندلس على ما ذكرت — أى سبق من كلامه — لتشجيع الأمراء عليه اذ كان جلهم ممن يقرئون العلماء ويجلونهم^٢ .

والذى يبدو لى أنا : أن عبدالرحمن الداخل المؤسس الأول لدولة بنى أمية بالأندلس قد ورث أبناءه من بعده الى هذه الحقبة من الزمن التى تكلمت

(١) انظر : البيان المغرب ٣ : ١٠٥ و ٣ : ١١٢ ، ومدنية العرب —

لجوزيف ماك كيب ٢٩

(٢) مدرسة الحديث بالأندلس لصالح رضا ٥١ .

عليها : تعظيم العلماء ، واحترام طلبة العلم ، وتشجيع نشر العلم . فالمتبحر لتاريخ هذه الدولة يعلم أنه لم تستقر أقدامهم بالأندلس ، إلا وكان أكبر همهم نشر الثقافة الإسلامية ، التي كانت العربية أداتها الملتصقة بها ، فقد كانت علوم الشعر ، والبلاغة والعروض ، وكل ما يخدم الدين ثم اللغة العربية : ميدان المسابقة بين الجميع : المحدث ، والمفسر ، والفقير ، والمغوى^١ الكل مشتركون في تلك المسابقة ، فاستفادوا وأفادوا ، وخلفوا لنا هذه الكنز الثمينة ، التي لا يمكن أن يخلفها إلا أمة عشعش عليها نور الشريعة الإسلامية الغراء ، التي جعلها الله مفتاح الأفهام والمدارك الانسانية .

وهذا بخلاف ما يتهم به المستعمرون المشوهون : رجال أمتنا المسلمين حيث اتهموهم بقلّة الحقول وعدم الأفكار السديدة ، وهذا ما تكذبه كل كتب التاريخ اللهم إلا التي سطرتها أناملهم المحرفة الخائفة التي ما فتئت تسعى في القضاة على الاسلام ببشتى الوسائل ، ولن تستطيع الى ذلك سبيلا ما بقى الليل والنهار .

قلت : ولا يخفى أن تلك المسابقة من العلماء على نشر العلم ، والقيام بتدريسه بين الأتام ، كل ذلك كان في منازلهم ، ثم في المساجد ، وهناك لمحة من المقرئ عن نظر الأندلسيين عامة الى العالم ، وأين كان اجتماعهم به ، قال : " والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة ، يشار اليه ، ويحال عليه ، وينبه قدره وذكره عند الناس ، ويكرم في جوار أو ابتياح حاجة ، وما أشبه ذلك . قال : ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم ، بل يقرؤون جميع العلوم في المساجد ، ثم ذكر ما معناه أن العالم عندهم يتعلم العلم للعلم فقط ، لا لشيء آخر إلا لاكتساب الأجر بتعلم العلم وتحليمه ، ولم يكونوا يدرسون العلم لنيل الشهادات ، أو لأفراض دينية أخرى .^٢

(١) تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ١ : ١٠١

(٢) نفح الطيب ١ : ١٠٥

ويرتفع شأن أهل الحديث بالأندلس ، عند الخاصة ، والعامة ، بعد ما وقح لبقى بن مخلد ، حتى تكون لهم المنزلة العليا عند الأمراء ، وغيرهم^١ . ولكن ظل الأخذ والرد بينهم ، وبين فقهاء المالكية على شدته ، رغم الانتصار الذى سبق أن أحرزه بقى على الفقهاء ، ويطول ذلك الجدل بينهم الى أن يصل أقصاه أيام الحافظ بن عبد البر فيضطره الموقف المحتدم الى القيام ببيان تلك الأخطاء التى يرتكبها كل من المنتسبين الى أحد الطائفتين ، وبالرجوع الى ما قاله عنهم فى كتابه : جامع بيان العلم وفضله ، يتضح مقدار ما بينهما من الأخذ والرد ، فى تلك السفيرة ، فقد أورد فى عنوان (رتب الطلب والنصيحة فى المذهب) من كتابه المذكور : ما ينبغى لطالب العلم أن يفعله فى طلبه ، لكى ينال العلم ، وبين أن تلك السبل التى أشار اليها ، ونصح طلبه العلم باتباعها هى السبل التى كان عليها سلفنا الأولون ، الذى حسن حاذوا كل الفضائل .^٢

ثم أخذ الحافظ بن عبد البر يتكلم على حالة أهل العلم ببلده الأندلس كيف صاروا وكيف آل أمرهم ، فقال :

" اعلم رحمك الله أن طلب العلم فى زماننا هذا ، وفى بلدنا قد حاد أهله عن^٣ طريق سلفهم ، وسلكوا فى ذلك ما لم يعرفه أئمتهم ، وابتدعوا فى ذلك ما بان به جهلهم ، وتقصيرهم ، عن مراتب العلماء قبلهم . فطائفة منهم : تروى الحديث ، وتسمعه قد رضيت بالدواء^٤ فى جمع ما لا تفهم ، وقنعت بالجهل فى حمل ما لا تعلم ، فجمعوا الخث والثلثين ، والمصحح ، والسقيم ، والحق ، والكذب فى كتاب واحد ، وربما فى ورقة واحدة ، ويدينون بالشئ وضده ، ولا يعرفون ما فى ذلك عليهم ، قد شغلوا أنفسهم بالاستكثار عن التدبر والاعتبار ، فألسنتهم تروى العلم ، وقلوبهم قد غلت من الفهم ،

(١) البيان المغرب لابن عذارى ٢ : ١١٠

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ : ٢٠٤ ، ومراجع ما بعده .

(٣) جامع بيان العلم لابن عبد البر ٢ : ٢٠٧

(٤) نفس المصدر السابق ٢ : ٢٠٨

فاية أحدهم معرفة الكتب الغريبة ، والاسم الغريب أو الحديث المنكر ، وتجده قد جهل ما لا يكاد يسع أحدا جهله من علم صلاته ، وحجه ، وصيامه ، وزكاته .

قلت : هذه حالة بعض أهل الحديث في زمن الحافظ بن عبد البر ففى الأندلس على ما ذكره ، ولا يمكن أن نحتقد أن ذلك سبيل كل من ينتسب إلى الحديث فى تلك البلاد ، فى زمانه ، لعلنا بوجود أولئك الجهابذة الكبار من أهل الحديث بالأندلس فى تلك الأيام الذهبية أمثال ابن الغزى ، وعبد الوارث بن سفيان ، وغيرهما ممن ارتفع عن هذه الصفة التى ذكرها الحافظ ، ومعد ذلك جعل الحافظ بن عبد البر يحكى حالة طائفة أخرى فى زمانه بالأندلس تلك هى طائفة المتفقهة بغير السبل السلوكية للفقهاء ، بل قلدا من سبقهم فى آرائهم ، واكتفوا بذلك دون رجوع إلى الكتاب ، والسنة ، والاستنباط منهما . فقال : وطائفة هى فى الجهل كذلك أو أشد ، لم يعنوا بحفظ سنة ولا بالوقوف على معانيها ولا بأصل من القرآن ، ولا اعتنوا بكتاب الله جل وعز فحفظوا تنزيهه ، ولا عرفوا ما للعلماء فى تأويله ، ولا وقفوا على أحكامه ، ولا تفقهوا فى حلاله وحرامه ، قد اطرحوا علم السنن والآثار ، زهدوا فيها ، وأضرروا عنهما ، فلم يعرفوا الاجماع من الاختلاف ، ولا فرقوا بين التنازع ، والائتلاف ، بل عولوا على حفظ ما دون لهم من الرأى ، والاستحسان ، الذى كان عند العلماء آخر العلم والبيان ، وكان الأئمة يكون على ما سلف وسبق لهم فيه ، ويودون أن حظهم السلامة منه .

قال ابن عبد البر أيضا : ومن حجة هذه الطائفة فيما عولوا عليه من ذلك أنهم : يقصرون وينزلون عن مراتب من له القول فى الدين لجهلهم بأصوله ، وأنهم مع الحاجة اليهم لا يستغنون عن أجوبة الناس فى مسائلهم وأحكامهم ، فلذلك اعتمدوا على ما قد كفاهم الجواب فيه فيهم ، وهم مع ذلك لا ينشكون من ورود النوازل عليهم فيما لم يتقدمهم فيه إلى الجواب فيهم ، فهم يقيسون على ما حفظوا من تلك المسائل ، يفرضون الأحكام فيها ، ويستدلون منها ، ويتركون طريق الاستدلال من حيث استدلال الأئمة ، وهلماء الأمة ، فجعلوا ما يحتاج أن يستدل عليه دليلا على فيره .

قال ابن عبد البر أيضا : ولو علموا أصول الدين وطريق الأحكام ،
وحفظوا السنن كان ذلك قوة لهم على ما ينزل بهم ، ولكنهم جهلوا ذلك —
فعادوه وعادوا "١" صاحبه ، فهم يفرطون في انتقاص الطائفة الأولى "٢" ،
وتجهيلها ، وتلك تعيب هذه بضروب من العيب ، وكلهم يتجاوز الحد في الذم ٥

قال : وعند كل واحد من الطائفتين خير كثير وعلم كبير ٠٠٠٠ الى أن
قال الحافظ بن عبد البر في ضمن تعليقاته على حالة أهل العلم ببلده وبيان
الأميأ التي وقعت بين العلماء في أيامه قال :

واعلم يا أخى أن المفرط في حفظ المولدات لا يؤمن عليه الجهل بكثير
من السنن إذا لم يكن تقدم علمه بها ، وأن المفرط في حفظ طرق الآثار دون
الوقوف على معانيها وما قال الفقهاء فيها لصغر من العلم ، وكلاهما قانسح
بالشم من المطعم "٣"

وجعل ابن عبد البر يورد كلامه على أهل العلم ببلده الى أن قال ما
معناه : لا يخفى أن كل مناظرة جرت بين الاثنين إنما المقصد منها عند المسلمين
جميعا الوصول الى الصواب "٤" قال : وعلى هذا الناسرفى كل بلد الا عندنا
كما شاء الله ربنا وعند من سلك سبيلنا من أهل المغرب ، فانهم لا يقيمون علسة
ولا يعرفون للقول وجهها ، وحسب أحدهم أن يقول : فيها رواية لفلان مرواية
لفلان ، ومن خالف عندهم الرواية التى لا يقف على معناها ، وأصلها ، وصحسة
وجهها فكانه قد خالف نص الكتاب ، وثابت السنة ، ويجيزون حمل الروايات "٥"
المتضادة فى الحلال والحرام ، وذلك خلاف أصل مالك ، وكم وكم لهم من
خلاف أصول مذهبه مما لو ذكرناه لطلال الكتاب بذكره ، ولتقصيرهم عن علم أصول
مذهبهم صار أحدهم إذا لقى مخالفا ممن يقول بقول أبى حنيفة أو الشافعى

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ : ٢٠٨

(٢) أى أهل الحديث

(٣) جامع بيان العلم وفضله ٢ : ٢٠٩

(٤) نفس المصدر السابق ٢ : ٢٠٩

(٥) نفس المصدر السابق ٢ : ٢١٠

أوداود بن علي أو غيرهم من الفقهاء وخالفه في أصل قوله بقي متحيرا ولم يكن
عنده أكثر من حكاية قول صاحبه ، فقال : هكذا قال : فلان وهكذا رويانا ،
ولجأ الى أن يذكر فضل مالك ومنزلته ، واستمر الحافظ بن عبد البر يبين —
حالتهم العلمية في تلك الأيام الى أن قال :

وأجازوا النظر في اختلاف أهل مصر ، وغيرهم من أهل المغرب فيما
خالفوا فيه مالكا من غير أن يعرفوا وجه قول مالك ، ولا وجه قول مخالفه منهم ،
ولم يبيحوا النظر في كتب من خالف مالكا الى دليل يبينه ، وجه يقيمه لقوله ،
وقول مالك ، جهلا منهم ، وقلة نصح ، وخوفا من أن يطلع الطالب على ما هم
فيه من النقص ، والتقصير فيزهد فيهم ، وهم مع ما وصفنا يحييون من خالفهم
ويغتابونه ، ويتجاوزون القصد في ذمه ، ليوهموا السامع أنهم على حق وأنهم "١"
أولى باسم العلم . قلت : لقد بين لنا الحافظ بن عبد البر الحالة العلمية
بالأندلس في تلك المدة من الزمن ، وبين قسمي أهل العلم المتصارعين فسي
تلك الآونة ، كما أنه أوضح عيوب كل فرقة على حدة ، وشدد النكير عليهم كما
سبق ، وكما هو أيضا مسطر في (باب فساد التقليد ونفيه والفرق بينه وبين
الاتباع) من كتابه المذكور جامع بيان العلم وفضله ، "٢" فقد بين فيه الفرق
بين التقليد ، والاتباع ، ونهى على أهل زمانه كثرة تقليد هم ، وبين صفة من
له أن يقلد وهو العامي من الناس الذي لاحظ له من العلم "٣" وصفة من ليس
له أن يقلد ، وذكر كل ما يظن أنه يردع أولئك عن تلك السبل التي أحدثوها ،

قلت : الا أن اجمال الحافظ بن عبد البر في كلا البابين غير مقبول ،
كما سبق ، بيان بعض ذلك لأن الأندلس كما حوى تلك الطائفتين المتتين
سبق الكلام عليهما ، وهما : المتطرفون من أهل الحديث ، والمتطرفون من

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ : ٢١٠

(٢) " " " " " " ٢ : ١٣٣ وما بعده

(٣) قلت : والواقع أن الواجب الاتباع لما ذكر له من النصوص لا مجرد
التقليد الأعى .

المتفقهة ، فكذلك حوى قسما ثالثا : وهو المعتدل الذى سار على نهج من سبق من السلف ، فاجتهدوا فى جمع العلم كوحدة لا ينكح بعضه عن بعض ، فتحلموا السنن ، والفقه معصا ، فلم يروا الفرق بين ذلك ، بل رأوا أن من حمل الرواية بدون فهم فهو ناقص ، كما أن من أخذ بآراء الناس دون الرجوع الى أصولها بان الى غير أساس .

فهذه الطائفة المعتدلة ، أمثال الباجى صاحب المنتقى شرح الموطأ ، وشيخ من شيوخ الحافظ بن عبد البر كما سيأتى ان شاء الله ، وابن القزوينى صاحب تاريخ علماء الأندلس ، وقى بن مخلد صاحب التفسير والمسنند ، وغيرهم ممن لا يحصىون كثرة فى تلك الأيام الذهبية ، وهى الطائفة التى أخذ عليها الحافظ بن عبد البر ، وتأثر بها ، وانزمت نفسه بمنهجها ، فلذلك يقول فى نهاية كلامه على الطائفتين السابقتين الذكر :

” فعليك يا أخى بحفظ الأصول ، والعناية بها ، واعلم أن من عنى بحفظ السنن ، والأحكام المنصوصة فى القرآن ، ونظر فى أقاويل الفقهاء — فجعلها عونا له على اجتهاده ، ومفتاحا لطرائق النظر ، وتفسيرا لمجمل السنن المحتملة للمعاني ، ولم يقلد أحدا منهم تقليد السنن التى يجب — الانقياد اليها على كل حال دون نظرو ، ولم يرج نفسه مما أخذ العلماء به أنفسهم من حفظ السنن وتدبرها واقتدى بهم فى البحث ، والتفهم ، والنظر ، وشكر لهم سعيهم فيما أقادوه ونهبوه عليه ، وحمدهم — أى بعد الله — على صوابهم الذى هو أكثر أقوالهم ، ولم ييسرأهم من الزلل كما لم ييسرأوا أنفسهم منه .“

قال الحافظ : فهذا هو الطالب المتمسك بما عليه السلف الصالح ، وهو المصيب لحظه ، والمعائن لرشده ، والمتبحر لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهدى صحابته رضى الله عنهم .

قال : ومن أعف نفسه من النظر ، وأضرب عما ذكرنا ، وهاض السنن
برأيه ، هرام ان يردّها الى مبلغ نظره ، فهو ضال مضل ، ومن جهل ذلك
كله أيضا وتحم في الفتوى بلا علم ، فهو أشدّ عمى وأضل سبيلا ^(١) .

قلت : وعد كل ما سبق من أول هذا التمهيد الى هاهنا من بيان
الحالة السياسية والحالة العلمية في زمن ابن عبد البر بالأندلس ، أدع
هذا الموضوع ظنا مني أني قد أعطيته كثيرا مما يستحق من البحث ،
الى ما هو الأصل والأساس لموضوع الرسالة .

(١) جامع بيان العلم لابن عبد البر ٢ : ٢١١ .

الباب الأول

التعريف بالحافظ ابن عبد البر

وهو يشتمل على ما يلي من بحوث :

- | | |
|--------------|---|
| المبحث الأول | :: قبيلته |
| " الثاني | : بلده ومسكنه |
| " الثالث | : والده |
| " الرابع | : مولاده وتاريخه أغنى الحافظ |
| " الخامس | : نشأته |
| " السادس | : طلبه للعلم مع الحرص الشديد على تحصيله |
| " السابع | : حفظه |
| " الثامن | : رحلته في الطلب |
| " التاسع | : تفوقه على الأقران |
| " العاشر | : طبقته |
| " الحادي عشر | : عقيدته |
| " الثاني عشر | : مذهبه |
| " الثالث عشر | : شيوخه : |
- التعريف بالذين أثروا في تكوين شخصيته
أكثر فأكثر منهم وهم الأندلسيون .
- التعريف بالذين بعثوا اليه بالإجازة من
غير أهل الأندلس
- " الرابع عشر : تلاميذه :
- التعريف بمن اشتهر كثيرا منهم ، وبيان
مقدار تأثير ابن عبد البر في تكوين شخصياتهم .
- التعريف بالممكن من بقية تلاميذه تعريفًا
مختصرًا .

- المبحث الخامس عشر : كتيبه وهى على أربعة نقاط :
- أ - وصف عام لمصنفاته
 - ب - المطبوع منها
 - ج - المخطوط منها
 - د - الذى لم يصل إلينا ولم نسمع عنه شيئا
- التعريف بتلك الكتب تعريفا مختصرا
- السادس عشر : ثناء العلماء عليه
 - السابع عشر : ما أخذ عليه
 - الثامن عشر : ذريته
 - التاسع عشر : وفاته
-

المبحث الأول

قبيلته

ولا شك أن الألبام بقبيلته قبل كل شيء ، يتعلق به هو السبيل الأشمل
ففي البحث عن أصله نتبين من هي من قبائل الناس قبيلته ؟ ومن من أعراق
البشر الكثيرة عرقه ؟ وهل اتفق الناس على أصله أم اختلفوا ؟

فجوابا على هذه الأسئلة نقول : انه عربي أصيل من سلالة ربيعة بن نزار .
فابن عبد البر يرجع في نسبه عند كافة المترجمين له الا من هذه الى النمر
بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار
بن معد بن عدنان .^١ وقد كان هؤلاء العرب الأقحاح من ربيعة ، ومن
انحاز الى الأندلس وسكنها أيام فتحها الاسلام ، واستقر بها الأمن .

يقول المقرئ في جملة تصديده لقبائل العرب التي تحولت الى بلاد
الأندلس : " ومنهم من ينسب الى النمر بن قاسط الى أن قال :
كبنى عبد البر الذين منهم الحافظ أبو عمر بن عبد البر " .^٢

وقد أشار ابن عبد البر نفسه بعد أن أثبت نسبه الى ربيعة ، وأشار الى
ملا يخفى وهو أن ربيعة ومضر هما أصل العرب من ولد اسماعيل . بل ذكر
ان الإجماع حاصل من أهل النسب على أنهما هما اللباب والصرح من ولد
اسماعيل .^٣

(١) الأنباء على قبائل الرواة لابن عبد البر ٩٦ و ٩٧ ، وجمهرة أنساب العرب
لابن حزم ٣٠٠ ، والحلل السندسية لشكيب أرسلان ١ : ٢٩٤ ، والأنساب
المتفقة لأبي الفضل محمد بن طاهر القيسراني ٢٢١ .

(٢) نفح الميطب ١ - ٢٧٤ ، وترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠٨ ،
والأنساب للسمعاني مصور ٥٦٩ ، والدياج لابن فرحون ٣٥٧ ، واللباب
لابن الأثير ٢ : ٢٥٣ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٦ : ٦٩ ، والحلل
السندسية ١ : ٢٩٤ .

(٣) الأنباء على قبائل الرواة لابن عبد البر ٩٦ و ٩٨ .

ثم تطرق لذكر موقع فخذه بنى عبدالبر من ربيعة ، فذكر ما ملخصه
أن بطنه كان من أصحاب الرياسة والجاه في الجاهلية ، فقد تحول اليهم قبل
الاسلام كل شيء كان لربيعة من اللوا ، والحكومة ، والمروء ، وقد ولى ذلك
منهم الضحيان ، واسمه : عامر بن سعد بن الخزرج بن تم الله بن النمر
بن قاسط ، وانما سمي عامر ، بالضحيان : لأنه كان يجلس لقومه في
الضحاء لعامة مصالحهم ، وللحكم فيما بينهم ، ولذلك يقول فيه شاعرهم :
بنى الله للضحيان بيتا ورتبة وفي النمرى أبيات كرام وسودد

ومعد أن تحولت هذه القبيلة العريقة من موطنها الأصلي جزيرة العرب
الى الأندلس ، ولم تحدد المصادر متى كان ذلك التحول ، إلا أن الغالب أنه
كان عند تمكن الاسلام بالأندلس ، قلت : ومعد ذلك استوطنوا قلب الأندلس
ولبه النابض بالحياة ، وحيه المختار عند جميع الأندلسيين : مدينة قرطبة ^١ .

وهذا ما يتفق عليه مترجموه عامة ، وأعني نسبتهم الى مدينة قرطبة ، وأنها
موطنهم الأصلي بعد الانحياز الى الأندلس ^٢ . اللهم الا تلميذه المقرب لديه
الامام علي بن احمد المعروف بابن حزم فانه قال ما نصه : " ودار بنى النمر
بن قاسط بالأندلس : حصن وضاح من عمل ربه . وهي بفتح الراء وضم الياء
انظر ^٣ " ورية على ما قاله صاحب صفة جزيرة الأندلس : كورة من كور الأندلس
في قبلى قرطبة ^٤ " وعلى هذا يمكن لنا أن نفسر هذا الكلام من ابن حزم بما يلي :

- (١) الانباء على قبائل الرواة عن النبي صلى الله عليه وسلم لابن عبدالبر ٩٨
- (٢) انظر : ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠٨ ، واللباب لابن الأثير
٢ : ٢٥٣ ، وشدراة الذهب لابن العماد ٣ : ٣١٤ ، والعبر في أخبار
من غير للذهبي ٣ : ٢٥٥
- (٣) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٣٠٢
- (٤) صفة جزيرة العرب المنتخبة من الروض المعطار للحميري ٧٩

- ١ — لا يستبعد أن أجداده الأولون الذين وصلوا الى الأندلس نزلوا فسى ذلك الحصن ، ثم تركوه الى قرطبه بعد مدة غير بعيدة لكونهم لا يقدرّون على البقاء فيه .
 - ٢ — ويمكن أن يكون ذلك الحصن من جملة الحصون القريبة جدا من قرطبه فيكون نسبة الساكن فيه الى قرطبة لكونه من ضواحيها المنسوبة اليها .
 - ٣ — وكما يمكن لنا أن نسقط كلام ابن حزم ونعتبره سهوا منه بناء على اتفاق جميع المتكلمين فى ترجمته على نسبه الى قرطبه ، الأندلسيون ، وغيرهم فلا يمكن أن يتواردوا على الخطأ جميعا ، وكثير منهم من تلامذة الحافظ بن عبد البر المطلعين على جميع أمره .
- وقبيلته قد عظم شأنها ، وكثرت ، وصارت من أشهر القبائل العربية هناك بالأندلس وكثر عددها ، وكان منها الكثير من العلماء ، الذين حملوا مشعل الهداية فسى ذلك القطر الاسلامى البعيد ، أعاده الله للاسلام والمسلمين . " ١ "
- قلت : ومع الاتفاق السابق نقله على نسب الحافظ ، مع ذلك هناك قول شاذ فى نظرى يرجع نسبه الى النمر بن نمران بن ميثم بن سعد بن حمير . وقد تطرق الحافظ بن عبد البر نفسه الى تلك المقالة المشار اليها ، وذكرها بصيغة التمرّيف ، الدالة على ضعفها فقال مانصه : " قد قيل ان النمر بن قاسط فى حمير قال : ومن زعم ذلك قال : هو النمر بن نمران بن ميثم بن سعد بن حمير ، ويقال لنمران قاسط عند من " ٢ " قال هذا القول ، ثم قال الحافظ بعد حكايته لهذه المقالة : " وهو غير صحيح ، والصحيح الذى عليه جماعة أهل العلم بالأنساب : أن النمر بن قاسط فى ربيعة على ما ذكرت — أى ما سبق أن أثبتته أنا هنا — قال : وفى قضاة النمر بن ورة أخو كلب ، ووالد خشين . وليس من النمر بن قاسط فى شىء " ٣ " .

(١) الوفيات لابن خلكان ٦ : ٦٩

(٢) الأنباة على قبائل الرواة لابن عبد البر ٩٩

(٣) نفس المصدر السابق ١٠٠

قلت : لقد راجعت كثيرا من الكتب التى تبحث عن نسبه ، وتتكلم عليه بالتفصيل : فلم أشر على كتاب واحد أشار الى ما حكاه ابن عبد البر عن البعض من نسبة قبيلته الى النمر بن نمران من حمير ، بل ان جميع المترجمين للحافظ قد اتفقوا كما مر على نسبته الى النمر بن قاسط بن هاسب . . . من ربيعة الخ " ١ " وفى ذلك الاتفاق فى الواقع ترجيح لما صححه ابن عبد البر ، وخاصة اذا علمنا أنه أعلم الناس بنسبه ، وما يزيد فى ضعف المقالة التى ذكرها الحافظ فى نسبه ، أنه لم يذكر الطائفة القائلة بها ، بل أبهمها ، وذلك فى نظرى تفنيد منه لتلك المقالة .

المبحث الثانى

بلده ومسكنه

لما انتشر الاسلام ، ووصل نوره الممتد الى أصقاع الأرض المعمورة فى العصر الأول من بدء الاسلام ، واستقر الأمن والطمأنينة فى كل وطن من تلك الأوطان التى فتحها الاسلام ، كما هو طبيعة احكام الاسلام أنها لا يمكن أن تطبق فى مكان الا ويستتب الأمن فيه ، والاستقرار . فعندما حصل ذلك الاستقرار والأمن المشار اليهما ، تحرك المسلمون من جميع أنحاء العالم الاسلامى للدعوة ، ولقضاء أراضهم المختلفة ، وللهجرة لنشر الاسلام واستدامته فى تلك البلاد المفتوحة حديثا ، قال المقرئ بعد عنوان ذكره :

"استطاع العرب فى الأندلس" قال : وأعلم أنه لما استقر قدم أهـل الاسلام بالأندلس ، وتنام فتحها ، صرف أهل الشام وغيرهم من العرب همهم الى الحلول بها . . . ثم ذكرهم بطنا بطنا " ٢ "

-
- (١) انظر مثلا : الديباج لابن فرحون ٣٥٨ ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٣٠٠ - ٣٠٢ ، والانباء على قبائل الرواة لابن عبد البر ٩٦ ، وترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٤ : ٨٠٨ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٦ : ٦٩ ، والأنساب للسمعانى مصر بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز ٥٦٩ ، ونفع الطيب ١ : ٢٧٤ .
- (٢) نفع الطيب طبعة احسان عباس ١ : ٢٩٠

فكان ممن هاجر الى بلاد الأندلس التي كان فتحها سنة ٩٢ هـ "١"
 قبيلة الحافظ بن عبد البر ، التي وصلت الى الأندلس ، ثم استطاعوا مدينة
 قرطبة على ما هو الراجح ، فهي : بلده الأصلية ووطنه الذي نشأ فيه وترعرع
 فكان ذلك فيما أرجحه : لأن قبيلته قد استقرت استقراراً نهائياً بعد وصولهم
 الى الأندلس في مدينة قرطبة ، فقد تواطأ المترجمون له وتتبعوا على نسبته
 الى قرطبة . "٢"

وظل مقيماً في بلده لم يطلب له بديلاً ، لأنه : وجد فيه فرضه ومطلبه
 الوحيد وهو العلم والازدياد منه . وذلك لاتصاله المباشر بكبار أهل الحديث
 بقرطبة ، وأخذه من الغرباء القادمين الى بلده ، الذي كان هدفاً ومقصداً
 لحملة مشاعل العلم والهداية من العلماء والطلاب "٣" في ذلك الوقت الميمون ،
 الى أن قامت في ذلك البلد الطيب تلك الفجيرة الكبرى التي هلك معظم
 القرطبيين فيها "٤" وتشتت شملهم بعدها مباشرة ، وأضى الفتنة الكبرى
 السابقة الذكر في تضييد هذه الرسالة ، والواقعة سنة أربع مائة من الهجرة .
 في تلك الظروف القاسية :

اضطر كثير من علماء قرطبة الى مغادرة موطنهم المحبوب ، ومعقلهم الذي
 سبق أن اختاروه على ما سواه من مدن الأندلس ، فكان من جملة الخارجيين
 عقيب تلك الفاجعة : الحافظ بن عبد البر . قال ابن بشكوال : " جلى عن
 وطنه ومنشئه قرطبة ، فكان في قرب الأندلس مدة "٥" وفي وفيات الأعيان :

(١) انظر : القصد والألم لابن عبد البر ٣٣٠ قال : وقد كان دخلها المسلمون
 من البحر في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فسبوا واشخنوا ، ولم تفتح
 يومئذ ، قال : وفتحت سنة ٩٢ هـ زمن الوليد بن عبد الملك . أي الأموي .

(٢) انظر مثلاً : الصلة لابن بشكوال ٢ : ٦٤٢ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٦٤ ،
 والديباج لابن فرحون ٣٥٧ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣١٤ ،
 وترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠٨ وجذوة المقتبس للحميدى
 ٣٤٤ ، والعبر في أخبار من غفر للذهبي ٣ : ٢٥٥ ، والرسالة المستطرفة
 للكتاني ١٤ ، واللباب لابن الأثير ٢ : ٢٥٣ .

(٣) بغية الملتصق للضبي ٤٧٤

(٤) نفح الطيب للمقرئ ١ : ٤٠٤ ، وبغية الملتصق للضبي ٢٠ - ٢١

(٥) الصلة لابن بشكوال ٢ : ٦٤٢ .

وفارق قرطبة وجال في غرب الأندلس مدة "١" وكانت سنة وقت جلالة من
وطنه شنتان وثلاثون سنة ، ولما قدر عليه التوجه الى غرب الأندلس ، وقسح
اختياره من بين دول الطوائف الحاكمة يومئذ على دولة بني الأفطس ببطلينوس "٢"
وقد كان لحوقه بهم في ولاية المظفر بن الأفطس "٣" ، فقابلوه بالاحرام
والتبجيل ، والاحترام ، كما يليق بمثله ، فأوصلوه في الحال الى المنصب اللائق
بعلمه ، والذي ينبغي أن يتوصل اليه في كل بلد اسلامي استقر فيه ، حيث ولوه
القضاء في مدينتي لاشبونه "٤" وشنترين "٥" في أيام المظفر السابق الذكر .

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٦ : ٦٥ ، والدياج لابن فرحون ٣٥٨ ،
وترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠ . زاد أن ذلك كان
في الفتة .

(٢) هي : بفتح الباء والطاء والياء ، وسكون اللام والواو ، مدينة من اقليسم
(طاردة) بفتح الميم وكسر الراء وفتح الدال أيضا والها المربوطه .
وهي أي بطليوس : حادثة في الاسلام . بناها عبدالرحمن بن مروان
المصروف بالجليقي ، باذن من الأمير عبدالله . انظر : الروض المعطار
للحميري ص ٥١ ، وصفة جزيرة الأندلس المنتخبة من الروض المعطار ٤٦

(٣) هو أبو بكر محمد بن عبدالله الأفطس ، كان قريبا ومنافسا للمعتضد
بن عباد أمير اشبيلية ، وصحابه ، وكان من أكبر ملوك الطوائف ، وقد
صنف الكتاب الكبير المشهور عند أهل الأندلس ، المسمى : (بالمظفر)
في الأدب والتاريخ ، نحو مائة مجلد . انظر : المغرب في حلى المغرب
١ : ٣٦٤ ، وأعمال الاعلام للسان الدين بن الخطيب ١٨٤ ، قال عنه :
وكان ينكر الشعر على قائله في زمانه .

(٤) هي بضم الهمزة والباء ، وسكون الشين وفتح النون ، مدينة من كهرابجة
المختلطة بها . راجع : الروض المعطار للحميري المخطوط في مكتبة
عارف حكمت بالمدينة المنورة ٣٣ . وصفة جزيرة الأندلس ١٦ .

(٥) هي : بفتح الشين والتاء وسكون النون ، وكسر الراء ، مدينة معدودة من
كهرابجة . الروض المعطار للحميري ١٨١ . وصفة جزيرة الأندلس

والذى يبدو أن الحافظ بن عبد البر قد أخذ فى ذلك العمل مدة فيبر قليلة ، وذلك يستتج من شهرته بذلك العمل عند معظم المترجمين له ،^١ ولكن لا أعلم على الحقيقة متى كان انتهاءه من ذلك العمل ، كما لم اطلع بالتحديد على مقدار المدة التى مكثها الحافظ فى قرب الأندلس ، ثم تحول الى شرقها ، والذى يترجم عندى الى حد بعيد ويغلب على الظن ، أن انتقاله كان بعد سنة ٤٣٧ هـ حيث كانت ولاية المظفر بن الأقطس فى تلك السنة^٢ كما أنه لا بد أن يكون قبل سنة وفاة المظفر المذكور سنة ٤٦١^٣ وذلك لأن معظم المترجمين له كما سبقت الاشارة اليه قد صرحوا بأن الحافظ قد ولى القضاء فى الأشبونة وشتترين بعد لحاقه الى قرب الأندلس ، وكان ذلك فى زمن المظفر ، فلا بد أن تكون ولايته بعد ولاية المظفر المذكور . ويرجح ذلك أيضا ما سيأتى قريبا . ان شاء الله من تردده الكثير بين مدن شرقى الأندلس ، وذلك لا بد أن يكون فى مدة من الزمن غير قليلة ، وبعد أن أنهى الحافظ مكثه فى قربى الأندلس توجه الى شرقها ،^٤ ولكنه لم تستقر به قدم هناك ، بل أخذ يتجول

(١) وفیات الأعيان لابن خلكان ٦ : ٦٥ ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ٣ : ٣١٦ ، والديباج لابن فرحون ٣٥٨ ، وتعليق تكملة اكمال الاكمال لمصطفى جواد ٢٧٤ ، وتراجم اسلامية لمحمد عبد الله عنان ٢٩٨ .

(٢) أعمال الاعلام للسان الدين بن الخطيب ١٨٣

(٣) نفس المصدر السابق ١٨٤

(٤) الصلة لابن بشكوال ٢ : ٦٤٢ ، وترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٤ : ٨٠٨ ، والديباج لابن فرحون ٣٥٨ ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ٣ : ٣١٥ .

بين المدن الشهيرة في ذلك الوقت بشرق الأندلس ، "١" فسكن في كل منها حقبة من الزمن ، فلم يزل مترددا بينها يسكن في هذه ثم يتركها الى الثانية ثم يعود اليها مرة ثانية "٢" ، الا أن هذا التجوال من الحافظ لم يكن سدا ، ولا للتنزه فيما يظهر ، بل كان للدعوة الى الله ولاختيار الأمكنة التي هي أحسن استقرارا وأمانا . فقد كان دائم الاتصال بولاة تلك البلاد التي يرد عليها للاسترشاد بهم ، ولطلب المعونة منهم على مهمة الدعوة التي جرد لها نفسه ومن ذلك اتصاله بمجاهد العامري أيام استيلائه على بلنسية "٣" ووروده على عباد الملعب بالمعتضد أمير اشبيلية ، لما وصله من أخبار الناس أنه يريد الفتك بابنه عبد الله ، فذهب اليه فورا ليتوسل لابنه بين يديه ، والفضة قد ذكرها ابن الأبار ومن جملة ما ذكره بمعناه أنه ، سار — أي الحافظ ابن عبد البر — من مستقره بشرق الأندلس ، وهو حينئذ يتردد بين بلنسية وشاطبة ، السى اشبيلية مقر المعتضد . فلأول دخوله على عباد نادى رافعا صوته : ابنسى يا معتضد ابنى يا معتضد فشفعه فيه ، وانصرفا محفوفين بالاكرام ، وكنوفين بالاحترام . "٤"

ويكفى هذا المثل بيانا لسبب تجواله الكثير بين البلدان ، أن ذلك كان لنفع المسلمين عموما ، وللدعوة الى الله ، فقد كان هذا الرجل مهاجا الى حد كبير لدى الخاصة والعامة ولهذا فيما أرجحه أنه كان يستعمل ذلك الجاه فى نفع المسلمين .

(١) مثل : دانية وبلنسية وشاطبة ، فدانيه : بفتح الدال والياء وكسر النون ، الروض المعطار للحميرى ١٢٨ ، وصفة جزيرة الأندلس ٧٦ ، وبلنسية : تقدم ضبطها فى تمهيد هذه الرسالة ، وشاطبة : بفتح الشين وكسر الطاء ، وفتح الباء أيضا . الروض المعطار للحميرى ١٨٥ .

(٢) ترتيب المدارك ٣ و ٤ : ٨٠٨ ، والصلة لابن بشكوال ٢ : ٦٤٢ ، والد يياج لابن فرحون ٣٥٨ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣١٥ — ٣١٦ .

(٣) أعمال الاعلام للسان الدين بن الخطيب ٢١٨

(٤) اعتاب الكتاب لابن الأبار ٢٢١ .

قلت : وفى نهاية البحث عن بلده ومسكنه أقف على الحقيقة هنا التى لا تحتل جدلا ، هى : أن الحافظ ابن عبد البر منذ خرج من بلده الأُصلى قرطبة ، لم يجد الاستقرار ، ولا المكث فى مكان معين ، بل تهادته الأوطان فى أثناء تلك الرحلات التى بدأت من قرطبة سرّة الأندلس ، الى أقاصى الأندلس فريا ، ثم بدأت من جديد بعد استقرار محدود نسبيا فى غرب الأندلس ، بدأت من هناك الى أقاصيه شرقا ، مع عدم الاستقرار فى مكان معين فى تلك المدة كلها ، فرحمه الله رحمة واسعة فما أكثر تجواله وتعبه .

البحث الثالث

والده

لم ينحدر الحافظ بن عبد البر من بيت جهل ونقصان ، بل كان أصله من أمجاد كابر عن كابر ، ومن العباد والعلماء العاملين ، فقد كان جده محمد من العباد المتقطعين المعروفين بالتهجد المشهورين بذلك ، من أصحاب ابن مجاهد الالبيرى .^١

وأما والده أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري^٢ فكان من أهل العلم ، ومن جملة الفقهاء بقرطبة ، تفقه على أبى إبراهيم التجيبى ولازمه ، وسمع من احمد بن مطرف واحمد بن حزم واحمد بن دحيم وابن الأثير ومحمد بن احمد بن قاسم بن هلال ، وسمع ممن كان فى طبقة احمد بن مطرف^٣ . وقد كان مع تخصصه فى الفقه ومعرفة الأحكام ، كان مع ذلك مقرئ للقرآن يسمع منه الناس قراءته ، قال الضبى : (وكان يقرأ على الشيوخ وسمع الناس بقراءته ذكر ذلك ابنه الحافظ ابوصبر)^٤

(١) ترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٤ : ٥٥٦

(٢) ترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٤ : ٥٥٦

(٣) بغية الملتبس للضبى ٣٢٣ وترتيب المدارك ٣ و ٤ : ٥٥٦ والديباج

٣٥٨

(٤) بغية الملتبس للضبى ٣٢٣

ويبدو أنه كان على طريقة والده من تعلقه بأولئك العباد المجتهدين
في العبادة من التهجد والمواظبة على صلوات ما يطلقون عليه اسم الرياضات
النفسية ، والدليل على ذلك ما ذكره عنه لسان الدين بن الخطيب " أنه كان
من أصحاب بن بهامة الألبيري . " ^١ واطلاق صاحب عندهم : يراد به
كما يراد بالتلميذ عند غيرهم ، إذ أن صاحب أو المرید كل ذلك من اصطلاحات
الصوفية التي جعلوها مكان الطالب أو التلميذ عند العلماء .

وقد وقع ابن فرحون في كتابه الديباج في فسطح فاحش ، وذلك في نسبه
إلى عبد الله بن محمد والد ابن عبد البر أنه كان من أهل الأدب البارع والبلافة
وقال أيضا عنه : وله رسائل وشعر جيد ومن شعره :
لا تكثرن تأملا : واحبس عليك عنان طرفك
فقطريما أرسلته : فرماك في ميدان حتتك " ^٢

قلت : وقع في الوهم لأنه نسب ما كان لولد الحافظ أبي عمر وهو أبو محمد
عبد الله بن يوسف ، نسبه إلى جده أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد البر .
إذ أن تلك الصفات كلها ثابتة لولد الحافظ ، وكذا البيهتان كلاهما لابن الحافظ
أبي محمد بن يوسف راجح مثلا : وفيات الأعيان فقد قال : وكان ولده أبو محمد
عبد الله بن يوسف من أهل الأدب البارع والبلافة وله رسائل وشعر فمن شعره
فذكر البيهتين المتقدمين " ^٣

(١) أعمال الأعلام للسان الدين بن الخطيب ٥٠

(٢) الديباج لابن فرحون ٣٥٨ — ٣٥٩

(٣) الوفيات ٦ : ٦٩ ونغية الملتبس للضبي ٣٤١ وذكر البيهتين له وقال :
أبو محمد من أهل الأدب البارع والبلافة الذائعة والتقدم في العلم
والذكاء وشرحات الذهب لابن العماد ٣ : ٣١٦ وذكر
البيهتين السابقين له . واعتاب الكتاب ٢٢١ وذكر له من الأوصاف الشعرية
وغيرها ما يدل على أن ما ذكره صاحب الديباج ليس لعبد الله بن محمد
بن عبد البر ، بل أن ذلك لحفيده عبد الله بن يوسف كما تقدم .

وقد أوقع صاحب الديباج في الوهم :

- ١ — اشتراكهما في الاسم
- ٢ — اشتراكهما في الكنية
- ٣ — اشتراكهما في النسبة حيث أن كليهما ينسب إلى ابن عبد البر ، ولكنه
لورجح إلى آباؤهما وتاريخ ميلادهما ووفاتهما لافتراقهما .

(وفاة والده) :

لم يقدر للحافظ بن عبد البر أن يتلقى تعليمه من أبيه الفقيه العالم
المتعبد ، إذ لقي أجله قبل أن يبلغ الحافظ حد الفهم ، فقد حكى ابن خلكان
عن ابن عبد البر نفسه ، أنه قال : بأن والده توفي في شهر ربيع الآخر سنة
٣٨٠ "١" فعلى هذا يكون قد توفي وسن الحافظ بن عبد البر اثنتا عشرة سنة .

المبحث الرابع

ميلاده وتاريخه

صاحب الترجمة المبحوث فيه : هو الحافظ يوسف بن عبد الله بن محمد
بن عبد البر بن عاصم "٢"

- (١) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٥٥٦ ، ووفيات الأعيان لابن
خلكان ٦ : ٦٩ ، والديباج لابن فرحون ٣٥٩ .
- (٢) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠٨ ، وجذوة المقتبس للحميدى
٣٤٤ ، والمصلة لابن بشكوال ٢ : ٦٤٠ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣ :
١١٢٨ ، وصفيّة الملتبس للضبي ٤٧٤ ، والديباج لابن فرحون ٣٥٧ ،
والإشارات إلى بيان أسماء المبهمة للنووي ١ : ٣٢ ، والعبر في أخبار
من فبر للذهبي ٣ : ٢٥٥ ، الباب لابن الأثير ٢ : ٢٥٣ ، وشذرات
الذهب لابن العماد ٣ : ٣١٤ ، وتحقيق تكملة أكمال الأكمال لمصطفى
جواد ٢٧٤ ، والمغرب في حلى المغرب لابن سعيد ٢ : ٤٠٧ ، ونفع
الطبيب للمقرئ ٥ : ١٧٢ ، ومرآة الجنان لليافعي ٣ : ٨٩ ، البدايعة
والنهاية لابن كثير ١٢ : ١٠٤ ، والرسالة المستطرفة للكتاني ١٤ ،
وفيات الأعيان لابن خلكان ٦ : ٦٤ ، والمحلل السندسية لشكيب أرسلان
٢٩٤ : ١ وفهرسة الكتب العربية بالكتبخانة جمع أحمد الميهدي
٤ : ٢١٣ .

النمرى "١" القرطبي "٢" الأندلسي ، والرجوع الى جميع المراجع التسمى ترجمت للحافظ ، أو اشارت ولو اشارة خفيفة الى ترجمته ، نجدها جميعا بلا استثناء تقريباً تجعل ولادته في مدينة قرطبة مهجراً جداده ومسكنهم الذي استقروا فيه كما تقدم ، وكان ذلك عند معظمهم في سنة ٣٦٨ هـ وفي يوم الجمعة لخمس بقين من ربيع الآخر من تلك السنة المذكورة "٣" قلت : بل نقل كل من ابن خلكان وابن بشكوال ما يدل على تصريح ابن عبد البر بتاريخ ولادته حيث نقل ذلك عن خط والده قال : ابن بشكوال قال : أبو علي — قلت : هو الخسائي تلميذ الحافظ — سمعت طاهر بن مفرج يقول : سمعت أبا عمر يقول : ولدت يوم الجمعة والامام يخطب لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة وهو اليوم التاسع والعشرون من نوفمبر ، قال طاهر الراوى لذلك الخبر : أرانيه بخط أبيه عبد الله بن محمد رحمه الله "٤" قلت : وقد كان هذا التاريخ لميلاده عند جميع من أوردوا ترجمته ، بل ويكادون أن يجمعوا عليه اجماعاً ، الا ما كان من تلميذه محمد بن فتح ابو عبد الله الحميدي صاحب جذوة المقتبس فقد ذكر أن ميلاده كان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة "٥"

(١) قلت : والنمرى بفتح النون والميم ، وعدّها راياً — هذه نسبة الى النمر بن قاسط بفتح النون وكسر الميم — وانما تفتح الميم في النسبة خاصة ، وابناء النمر كما تقدم قبيلة كبيرة مشهورة بقرطبة بالأندلس ،
الانساب للسمعاني مصور ٥٦٩ ووفيات الاعيان لابن خلكان ٦ : ٦٩ ،
والديباج لابن فرحون ٣٥٨ .

(٢) قلت : والقرطبي بضم القاف وسكون الراء وضم الطاء المهملة وفي آخرها الباء الموحدة هذه نسبة الى قرطبة مدينة كبيرة بالأندلس ، خرج منها خلق كثير من العلماء في كل فن قديماً وحديثاً .
راجع تمهيد هذا البحث صفحة ٣٢ واللباب لابن الاثير ٢ : ٢٥٣ .

(٣) راجع الى : الديباج لابن فرحون ٣٥٩ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي —
٣ : ١١٢٨ والاشارات للنووي ١ : ٣٢ وفهرسة الكتب العربية
بالكتبخانة ٤ : ٢١٣ .

(٤) راجع : الصلة لابن بشكوال ٢ : ٦٤٢ ، ووفيات الاعيان لابن خلكان
٦ : ٦٩ .

(٥) جذوة المقتبس للحميدي ٣٤٤ .

وقد تبعه على ذلك صاحب بغية الملتبس أحمد بن يعقوب الضبي^١ "٢"
حيث أن الضبي جعل أصل كتابه هو كتاب الحميدى فلا يكاد يخالفه فيما يذكره
قلت : ولا يخفى أن ما ذكره الحميدى ولو كان من أنبه تلامذة ابن عبد البر ومن
الحفاظ ، مردود عليه وجل من لا يخطئ^٣ . وذلك بما يلى من الحجج :

١ — تصريح ابن عبد البر بما يخالف ذلك عن والده ، ووالده أدرى بذلك من
غيره ، كما أنه أعنى الحافظ أعلم بعد والده من غيره بذلك ، فلا مجال
لرد ما اثبتاه وذلك كما نقلناه عنهما سابقا .

٢ — اتفاق المترجمين له على ذكر التاريخ الذى ذكره ابن عبد البر اللهم الا من
ذكرتهما وهما معذوران كما سيأتى .

٣ — يرد ما قاله الحميدى فى ميلاده ، بما هو معلوم أن الحميدى قد ألف
الجدوة بالعراق بعيدا عن الأندلس وأهله بعيدا عن المراجع
الأساسية لعلم الأندلسيين ، فأوقعه ذلك فى كثير من الأخطاء ، والتقصير
مع ثقته وحفظه . وقد صرح بذلك هو بنفسه فى مقدمة كتابه المذكور ،
فبين أنه لا يمكن أن يسلم من لائحة لائم للأسباب التى ذكرتها .

٤ — ومن جملة الدلائل على ما وقع فيه الحميدى أنه أيضا كما سيأتى ان شاء الله
قد جعل وفاة ابن عبد البر سنة ٤٦٠ مع أن عامة المترجمين له متفقون
على خلاف ما ذكره حيث صرحوا بأنه توفى سنة ٤٦٣ هـ .

قال الحميدى : (وقد لقيته بكتب لنا بخطه الى أن قال : وتركته
وقت خروجي من الأندلس سنة ٤٤٨ ثم بلغنى وفاته ، قال : وأخبرنى
ابوالحسن على بن أحمد العابدى : أنه مات فى سنة ستين وأربعمائة
بشاطبة من الأندلس^٣ . قلت : وفى هذا أكبر برهان على عدم معرفته
معرفة تامة بشأن الأندلسيين وقت كتابته للجدوة .

(١) بغية الملتبس للضبي ٤٧٤

(٢) راجع مقدمة بغية الملتبس للضبي

(٣) جذوة المقتبس ٣٤٦

وكنية الحافظ بن عبد البر : أبو عمر ، وكان مشتهرا بها جدا وخاصة لدى المشاركة^١ وأما أهل المغرب والأندلس ، فيشتهرون عندهم أكثر بنسبته ، فهم كثيرا ما يطلقون عليه ابن عبد البر .^٢ فمن هنا نعلم أن الحافظ ابن عبد البر قد اشتهر بين كافة العلماء أهل المشرق وأهل المغرب والأندلس بثلاثة أشياء :

- ١ - اسمه يوسف بن عبد الله
- ٢ - كنيته أبو عمر
- ٣ - نسبته إلى أحد أجداده عبد البر

ومن تعدد شهرته بهذه الأمور الثلاثة لاقيت مشقة صعبة من خلال هذا البحث ، حيث أني ما من كتاب أبحث فيه عما يتعلق بالكلام عليه إلا وجدت فيه ينسبون يسمون يوسف ، فإذا لم أجده من بين أولئك انتقل فوراً إلى باب من يكون بأبي عمر ، فإن وجدته ولا انصرفت عندئذ إلى من ينسبون إلى آبائهم لعلني أظفر بابن عبد البر ، هذا ولا يخفى أن أهل المعرفة بشئون الأندلسيين قد اتفقوا جميعاً على ذكر كنيته السابقة أبي عمر ، هم وغيرهم من العلماء^٣ ، إلا ما كان من صاحب القاموس فإنه كناه بأبي عمرو بالواو ،^٤ ولكن يرد هذا ولا بد بما يلي :

- ١ - ما ذكرته آنفاً من اتفاق المراجع الأصلية على خلافه .
- ٢ - بما قاله المعلق على القاموس نفسه ، الشيخ أبو الوفاء نصر الهورينسي ، حيث قال : " قوله أبو عمرو كذا بالنسخ المطبوعة ، وصوابه : أبو عمر كما في شرح الشفاء^٥ " .

-
- (١) انظر مثلاً : تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١١٢٨ ، والبداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ١٠٤
 - (٢) انظر مثلاً : الصلة لابن بشكوال ٢ : ٦٤٠ ، والدباج ٣٥٧ ، ونغمة الملتبس ٤٧٤
 - (٣) العبر في أخبار من غبر للذهبي ٣ : ٢٥٥ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣١٤ ، والمغرب في حلى المغرب ٢ : ٤٠٧ ، ونفح الطيب ٥ : ١٧٣ ، وترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠٩ ، والبداية والنهاية ١٢ : ١٠٤ ، والرسالة المستطرفة ١٤٠ والوفيات لابن خلكان ٦٩ : ٦
 - (٤) القاموس المحيط لليفيروز آبادي ١ : ٣٨٤ ،
 - (٥) نفس المصدر السابق ١ : ٣٨٤

المبحث الخامس

نشأته

نشأ الحافظ بن عبد البر في المحيط المتقف الذي سبق أن أشرت إليه في تمهيد هذا البحث ، فلقد أدرك العصر الذهبي بالأندلس ، فكانت مدينة قرطبة في وقت نشأته ميدان العلم وأهله ، ومقر الأفاضل والوجهاء ، وهدف الزوار والراحلين ، واجتمع فيها من حملة الفنون المتنوعة ما أبهر النظر ، والمتأملين ، فكان فيها المحدثون ، والفقهاء واللغويون ، والشعراء وغيرهم .

وفي هذا المحيط نشأ الحافظ ، وكان في أول أمره فقيرا يتيمًا ولكنه تجشم الصعاب وصبر وبرع براءة لا مثيل لها ، "١" فلا غرو فقد أدرك العصر الذي يحق لمثلته التفاعل معه ، فكان له السبق الى الاقتباس من أولئك الكبار "٢" فلم يماطله أحد في محاولة الاتصال بالقدايم منهم كما سياتى في فصل طلبه ، ويبدو أنه لم يكن له نشاط ملموس في جمع المادة ، لكونه جمع قواه وكل ما يملك لنيل العلم والأزدياد منه ، وذلك يستفاد من كثرة اتصاله بأمراء زمانه ، بحيث أنه لا يفارق أميرا الا ويحث عن أمير آخر ، وكان من جملة الانتقادات التي وجهت إليه : انتقاد من بعض العلماء في وقته على قبوله هدايا الأمراء ، فلذلك اضطر الى الرد عليهم فقال : "٣"

قل لمن ينكر أكلى - لطعام الأمراء
أنت من جهلك هذا - في محل السفهاء

قلت : في هذه المسألة أخذ ورد بين العلماء قديما وحديثا ، والذي يريد الرجوع اليها يرجع الى كتب الأحكام ، والذي يهضم هنا دون أخذ ورد هو خلاصة المسألة .

(١) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠٩ والصلة لابن بشكوال

٦٤٢ : ٢ تعليق تكملة اكمال الاكمال لمصطفى جواد ٢٧٤

(٢) بغية الملتبس للضبي ٤٧٤ وجذوة المقتبس للحميدى ٣٤٤

(٣) نفح الطيب للمقرئ ٣ : ٢٣٥ طبع احسان عباس

فبالخلاصة : أن من علم أن تلك الهدية بعينها مفضوعة أو أتى بها من قيمة عين محرمة . فخذوا الذي حرموه ، وعابوا آكله ، وأما مادام الأمر مستورا لا تدري من أى شئ كانت تلك الهدية ، فهي حلال لك وفى ذلك ورد (ما أتاك من غير مسألة فكله وتموله) .

وقد نقل صاحب نفح الطيب عن ابن عبد البر أنه قال فى جملة رده على من عابه : (وما أعلم من علماء التابعين أحدا ترفع عن جوائز السلطان إلا سعيد بن المسيب بالمدينة ، ومحمد بن سيرين بالبصرة . " ٢ ")

قلت : وقد أهل أكثر المترجمين للحافظ ذكر أحواله من الصغر حتى سن الطلب ، بل لم نعلم عنه شيئا من ولادته حتى رأيناه طالبا مجتهدا فى تحصيل العلم فلذا انتقل اليه وهو طالب فالى ذلك الفصل .

المبحث السادس

طلبه للعلم مع الحرص الشديد على تحصيله :

فتح ابن عبد البر عينيه على العلم ، والفضائل ، مكتبات خلفها ، جده ، وأبوه ، وأخرى فى كل بيت من بيوت القرطبيين تقريبا ، وزد على ذلك المكاتب العامة ومكاتب الأمراء التى صارت مضرب الأمثال بعد ذلك بفلاتكاد تسمع بأمر بالاندلس فى ذلك الوقت الا وله مكتبة غنية بالنوادير من الكتب والنفائس منها ، مسابقة منهم الى الفضائل ، واكتساب المعالى .

فى هذا الجو العلى بالعلم ، وأهله نشأ الحافظ وترعرع وبدأ طلبه للعلم ، فطأ عليه والحالة هذه الا أن يبدأ من مسقط رأسه . فبدأ بالسماع من أكابر أهل الحديث بقرطبة وغيرها ، " ٢ " نقل القاضى عياض عن أبى عيسى

(١) نفح الطيب ٢ : ٢٣٦ طبع احسان عباس

(٢) بغية الملتبس ٤٧٤ وجذوة القنبر للحميدى ٣٤٤

الجباني تلميذ الحافظ : " وصبر أبو عمر على الطلب ودأب فيه ودرس ويرج براعة فاق فيها من تقدمه من رجال الأندلس ، الى أن قال : وعظم شأن أبي عمر بالأندلس وعلا ذكره في الاقطار ، "١" ويقول تلميذه الآخر أبو عبد الله الحمدي : (فقيسه أكثر قديم السماع "٢" كثير الشيوخ على أنه لم يخرج عن الأندلس ، لكنه سمع من أكابر أهل الحديث بقرطبة ، وغيرها) "٣"

ودأب الحافظ في جمع العلم وصار كلما نقل عن شيخ من شيوخه فنا من -
الفنون انتقل الى شيخ آخر لكي ينقل عنه الفن الخاص به ، فلم يعرف الاستقرار ولا الاكتفاء بقدر ، أو يفن من الفنون ، فلذا نراه يلتحق أول ما يبدأ بالعالم الكبير أبي عمر بن المكوي ، ويتفقه بين يديه ، بل ويكتب عن شيوخ ابن المكوي زيادة منه في علو الاسناد ، فلذا نال منه الحظ الأوفر كما سيأتي ان شاء الله "٤".

قلت : وسيأتي ان شاء الله الكلام على ابن المكوي عند ذكر شيوخه .

ومعد أن يأخذ من الفقه الحظ الوافر ، يتجه الى أفذاذ علماء الحديث في وقته ، فيلزم أبا الوليد بن الفرضي الحافظ ، وعنه أخذ كثيرا من علم الرجال والحديث "٥".

وأكبر دليل على حرصه العظيم على الطلب ما ذكر عنه أنه طلب الحديث بنفسه قبل ٤٠٠ سنة بمدة ، من جماعة من أصحاب قاسم بن أصبغ البلياني "٦".

-
- (١) ترتيب المدارك ٣ و ٤ : ٨٠٩
 - (٢) جذوة المقتبس ٣٤٤
 - (٣) نفس المصدر السابق ٣٤٤
 - (٤) الديباج لابن فرحون ٣٥٧ و ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠٨
 - (٥) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠٨ وشذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣١٥ والديباج لابن فرحون ٣٥٧
 - (٦) جذوة المقتبس للحميدي ٣٤٤ ، وقاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح الامام الحافظ المحدث الأندلسي القرطبي ، أبو محمد الأموي سمع من بقى بن مخلد ومن محمد بن وضاح ، وسمع منه أعظم مشايخ ابن عبد البر ، الباجي وعبد الوارث وأبو عمر بن الجصور ، وانتهى اليه بتلك الديار علو الاسناد ، والحفظ توفي سنة ٣٤٠ هـ راجع تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ٨٥٣-٨٥٤

قلت : فهذا يدل على عظم همه بجمع العلم ، حيث أن عمره في ذلك الوقت كان ٢٢ سنة ، وقد طلب العلم قبل ذلك وكان السلف من أهل الحديث لا يحذون طلب الحديث إلا بعد الاكتمال العقلي التام .

وتتعدد شيوخ الحافظ فيروى عن كل من وجد عنده علما . فيروى كثيرا عن عبد الوارث بن سفيان وأحمد بن قاسم البزاز ، وأبي محمد بن أسد ، وخلف بن سهل ، وابن عبد المؤمن ، وعبد الرحمن بن يحيى أبي زيد .^١ وأبي القاسم خلف بن القاسم الحافظ ، وأبي عمر الباجي وأبي عمر الطلعني^٢ وابن الجصور ويونس بن عبد الله القاضي^٣ وغير هؤلاء ممن سيأتي ان شاء الله من فصل شيوخ ابن عبد البر ، فقد روى عن خلق لا يحصون كثرة ما يدل على محاولته لاستيعاب جمع من أدركهم بالرواية عنهم ، بل ولم يقتصر ابن عبد البر على سماع من أدرك من أهل بلده حتى تشوف الى الرواية عن أولئك الذين لم تسمح له ظروفه بالالتحاق بهم ، فروى عنهم بالاجازة ، حيث لم يمكنه غير ذلك .

فها هو الحافظ الذهبي يصرح فيقول : " وأجاز له من مصر المسند أبو الفتح وعبد الغنى بن سعيد ، ومن مكة أبو القاسم عبيد الله بن السقطي " .^٤

ومضى الحافظ بن عبد البر في مواصلة الطلب ومحاولة ألا يفوته أحد من الناس يمكنه الاستفادة منه الا ونقل العلم عنه ، وفي سبيل ذلك نراه يجلس الى أولئك الرواد والزوار الذين يردون على قرطبة في ذلك الوقت ، فيتصل بكل من أمكنه الأخذ عنه ، في جذوة المقتبس لقد أخذ العلم (من الغريباء

(١) ترتيب المدارك ٣ و ٤ : ٨٠٨ ، وجذوة المقتبس للحميدى ٣٤٥

(٢) شذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣١٥

(٣) جذوة المقتبس للحميدى ٣٤٥

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١١٢٨ ، وترتيب المدارك ٣ و ٤ : ٨٠٨ ،
والصلة لابن بشكوال ٢ : ٦٤٠ زاد أبا ذر الهروي وأحمد بن نصر الداودي
وأبا محمد بن النحاس المصري

القادمين اليها أى قرطبة "١".

وهكذا نرى الحفاظ بعد هذه الجولة من ابن عبد البر على مشائخ الدنيا يتفقون على جلالته ، وعلى استيعابه للعلم فى عصره تقريبا ، يقول الجياني تلميذه :

" وعظم شأن أبى عمر بالاندلس ، ولا ذكره فى الأقطار ، ورحل اليه الناس وسمعوا منه والف توالف مفيدة طارت فى الآفاق ، " الى أن قال : وسمعت : أبا عمر - يعنى ابن عبد البر - يقول : لم يكن ببلدنا أفقه من قاسم بن محمد بن قاسم ، وأحمد بن خالد ، قال أبو طى : وأنا أقول : ان أبا عمر لم يكن دونهما ولا متخلفا عنهما . " ٢ "

وكما ينقل ابن العماد عن القاضى بن سكرة قوله : (سمعت شيخنا القاضى أبا الوليد الباجى يقول : لم يكن بالاندلس مثل أبى عمر بن عبد البر فى الحديث ، وقال : أيضا : أبو عمر حفظ أهل المغرب ، " ٣ " ، وأيضا ولا غروة بعد الرحلة السابقة والجولة العظيمة من ابن عبد البر فى استقاء العلم بقدر الامكان ، قلت لا غروة بعد ذلك أن يصفه رجل آخر فيقول :

الاندلسى القرطبى الأديب العالم المحدث الشهير ، امام عصره فى الحديث ، والأثر ، وطومه فى الاندلس كما كان الخطيب البغدادى فى الشرق ، كان من أهل قرطبة ثم طلب الفقه والأدب ودأب فى اقتباس العلم ، وبرز فيه براعة فائقة . " ٤ "

ويتابع الحفاظ طلبه للعلم ، وحرصه الشديد على محاولة استيعاب الممكن منه حتى تصل به الحال الى أن يحظى بعلم الاسناد ، الذى يتنافس فيه الجميع ، " ٥ " يقول القاضى عياض : (وكان سنده مما يتنافس فيه) " ٦ "

-
- (١) راجع جذوة المقتبس للحميدى ٣٤٤ ونغية الطنيس للضبي ٤٧٤
 - (٢) ترتيب المدارك ٣ و ٤ : ٨٠٩ وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١١٣
 - (٣) شذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣١٥ وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١١٢٩
 - (٤) تعليق تكملة اكمال الاكمال لمصطفى جواد ٢٧٤
 - (٥) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١١٣٠
 - (٦) ترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٤ : ٨٠٩

قلت : وقد ذكروا له عوالي ينبغي التمثيل ببعضها ، ذكر الذهبي :

١ - أن أعلى ما عنده كتاب الزعفراني "١" سمعه من ابن صيفون "٢" أنا ابن الأعرابي "٣" عنه .

٢ - سنن أبي داود سمعه ابن عبدالمؤمن "٤" أنا ابن داسه "٥" عن المؤلف "٦" .

(١) هو الحافظ الفقيه الكبير أبو علي محمد بن الصباح البغدادي الزعفراني وهو من درب الزعفران هناك حدث عن سفيان بن عيينه ، وإسماعيل بن عليه ، وحمل عن الشافعي كثيرا من الفقه ، وتوفي ٢٦٠ تذكيرة الحفاظ للذهبي ٢ : ٥٢٥

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن صيفون الرصافي ، روى عن أبي سعيد بن الأعرابي ، وروى عنه أبو عمر بن عبد البر . بغية الملتبس للضبي ٩٢ واللباب لابن الأثير ٢ : ٢٥٣ وشذرات الذهب لابن العماد ٣ : ١٤٤

(٣) هو الأمام الزاهد شيخ الحرم أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري الصوفي ، سمع الزعفراني ومحمد بن عبد الملك الدقيقي ، مولده سنة ٢٤٦ وتوفي سنة ٣٤٠ ، تذكيرة الحفاظ للذهبي ٣ : ٨٥٢-٨٥٣ ،

(٤) هو عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي ، من قدماء شيوخ ابن عبد البر ميزان الاعتدال للذهبي ٢ : ٤٩٨ ، وبغية الملتبس للضبي ٣١٩ .

(٥) أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق التمار البصري المعروف - بابن داسة

(٦) المؤلف هو : سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني ، وكنيته أبو داود وهو أحد أعلام السنة وصاحب السنن المشهورة ، واحد أصحاب الستة ، وهو غنى عن التعريف إذ ما من بيت إلا وقد طرقه ذكر هذا العلم الشامخ . قال ابن الأعرابي : لو أن رجلا لم يكن عنده من العلم إلا المصحف ، ثم هذا الكتاب لم يحتاج معها إلى شيء من العلم البتة . راجع مقدمة أبي داود وتذكيرة الحفاظ للذهبي ٢ : ٥٩١-٥٩٣ ، - وخلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال للخزرجي الأنصاري ١٥٠

قلت : ومن خلال الصفحات المتقدمة من هذا الفصل ندرك : سر
تقدم الحافظ ابن عبد البر على الأقران ، كما ندرك أيضا سبب حرص العلماء
على كتبه ، حيث كان هذا الرجل من أشد الناس حرصا على التلقى من أكابر
العلماء ، ومن كانوا في وقته قد علت بهم الأسنان ، ومعلوم أن من كان كذلك
قد استفاد علما فاتا الآخرين ، فلا بد من التوجه إليه بعد أولئك الذاهبين
لنيل علمهم الراحل .

المبحث السابع

حفظه

بذل ابن عبد البر جهده المتواصل في جمع العلوم ، والاستكثار منها ،
وحاول تدوين الممكن منها ، فسخر ماله ، ووقته ، وكل ما في حوزته لذلك ، حتى
غدا بلا منازع : حافظ الدنيا بأسرها في وقته .

فلذلك انتزع من مترجميه هذه الصفة فلم يختلفوا على وصفه بها ، قال
صاحب البغية : (أبو عمر حافظ أكثر عالم بالقراءات ، والخلاف في الفقه
ومعلوم الرجال) ، " ١ " نو قال القاضي عياض : (الحافظ شيخ علماء الأندلس
وكبير محدثيها في وقته وأحفظ من كان بها لسنة مأثورة ، وهذا الفن كان الغالب
عليه) " ٢ "

قال ابن سعيد : (امام الأندلس في علم الشريعة ورواية الحديث
لا أستثنى من أحد ، وحافظها الذي حاز خصل السبق واستولى على غاية الأسد) " ٣ "

(١) بغية المتلمس للضبي ٤٧٤

(٢) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠٨ ، والدبياج لابن فرحون
٣٥٧

(٣) المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ٤٠٨ : ٢

وقال الذهبي (الامام شيخ الاسلام حافظ المغرب "١" وساد
اهل زمانه في الحفظ والاتقان) "٢"

ويقول الكتاني : حافظ المغرب بل والمشرق . "٣"

وهكذا توالى أقوال المترجمين ، واتفقت على حفظ ابن عبد البر ، وما
نقلته لك ما هو الا نقطة من بحر لا ساحل له ، وأكبر برهان على ذلك أن تجد
بقية الحفاظ على ذلك النسق لا يختلفون عليه . "٤"

وعلى العموم فالامام ابن عبد البر قد انفرد بقلب الحفاظ في عصره
من بين معاصريه ، اما من جعله حافظ المغرب فقط ، واما من جعله حافظ
المغرب والمشرق ، ولم يقارن باحد فيما يتعلق بحفظ الحديث من معاصريه
اللهم الا الخطيب البغدادي ، فقد قارنه به بعض المترجمين له ، حيث أطلقوا

- (١) تذكرة الحفاظ للذهبي ١١٢٨:٣
- (٢) نفس المصدر السابق ١١٢٩:٣
- (٣) الرسالة المستطرفة لمحمد بن جعفر الكتاني ١٤
- (٤) ارجع مثلا : الى شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي -
٣ : ٣١٤ ، واللباب لابن الأثير ٢ : ٢٥٣ وقال :
الحافظ كان اما ما جليل القدر . والمعبر في أخبار من غير للذهبي
٢٥٥:٣ وقال : ابن عبد البر الحافظ وليس لأهل المغرب
احفظ منه .
والاشارات الى بيان اسماء المبهمة للنووي ١ : ٣٢ ومراة الجنسان
لليافعي ٣ : ٨٩ وطرح التشريب للعراقي ١ : ١٢٨ والفتاوى
لشيخ الاسلام ابن تيمية ٥ : ٨٧ واجتماع الجيوش الاسلامية على غزو
المعقلة والهمة للعلامة ابن القيم ٨٢ وقال : قول الامام
الحافظ أبي عمر بن عبد البر امام السنة في زمانه والحاصل
السندسية ، لشكيب أرسلان ١ : ٢٩٤ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان
٦ : ٦٤ ، والصلة لابن بشكوال ٢ : ٦٤٠ ، ونفع الطبيب للمقري
ح ع ٤ : ٢٨

على ابن عبد البر اسم حافظ المغرب وعلى الخطيب البغدادي اسم حافظ المشرق^١ . ومن ذلك ما قاله ابن فرحون بعد ذكر وفاة الحافظ بن عبد البر حيث قال : (وتوفي هو والخطيب البغدادي الحافظ في سنة واحدة ، وكان الخطيب حافظ المشرق ، وأبو عمر حافظ المغرب ، رحمهما الله تعالى ونفع بعلمهما)^٢ .

وفي ضمن المقارنة الخاطفة بين الامامين السابقين الذكر ينبغي الإشارة الى أنهم قد ألف كل منهما كتابا يخاطب به أهل ذلك العصر أول ما يخاطب فكان الشبه العظيم بين الكتابين حتى ليكاد الانسان أن يجزم أن أحده الامامين قد نقل عن الآخر ، مع أن شيئاً من ذلك لم يحصل ، لتباعد ما بينهما وعدم المواصلات في ذلك العصر ، وعدم قيام كل واحد منهما بالرحلة الى بلد صاحبه ، والكتابان هما : جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ، والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي .

وفي رجوعي الى دراسة طبيعة ذلك العصر الذي عاش فيه ، بان لي سبب تشابه موضوع الكتابين ، حيث واجه كل من الحافظ بن عبد البر في الأندلس ، والخطيب البغدادي بالعراق ، موجة من الخصام بين أهل الحديث ، وبين المتفقه ، كرس كل منهما جهده في ازالة ذلك الخصام ، والتقريب بينهما ، كما واجهتهما أيضا فرق من المبتدعة اضطر كل منهما الى الرد عنهما ، وارجاع تلك الفرق الى جادة الصواب ،^٣

(١) الرسالة المستطرفة للكتاني ٤٥ - ٤٦ قال : ومن العجيب أن الخطيب هذا كان حافظ المشرق وابن عبد البر حافظ المغرب وتوفيا في سنة واحدة ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١١٣ ، وتحقيق تكملة اكمال الاكمال لمصطفى جواد ٢٧٤ ، ووفيات الاعيان لابن خلكان ٦ : ٦٩

(٢) الدياج لابن فرحون ٣٥٨

(٣) ارجع الى سبب تأليف الكتابين المبين في مقدمتيهما

قلت : والرجوع الى الكتابين نتبين مايلي من النقط الهامة :

- ١ - صدق تعاصر الامامين .
- ٢ - كبر المشاكل التي واجهت كلا من الامامين بانفراده .
- ٣ - عمق فهمهما للشرعة ، وذلك حيث صرح كل منهما لمعاصريه بأن تلك الطوائف - أهل الحديث والمتفقه - تتعاون ولا تتقاتل ، تتعاون لأن بعضها يكمل البعض ، لأن المحدث يجب أن يلم بالفقه ومعنى مايروى ، كما أن الفقيه يجب أن ينظر في دليل المسائل التي يوصلها ، وذلك أطفأ هذان الامامان نارا مشتعلة منذ أمد غير قريب ، فاستحقا أن يكونا حافظي الدنيا .

هذا ولورجعنا الى بقية تأليف الامامين لوجدنا الشبه بينهما كثيرا جدا ولكن اكتفى بهذه الاشارة الخاطفة لكون ذلك ليس من صلب الموضوع .

وسعد هذه المقارنة الخاطفة المقتصرة بين الحافظين لاهد من الاشارة الى أن الخطيب البغدادي ولو قارنته بالحافظ بن عبد البر في ناحية الحديثية في ذلك الوقت ، - في القرن الخامس - فان ابن عبد البر يفوقه في بقية العلوم ، كالفقه مثلا وغيره مما سيأتي في فصل ثناء العلماء عليه .

وعلى هذا نستطيع أن نقول : ان ابن عبد البر قد جمع الى حفظ الحديث علومنا وفنوننا أخرى ، ولذلك عده البعض من الفقهاء "١" كما عده الآخرون من القراء ، المطلعين على القراءات . "٢"

(١) بغية الملتبس للضبي ٤٧٤ والعبر في أخبار من غير للذهبي ٢٥٥:٣

والديباج لابن فرحون ٣٥٨

(٢) بغية الملتبس للضبي ٤٧٤

المبحث الثالث من

رحلته

فى الوقت الذى كانت الرحلة هى أكبر ميزة يتميز بها حفاظ الحديث ،
ويشتهرون بها من بين العلماء غالبا ، بل ولا نكاد نجد محدثا انتزع الشهرة
بالحديث ، ونال تلك الدرجة الرفيعة من الحفظ ، الا وقد جاب البلدان ،
وتطفل على كبار علماء وقته ، فى أغلب البلدان ، قلت : فى الوقت الذى كانت
الحال على ما وصفت . يبقى الحافظ ابو عمر بن عبد البر فى وطنه الاندلس .
فلم يطرق بلدا غيرها حتى أتته منيته ، ولكنه كما يقول الضبي صاحب البغية
" قديم السماع كبير الشيوخ على أنه لم يخرج عن الاندلس ، لكنه سمع من كبار
أهل قرطبة وغيرها ومن القاديين اليها . " ١ قلت : فعلى هذا فهو لم يبر
الحاجة ماسة الى الرحلة :

١ - لأنه أدرك معظم الكبار الذين رحلوا الى المشرق ، وكتب عنهم ما سجلوه ،
وهم قد أدركوا من قد مات فى ذلك الوقت " ٢ " .

٢ - كان قد جال على أقطار الاندلس المليئة بالعلماء فى ذلك الوقت . فكان
رحمه الله قد أخذ جولات عدة الى كل من غرب الاندلس وشرقها
كما سبقت الاشارة الى ذلك فى الكلام على مسكنه ، ولو كانت تلك الجولات
لا نستطيع أن نقول : انها منحصرة فى طلب العلم ، بل كان لها أغراض
أخرى كما سبق ، " ٣ " الا أنها لا يمكن أن تخلو من طلب العلم ،

(١) بغية الملتبس للضبي ٤٧٤

(٢) شذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣١٥ وترتيب المدارك للقاضى عياض

٣ و ٤ : ٨٠٨ وجذوة المقتبس ٣٤٤ والديباج لابن فرحون ٣٥٧

(٣) الصلة لابن بشكوال ٢ : ٦٤٢ وترتيب المدارك ٣ و ٤ : ٨٠٨ ، قال القاضى

عياض : " رحل عن وطنه قرطبة فى الفتنة ٠٠٠ قلت : وفى آخر البحث

قال : ولم تكن له رحلة . والجمع بين ذلك واضح اذ أن القاضى انما نفى

أن تكون له رحلة الى خارج الاندلس ، ولم ينف رحلته الى انحاء الاندلس .

وفيات الأعيان لابن خلكان ٦ : ٦٥ والديباج لابن فرحون ٣٩٨ -

وشذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣١٥ - ٣١٦

والازدياد منها ، بدليل ما علم وسبق بعضه من حرصه الشديد على العلم ،
وأكبر دليل على أن رحلة الحافظ تلك لا يمكن أن تخلو من طلب العلم ونشره
في آن واحد ، ما ثبت عن الغساني أنه قال على كتاب الاستيعاب وكتساب
الأنباء كلاهما لابن عبد البر : حدثني بهما أبو عمر قراءة عليه في منزله
بشاطبة سنة ٤٥٣ " ١ "

قلت : ولم ينزل الحافظ شاطبة الا في آخر عمره ولذا كانت وفاته بها ،
وغير ذلك كثير من الأمثلة على جريه المتواصل في تحصيل العلم ، وتبليغه
للآخرين .

٣ - لم ير الحاجة الى الخروج لأن بلده في ذلك العصر كان هدفـ
الراجلين والزائرين من كل أقطار الاسلام ، لما حوى من كبار العلماء ،
ومن الخيرات ، فكان الحافظ قد كرم جهده لثلا يفوته النقل عن أولئك
القادمين اليهم فقال منهم كل الترحيب والقبول لما طلب " ٢ " إذ أن
غرض الجميع التبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورد على هذه الأمور السابقة الذكر التي قد يرى الحافظ ابن عبد البر أنها تغنيه
عن الرحلة :

١ - أن كثيرا من أولئك الذين لم يظفر بلقاؤهم في الأندلس قد طلب منهم
الاجازة ، فجادوا بها على بعدهم لما بلغهم من أهليته لذلك ، فها هو
عبد الغنى بن سعيد الحافظ ، وأبو ذر الهروي ، وأحمد بن نصير
الداودي ، وأبو الفتح بن سبخت ، وغيرهم يرسلون اليه باجازاتهم " ٣ "

٢ - أنه كما تقدم نشأ يتيم ، لا مال له فاضطره ذلك الى البقاء في وطنه .

(١) راجع الفهرسة لابن خير الاشبيلي ٢١٥

(٢) جذوة المقتبس للحمدي ٣٤٤

(٣) الصلة لابن بشكوال ٢ : ٦٤٠ ، وترتيب المدارك ٣ و ٤ : ٨٠٨ وشذرات
الذئب لابن العماد ٣ : ٣١٥ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١١٢٨
والتمهيد لابن عبد البر ١ : ٢٦٧

واستنتاجا مما سبق نقرر : أن الحافظ بن عبد البر لم يرحل الى المشرق كعادة كثير من المغاربة وغيرهم التماسا للعلم في منبعه الاصلى ، ولكنه مع ذلك قد فاق بجهد ، واجتهاده الدائمين المتواصلين كثيرا ممن رحلوا ، لا كما يقول البعض مريدا بذلك الحط من قيمته التي لا يؤثر فيها ذلك المقال المائل عن الصواب ، المنفرد في نوعه شيئا ، فيها أنا أبحث عن هذا الرجل مدة لا تقل عن سنتين لم أظفر بقول واحد من الأقوال تفضل أمثال الباجي وابن العرسي وغيرهما من أمثالهما على ابن عبد البر ، اللهم الا المقالة المشار اليها سابقا ، وهي للكوثري ، قال عن ابن عبد البر ما نصه :

" والباجي ، وأبو بكر بن العربي ، وأمثالهما ممن رحلوا الى المشرق في سبيل العلم ، كانت منازلهم في الذروة ، حينما كان ابن عبد البر يظهر بغير هذا المظهر ، لعدم رحلته الى المشرق " ١ " اللهم ان الحق ليس كذلك ، بل ان الحافظ عند العلماء يظهر بمظهر الحفاظ الذين يقتدى بهم ويقدمون على من سواهم .

وانى لولا خشية الاغترار بمثل هذه المقالة ، لما ذيلت عليها بشئ . لأن الحافظ قد منى بماله وماعليه ، فلا تؤثر عليه أمثال تلك المقالات وأيضا : فهذا من حماة العقيدة الاسلامية ، من كيد المعتزلة والجهمية ، وغيرهم من المبتدعة فيجب أن تبقى شخصيته عالية القدر ، كما كانت ، حتى يتخذ قدوة عند طالبي العقيدة الاسلامية الصافية " ٢ "

(١) مقدمة جذوة المقتبس للحميدى - ٤ لكتبتها الكوثري

(٢) راجع مثلا : كلامه المنقول عنه في الفتاوى لابن تيمية شيخ الاسلام ٨٦:٥ - ٨٧ ، والرسالة الحموية لشيخ الاسلام أيضا مع النقائص تحقيق محمد حامد الفقى ١٤٤ - ١٤٥ واجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية للعلامة ابن القيم ٨٢ وما بعده ، وانظر مثلا ردوده على أهل البدع في الاستذكار ١ : ٢٤٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٣٠٠ ، ٣٢٤ ، ٢٧١ و ٢٣٢ : ٢ ، وجامع بيان العلم وفضله له ٢ : ٩١ ، ٢٣٦

المبحث التاسع

تقدمه على الأقران

لقد نال الحافظ بن عبد البر اعجاب المترجمين ، فوصفوه بأحسن الأوصاف وأرفعها ، وقدموه على غيره من أقرانه ، الذين شاركوه في الطلب ، والتحصيل ، قال أبو طي الغساني فيمن نقله عياض " وصبر أبو عمر على الطلب ودأب فيه ودرس وسرع براءة فاق فيها من تقدمه من رجال الأندلس ، وعظم شأن أبي عمر ، ولا ذكره في الأقطار ، ورحل اليه الناس وسمعوا منه ، وألف تواليه مفيدة طارت في الأفاق " ١ " . وفي هذا النص وغيره يثبت العلماء للحافظ التقدم على معاصريه في هذا الفن ، فن الحديث .

وتقدمه يشمل نقاطا عدة :

- ١ - تقدمه في حفظ السنة كما تقدم في الفصل قبل هذا ، قال الذهبي : (وساد أهل زمانه في الحفظ والاتقان) " ٢ "
- ٢ - في جمعه بيسن تخصصات عدة فهو : المحدث الماهر ، والحافظ المتقن ، وهو الفقيه البارع في استنتاج المعاني من النصوص ، واللغوي الباهر في شرح المفردات الغامضة ، والنسابة الذي حفظ أنساب الناس ، وأصولها ، والعالم بالقراءات ووجوهها . " ٣ "
- ٣ - تقدمه عند العلماء لما حظى به من علو الاسناد ، فرغب الجميع في السماع منه .
- ٤ - تقدمه لكونه أرجع الناس الى السنة بعد فترة من الركود ، والبقاء على منازعات جانبية بين الفقهاء ، والمحدثين ، فأزال رحمه الله بقدر إمكانه ما استطاع من تلك المنازعات ، حتى شعر الجميع بالارتياح .

(١) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠٩ وراجع نفس العبارة تقريبا

من كتاب الديباج لابن فرحون ٣٥٨ وكذلك الشذرات لابن العماد

٣ : ٣١٥

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١١٢٩

(٣) وفیات الاعيان لابن خلكان ٦ : ٦٥ والديباج لابن فرحون ٣٥٨

قال صاحب النفح ناقلا عن الفتح بن خاقان في الطمع له :
الامام العالم الحافظ امام الاندلس ، وعالمها الذي التاحت به معالمها .
صحح المتن ، والسند ، وميز المرسل من المسند " ١ "

٥ - كما نال الحافظ التقدم على أقرانه لما حياه الله من التوفيق لحسن التأليف
لقد ذكر عنه أنه موفق في التأليف ، ومعان عليه ، حتى نالت تأليفه
اعجاب الناس شرقا ، وغربا ، " ٢ " وذلك في الحقيقة لا يقدر عليه الا الله
فهو مئة منه على عبده ، ليكون ثوابه أكثر وأكثر ، حيث يكثرا انتفاع
الناس بمجهوداته .

يقول صاحب النفح " ومن كتبه : كتابه في الصحابة ليس لأحد من
المتقدمين مثله على كثرة ما صنفوا في ذلك " ٣ " ، ويقول الضبي : بعد أن
وصف كتابه هذا الاستيعاب : " وهو كتاب حسن كثير الفائدة ، رأيت أهل
المشرق يستحسنونه جدا ، ويقدمونه على ما ألف في باب " ٤ "

قلت : في النصوص المتقدمة أكبر شاهد على رفعة مؤلفاته عند العلماء
وساوى الكلام على ذلك ان شاء الله في باب .

المبحث العاشر

طبقاته

يعتبر العلماء : طبقات المحدثين بالاندلس ، على خمسة عشر طبقة ، " ٥ "

(١) نفح الطيب للمقرئ طبعة احسان عباس ٢٨ : ٤ ، وراجع المغرب في حلى
المغرب لابن سعيد ٤٠٨ : ٢

(٢) ارجع الى الديباج لابن فرحون ٣٥٨ ، ووفيات الاعيان لابن خلكان
٦٥ : ٦ ، وترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠٩ قال : " وألف
توايف مفيدة طارت في الافاق " .

(٣) نفح الطيب للمقرئ ١٦٣ : ٤ والديباج لابن فرحون ٣٥٧

(٤) بغية الملتبس للضبي ٤٧٥

(٥) رسالة صالح رضا ٢٠٣

ويعتبرون معاوية بن صالح الحضرمي الصوفي سنة ١٧٢هـ من الطبقة الأولى من أولئك الطبقات .

وتمضي تلك الايام بأهلها ، ونشر المحدثون العلم حتى يأتي أمام الأندلس وعالمها الذي صحح السند ، والمتن ، وفرق بينهما : الحافظ بن عبد البر ، فسوى الطبقة السابعة من الطبقات السابقة ، وجعل الله انتشار العلم بيديه في تلك الايام المتأخرة بالنسبة الى أولئك الذين نشروا الحديث سابقا بالأندلس ، هذا ما يتعلق بطبقته كرجل أندلسي ، جاء في تلك الفترة المحددة ، ولكن اذا رجعنا الى طبقته كفقيه من فقهاء المالكيين : نجده في غير هذه الطبقة السابقة ، بل يعدونه من الطبقة العاشرة ، يقول صاحب الديباج : " ومن اسمه يوسف من الطبقة العاشرة ممن لم ير مالكا والتزم مذهبه من أهل الأندلس : يوسف بن عبد الله . . " ١

قلت : وعلى هذا فطبقته محدثا ليست كطبقته مالكا فقيها ويأتي أيضا كيف كانت طبقته كحافظ من حفاظ الحديث النبوي مطلقا ، أى بدون اضافته السى الأندلس .

فيجعله الحافظ الذهبي : من جملة أهل الطبقة الرابعة عشرة " ٢ " .
فعلى ما تقدم نستطيع أن نلخص الموضوع المتعلق بطبقته الى عدة أقسام :
لأن الحافظ بن عبد البر متعدد الطبقات بالنسبة الى مشاركته في كثير من الميادين لا بالنسبة للزمن فهن من الناس من يمكنه ان يعدد طبقاته بالنسبة للزمن .

قلت : وتلخيص ذلك على مايلي :

١ - ابن عبد البر محدثا أندلسيا : طبقته من بين أولئك الفضاظة الذين وجدوا بالأندلس : هي السابعة .

(١) الديباج لابن فرحون ٣٥٧

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ١١٢٨:٣

٢ - ابن عبد البر فقيها مالكا : طبقته من بين أولئك المالكيين الذين ابتدأوا من مالك الى من بعده : هي العاشرة •

٣ - ابن عبد البر حافظا مطلقا من جملة حفظة السنة النبوية من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما شاء الله ، فطبقت على هذا : هي الرابعة عشرة •

المبحث الحادي عشر

عقيدته

شأن قدرة الله أن يبقى حجة الحديث النبوي الشريف ، وحفاظه ، على صفاء العقيدة ، دون أن تؤثر عليهم تلك المؤثرات الكثيرة ، التي أحاطت بكثير منهم •

فها هو الامام احمد بن حنبل ومحمد بن نوح ، حاول المأمون العباسي وحاشيته صرفهما عن العقيدة الصافية بقدر ما أوتي من القوة الا أنهما صبرا صبر الجبال على ما اعتقدها ، وفهما من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم^١ ، وهكذا غيرهما من أهل الحديث^٢ أمثال البخاري ، وابن معين ، وأبي داود ، وغيرهم الكل مضوا على ماضي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وأتى الحافظ بن عبد البر في القرن الخامس الهجري ، فيتلقى العلم من كبار أهل السنة ، والجماعة ، ويتعلم عقيدة السلف ، والرد على المبتدعة من أولئك في آن واحد ، ولذلك نراه يكرس جهده مجاهدا في الدعوة الى ما عليه السلف الصالح في جميع كتبه •

قلت : واني في هذا المجال لا أرى أحسن من إيراد كلامه في العقيدة الاسلامية ، وفي تقريرها كما نزلت ، كما أني سأورد كلامه ان شاء الله على أهل البدع المغيرين لصفاء العقيدة ، وبعض كلام السلف الذي ذكره عنهم فسي العقيدة • وعلى هذا فكلامي على عقيدته سيشمل بعون الله المواضيع التالية :

(١) احمد بن حنبل لأحمد عبد الجواد الدوي ١٤٢ و ١٤٣

(٢) الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ٦١:٥

الموضوع الأول : ابن عبد البر يقرر بنفسه عقيدة السلف الصالح في كتبه ، كما نزلت به النصوص السماوية ، ويستدل على ذلك بتلك النصوص .

الموضوع الثاني : ابن عبد البر يرد على كثير من طوائف المبتدعة في باب العقيدة .

الموضوع الثالث : ابن عبد البر يحكى عن بعض السلف العقيدة الصافية وقرها كما هو الواجب .

الموضوع الرابع : ذكر اتهامات موجهة في باب العقيدة الى الحافظ بن عبد البر ورد لها وبيان ما هو الحق بعون الله .

وهذا أولان الشروع في بيان هذه المواضع المتقدمة :

الموضوع الأول :

ابن عبد البر يقرر بنفسه عقيدة السلف الصالح في كتبه :

قال الحافظ بن عبد البر معلقا على حديث " طلب العلم فريضة على كل مسلم " ومبيناً العلم المفروض على كل أحد من الناس ، قال :

" والذي يلزم الجميع فرضه من ذلك ما لا يسمع الانسان جهله ، من جملة الفرائض المفترضة عليه ، نحو الشهادة باللسان ، والاقرار بالقلب بأن الله وحده لا شريك له ، لا شبه له ، ولا مثل ، لم يلد ، ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، خالق كل شيء ، واليه مرجع كل شيء ، الحي المميت الحي الذي لا يموت " ١ .

ويقول في اثبات الصفات لله سبحانه :

" والذي عليه جماعة أهل السنة : أنه لم يزل بصفاته ، وأسمائه ليس لأوليته ابتداء ، ولا لآخرته انقضاء ، وهو على العرش استوى " ٢

ويقول رحمه الله في مكان آخر مقررا العقيدة كما كان السلف الصالح يعتقدونها : " واعتق أهل الاسلام " ٣ " أن الدين تكون معرفته على ثلاثة أقسام :

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١ : ١٢

(٢) جامع بيان العلم وفضله له : ١ : ١٢

(٣) قلت وريد المعتبرين من أهل الطلة لا من شذ عن الطريق فإنه لا يعتبر خلافا

أولها : معرفة خاصة الايمان والاسلام ، وذلك معرفة التوحيد والاخلاص ، ولا يوصل الى علم ذلك الا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فهو المودى عن الله والمبين لمراده ، ومافى القرآن من الأمر بالاعتبار فى خلق الله بالدلائل من آثار صنعته ففى برئته على توحيده وأزليته سبحانه ، والاقرار ، والتصديق بكل مافى القرآن ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله " " ١

ويمضى الحافظ فى بيان العقيدة السلفية كما أدركها من علم المسلمين المتمسكين بها فيقول هنا فى موضع آخر :

" قال أبو عمر ليس فى الاعتقاد كله فى صفات الله وأسمائه الا ما جاء منصوصا فى كتاب الله أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أجمعت عليه الأمة وما جاء من أخبار الآحاد فى فعلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه " ٢

ويقرب ابن عبد البر عقيدة السلف فى مكان آخر من كتبه فيقول بعد كلامه على الظلمة ، والفساق : " ولكنه لا يخلد فى النار الا كافر جاحد ليس فى قلبه مثقال حبة من خردل من ليمان ، ويغفر الله لمن شاء ، ويعذب من شاء ، ولا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " ٣

قلت : ومقصد بكلامه الأخير الرد على من يكفر بالذنوب الصادرة من أهل التوحيد ، وهم المعتزلة ، والخوارج .

الموضوع الثانى :

ابن عبد البر يريد على أهل البدع ، ومناقشهم فيما ذهبوا اليه ويشمل هذا نقاشه لعدة طوائف فيقول فى رده على كثير من أهل البدع فى ادخالهم القياس فى التوحيد يقول مقدما الرد :

" لا خلاف بين فقهاء الأمصار وسائر أهل السنة ، وهم أهل الفقه ،

(١) جامع بيان العلم وفضله له ٤٩ : ٢

(٢) نفس المصدر السابق ١١٧ : ٢ - ١١٨

(٣) الاستذكار لابن عبد البر ٢٤٦ : ١

والحديث فى نفس القياس فى التوحيد وإثباته فى الأحكام "١" إلا داود بن على بن خلف الأصبهاني ثم البغدادي ومن قال بقوله ، فانهم نفوا القياس فى التوحيد والأحكام جميعا ، ثم يقول بعد ذلك : وأما أهل البدع فعلى قولين فى هذا الباب سوى القولين المذكورين : : منهم من أثبت القياس فى التوحيد والأحكام جميعا ، ومنهم من أثبت فى التوحيد ونفاه فى الأحكام "٢" ومضى الحافظ فى رده العامة على أهل البدع فيقول فى مكان آخر : " قال أبو عمر أهل البدع أجمع أضربوا عن السنن ، وتأولوا الكتاب على غير ما بينت السنة ، فضلوا وأضلوا "٣

وفى كلامه على الحديث الذى يرويه مالك عن ابن شهاب فى المسح على الخفين "٤" يقول : " وفيه الحكم الجليل الذى فرق بين أهل السنة وأهل البدع وهو المسح على الخفين ، لا ينكره إلا مبتدع خارج عن جماعة المسلمين "٥

قلت : وبعد هذه الردود المجطة له على أهل البدع ، أشير الى بعض رده على بعض الطوائف المعينة :

- ١ - رده على القدرية المنكرين لقدم علم الله قبل فعل العبد لذلك الفعل : فى شرح حديث العزل فى الموطأ "٦" قال :
- " وفى هذا الحديث برهان واضح على إثبات قدم العلم ، وأن الخلق يجرون فى علم الله ، وقدره ، فلا يخرج شئ من خلقه عن ذلك عز الله وجل تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا "٧"

(١) قلت : اختار بعض أهل السنة أن يستعمل فى حقه سبحانه قياس الأولى وهو : أن كل كمال يثبت للمخلوق ، فواهبه له الذى هو الله أولى به منه ، انظر : الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ٢٠٩:٥ و ٢١٣

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٩١:٢

(٣) نفس المصدر السابق ٢٣٦:٢

(٤) تنوير الحوالك مع الموطأ ٥٧:١

(٥) الاستذكار لابن عبد البر ١ : ٢٧١ ورجع الى الاستذكار أيضا ٢ : ٣٣٢

(٦) الموطأ مع تنوير الحوالك ١٠٨:٢

(٧) التمهيد لابن عبد البر ٣ : ١٣٨ وراجع المخطوطة من التمهيد الموجودة فى الحرم المدنى ٤٦

٢ - رده على المعتزلة ، وبيانه للحق فيما أولوه من الصفات :
 قال فى شرح الموطأ - التمهيد - على حديث النزول كما نقل عنه شيخ
 الاسلام ابن تيمية : "١"
 " هذا حديث ثابت النقل صحيح من جهة الاسناد ، ولا يختلف أهل
 الحديث فى صحته ، وهو منقول من طرق سوى هذه من أخبار العدول
 عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وفيه دليل على أن الله فى السماء على
 العرش استوى من فوق سبع سماوات ، كما قالت : الجطاعة ، وهو حجتهم
 على المعتزلة ، فى قولهم : ان الله تعالى فى كل مكان بذاته المقدسة " :
 ثم استدلل الحافظ بالآيات المعروفة بعد الحديث . . . "٢" الى أن قال
 الحافظ : " وهذا أشهر ، وأعرف عند العامة ، والخاصة من أن يحتاج
 الى أكثر من حكايته ، لأنه اضطرار لم يقفهم عليه أحد ، ولم ينكره عليهم
 مسلم " . "٣"

ومضى الحافظ فى مناقشته للمعتزلة ، وفى ردوده عليهم ، فيقول بعد
 كلامه السابق : " قال أبو عمر : أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات
 الواردة كلها فى القرآن ، والسنة ، والايمان بها ، وحملها على الحقيقة

(١) قلت ولم يصل الى الجزء الذى فيه هذا الحديث اذ أنه فى حرف الميم
 لأن رايه الزهرى واسمه : محمد . فهو اذا فى آخر كتاب التمهيد
 الذى لم يطبع منه الا أربعة أجزاء تنتهى بحرف الزاء ، ولم يكن هذا
 الحديث فى نسخة الرياض مع أنها ضمت أغلب روايات مالك عن الزهرى .

(٢) راجع الفتاوى لابن تيمية ٨٦:٥ واجتماع الجيوش لابن القيم ٨٢ - ٨٣
 وطرح التشريب فى شرح التقريب للعراقى ناقلا عن ابن عبد البر
 ٣٨٢ : ٢

(٣) الفتاوى لابن تيمية ٨٧:٥ والعلو للعلو الغفار للذهبي ناقلا عن
 ابن عبد البر ١٨١ .
 وارجع الرسالة الحموية لابن تيمية فى النفاثات تجد الكلام فيها أكثر
 ١٤٤ .

لا على المجاز ، الا أنهم لا يكفون شيئا من ذلك ، ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرونها ، ولا يحملون شيئا من ذلك على الحقيقة ، قال : ويؤمنون أن من أقربها مشبه ، قال : وهم عند من أقربها ثاقون للمعبود ، ثم قال الحافظ كما نقل عنه شيخ الاسلام : والحق فيما قاله القائلون : بما نطق به كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم أئمة الجماعة ، " ١ " .

قلت : وما أكثر ردوده على المعتزلة خاصة ، ولو أنى تتبعت ذلك بنقله لكان رسالة بفرده ، ولكن اكتفى بهذا كتماذج تسفى عن غيرها فى بيان طريقة القوم .

٣ - ردوده على الجهمية : قلت : لقد جعل جميع الردود السابقة مشتركة بين المعتزلة والجهمية ، اذ كانتا من منبع واحد ، وانكارهما ، وتأويلهما لا يكادان يفترقان ، الا أنه يقول فى هرج الحديث السابق - حديث النزول - بعد أن أورد الآيات ، وذكر فى ضمن ذلك قوله تعالى " رفيع الدرجات ذو العرش " ، " ويخافون ربهم من فوقهم " . قال : والجهمى يقول : انه أسفل " ٢ " .

قلت : ولا يخفى أن الجهمية على رأس أهل البدع فى العقيدة اذ هى التى تفرع عنها أكثرها والله المستعان

(١) راجع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ٥ : ٨٧ وارجع الى اجتماع الجيوش لابن القيم ٨٣ وما بعدها فقد نقل عن ابن عبد البر كلامه على الحديث المشار اليه ونقل عنه كثير من تصحيحات نقل عنه النصوص التى استدل بها من الآيات والأحاديث ومن اللغة ، فهو جدير بالمراجعة ، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ : ١١٦ ، والعلو للعلو الشافعى لذهبي ناقل عن ابن عبد البر ١٨٢ ، وفى النقائس تحقيق محمد حامد الفقى ١٤٥

(٢) اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعتزلة والجهمية لابن القيم ٨٣ ناقل عن الحافظ ابن عبد البر

الموضوع الثالث : ابن عبد البر يروى عن تقدمه من السلف أقوالهم فى العقيدة وبقراءتها ، بل ويزيدها وضوحاً فى كتبه ، فيقول بعد ترجمة ذكرها " ما يكره فيه الجدل والمناظرة والمراء " : أشار الى ان الآثار الواردة فى ذلك خاصة بالقرآن .

ثم قال بعد ذلك : " وأما الفقه فأجمعوا على الجدل فيه ، والتناظر لأنه علم يحتاج فيه الى رد الفروع على الأصول للحاجة الى ذلك ، وليس — الاعتقادات كذلك ، لأن الله عز وجل لا يوصف عند الجماعة أهل السنة الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجمعت الأمة عليه ، وليس كمثل شيء فيدرك بتيقن ، أو بانعام نظر ، وقد نهينا عن التفكير فى الله وأمرنا بالتفكير فى خلقه الدال عليه ، ثم قال : " والدين قد وصل الى العذراء فى خدرها والحمد لله " ١

وهكذا ينقل الحافظ أقوال العلماء بأسانيدها قولاً قولاً فيقول فى مكان آخر : " كان مالك بن أنس يقول : الكلام فى الدين أكرهه ، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه ، ونحو الكلام فى رأى جهم ، والقدر ، وما أشبه ذلك ولا أحب الكلام الا فيما تحته عمل ، انتهى كلام مالك ، ويعلق عليه الحافظ فيقول " وأما الجماعة فعلى ما قال مالك ، الا أن يضطر أحد الى الكلام فلا يسمعه " ٢ " السكوت اذا طمع برد الباطل ، وصرف صاحبه عن مذهبه ، أو خشي ضلال عامة أو نحو هذا " الى أن يروى عن احمد بن حنبل أنه قال : " انه لا يفلح صاحب كلام أبداً ولا تكاد ترى أحداً نظر فى الكلام الا فى قلبه دغل — وهو فساد وريية — " ٣ " ويروى الحافظ كلام أبى عبد الله محمد بن احمد بن اسحاق بن خويز منداد المصرى المالكى " ٤ " وكان هو أيضاً يروى ذلك

-
- (١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ : ١١٣
 - (٢) نفس المصدر السابق ٢ : ١١٦
 - (٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ : ١١٦
 - (٤) أبى عبد الله وقيل أبى بكر محمد بن احمد بن اسحاق بن خويز منداد المالكى المصرى أخذ الفقه على الألبهري وله تواليف حسان ، وكان يجانب الكلام ، وينافر أهله ، ويحكم على الكل منهم بأنهم من أهل الأهواء الذين قال مالك فى مناعتهم وشهادتهم وأما متهم ما قال ارجع الى الديباج لابن فرحون ٢٦٨

عن مالك أنه قال : لا تجوز الاجارات في شيء من كتب أهل الأهواء ، والبدع ، والتنجيم إلى أن قال خويز منداد : أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام ، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرى كان أو غير أشعرى ، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً ، ويهجر ، ويؤدب على بدعته فان تمادى عليها استتيب منها " ١ " .

ثم يقول الحافظ في مكان آخر في بيان ما كان عليه أكثر العلماء قبل أن يضطر أحد منهم إلى الردود :

" رويانا عن مالك ، وسفيان بن سعيد والاوزاعي ، وسفيان بن عيينة ، ومعمربن راشد ، في الأحاديث في الصفات أنهم كلهم قال : أمرها كما جاءت ، نحو حديث النزول ، وحديث أن الله خلق آدم على صورته ، وأنه يدخل قدمه في جهنم وما كان مثل هذه الأحاديث .

ثم قال ابن عبد البر : وقد شرحنا القول في هذا الباب من جهة النظر والأثر وسطناه في كتاب التمهيد عند ذكر حديث النزول ، فمن أراد الوقوف عليه تأمله هناك والله التوفيق " ٢ " .

قلت : وهو المكان الذي نقل منه العلماء كلامه السابق في الصفات " ٣ " .

الموضوع الرابع : ذكرا اتهامات موجهة في باب العقيدة إلى الحافظين عبد البر وردها ، وبيان ما هو الحق بحسب الله .

قلت : فهذا أو أن الشروع في بيان ، ومناقشة تلك الاتهامات ، ومما تجدر الإشارة به أنني لم أقف على أحد يسم الحافظين عبد البر بقلب يشينه لو صدق ، في باب العقيدة ، إلا رجلين كان أحدهم قد نقل واعتمد على الآخر هما : ابن الجوزي " ٤ " والدكتور صالح أحمد رضا .

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ : ١١٧

(٢) نفس المصدر السابق ٢ : ١١٨

(٣) قلت : ولم أتمكن من رؤية الجزء الذي يضم ذلك من التمهيد بحيث أنه كان من المخطوط الذي لا نعلم عنه شيئاً

(٤) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن بن علي بن محمد القرشي البكري البغدادي ، الفقيه الحنبلي ، الواعظ ، صاحب (تفسير زاد السير في علم التفسير) المشهور بابن الجوزي المولود سنة ٥٠٨ والمتوفى سنة

٥٩٧ هـ راجع مقدمة التفسير السابق الذكر . وتذكرة الحفاظ للذهبي ٤ : ١٣٤٢

١ — ابن الجوزى يقول بعد أن عقد بابا هو (الرد على المشبهة) وتكلم
بعد هذه الترجمة بكلام كثير الى أن قال : " فأما من قال : الحديث
يقتضى كذا ، ويحمل على كذا ، مثل أن يقول : استوى على العرش
بذاته ، وينزل الى سماء الدنيا بذاته ، فهذه زيادة فهمها قائلها من
الحس لا من النقل ، ولقد عجبت لرجل أندلسى يقال له ابن عبد البر
صنف كتاب التمهيد ، فذكر فيه حديث النزول الى السماء الدنيا ، فقال :
" هذا يدل على أن الله تعالى على العرش لأنه لولا ذلك لما كان
لقوله ينزل معنى "

قال : وهذا كلام جاهل بمعرفة الله عز وجل ، لأن هذا استخلف من
حسه ما يعرفه من نزول الأجسام فقايس صفة الحق عليه ، فأين هو ، لا
واتباع الأثر ، ولقد تكلموا بأقبح ما يتكلم به المتأولون ، ثم عابوا المتكلمين^٢

قلت : لقد انتهت هذه الحملة الشعواء على أهل السنة ، والجماعة
من ابن الجوزى ، فعلى هذا لا بد من رد هذا الاتهام العريض من ابن
الجوزى لحملة العقيدة الصافية ، قلت : وقبل كل شيء ، يحتفل أن يكون
هذا الكلام من ابن الجوزى من جملة الخلط الذى وصفت به تصانيفه^٣
ولكن مع ذلك لا بد من أن تعلم أيها القارئ الكريم انى قد حاولت فسى
هذا البحث المتقدم على الاتهام أن أثبت لك عقيدة ابن عبد البر ،
والتي هى عقيدة السلف من أهل الحديث وغيرهم ، فممكنك بعد قراءته
أن تحكم من من الفريقين حظى باتباع الأثر من غيره .

٢ — اعتقد أنه لا يشك أحد من عرف القرآن ، وفهمه كما نزل أن الحافظ
بن عبد البر ، وغيره من السلف الماضين ، هم أولى وأقرب أن يكونوا على
الحق لتسلكهم بما دل عليه الكتاب والسنة ، من ذهب يؤول النصوص
ويحرفها كما يشاء .

(١) صيد الخاطر لابن الجوزى ١ : ١٢٨ — ١٢٩
(٢) قال عنه الذهبى بعد كلام كثير يمدحه فيه : وكان كثير الخلط فيما
يصنفه ، فانه كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره . ومن أن جل علمه من كتب
صحف ما مارس فيها أبواب العلم كما ينهى . " تذكرة الحفاظ للذهبي
١٣٤٧ : ٤

٣ — اذا كان ما عليه ابن عبد البر تشبيه كما يقوله ابن الجوزى ، فالسلف
الماضون من أمثال البخارى ، ووحى بن معين ، واحمد بن حنبل ،
وأبى داود وابن خزيمة ، وابن المبارك ، وغير هؤلاء من مضوا على
الصراط المستقيم مشبهون ، وحاشهم من ذلك بل المشبه ، والمعتل ،
والمؤول ، من عداهم ، من أمثال اتباع الجهمية ، والمعتزلة ، والخوارج
والقد رية وغيرهم من أحدثوا تلك البدع ، وهم الملقاة عليهم اللائمة .

٤ — أن علماء المسلمين المعتبرون قد عرفوا العقيدة الصافية بما يأتى :
أن الله فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، إلا الله
المعبود لا شريك له ولا ند ولا مماثل ليس كمثله أحد ، ولا معبود
بحق سواه ، وأنه سبحانه لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصف به
رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنه يوصف بذلك بدون تكيف أو تمثيل
أو تشبيه ، ودون تعطيل أو تأويل أو تحريف ، قلت : وهذا هو الذى
مشى عليه الحافظ ابن عبد البر ، وقرره فى كتبه ، فعلى هذا فالهجب
من ابن الجوزى لمخالفته ما عليه السلف الصالح ، وليس العجب من
ابن عبد البر كما قال : ابن الجوزى ، لاتباع ابن عبد البر ما عليه
أهل الحق ، من أئمة هذه الأمة الماضين .

٥ — قلت : واكتفى هنا فى الرد على ابن الجوزى بالاشارة الى تلك الرسالة
التي وجهها اليه ابن غانم^١ فى حياته لما كثر منه الكلام على السلف
الماضين ، وانتشر عنه الجنب الى قول المتأولين^٢ كما أنى ساشير
بمعون الله الى بعض الجمل التي وجهها اليه لتكون على ثقة كاملة
بالموضوع ، والسبب الذى جعل الشيخ ابن الجوزى يتعجب ممن
يثبت صفات الله ولا ينفيها ، ويكيفها أو يمثليها .

(١) هو : اسحاق بن احمد بن محمد بن غانم العللى ، الزاهد القدوة ،
أبو الفضل ، ويقال : أبو محمد ، وكان صالحا فقيها عالما ، أمارا بالمعروف
نهاء عن المنكر ، لا يخاف أحدا ، إلا الله ، وكان فى وقته شيخ العراق
والقائم بالانكار على الفقهاء ، والفقراء وغيرهم فيما ترخصوا فيه ، وله رسائل
كثيرة الى الأعيان المعاصرين له بالانكار عليهم والنصح لهم . راجع
طبقات الحنابلة لأبى الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادى

(٢) الحنبلى الدمشقى ٢٠٥ : ٢
ارجع الى تلك الرسالة بكاملها فى طبقات الحنابلة لأبى الفرج ٢٠٥ : ٢

من أول ما قاله ابن غانم موجهها إليه الخطاب : " من عبيد الله
اسحاق بن أحمد بن محمد بن غانم العلثي ، إلى عبد الرحمن بن الجوزي
حمانا الله وإياه من الاستكبار عن قبول النصائح ووقفنا وإياه لاتباع السلف الصالح
ومصرنا بالسنة الحثية ، ولا حرمانا الاهتداء باللفظات النبوية ، واعادنا من
الابتداع في الشريعة الحمديدية ، فلاحاجة إلى ذلك . فقد تركنا على بيضاء
نقية ، وأكمل الله لنا الدين ، وأغنانا عن آراء المتنطمين ، وفقى كتاب الله
وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — مفتح لكل من رغب أو رهب ، وورقنا الله
الاعتقاد السليم ، ولا حرمانا التوفيق . " ^١ ويمضي ابن غانم في تلك الرسالة
الشفيفة التي تدل على رحمته بذلك الرجل ، ومحاويلته لارجاعه إلى صفاء العقيدة
فيقول : " وأعلم أنه قد كثرت الكبر عليك من العلماء ، والفضلاء ، والأخيار
في الآفاق بمقالتك الفاسدة في الصفات ، وقد أبانوا وهاء مقالتك لمحكوا عنك
أنك أبيت النصيحة ، فعندك من الأقوال التي لا تليق بالسنة ما يهين الوقت
عن ذكرها " ^٢

إلى أن قال في جملة تلك الردود التي وجهها إليه :
" ثم تعرضت لصفات الخالوة تعالى . . . وزعمت : أن طائفة من أهل السنة
والأخيار تلقوها ، وما فهموا ، وحاشاهم من ذلك ، بل كفوا عن الثرثرة والتشدد ،
لا عجزا بحمد الله عن الجدال والخصام ، ولا جهلا بطرق الكلام ، وإنما استكوا
عن الخوض في ذلك عن علم ودراية لا عن جهل وعماية . " ^٣
إلى أن قال في ادعاء أصحاب تلك التأويلات أن الأحاديث الصحيحة
التي يعجزون عن تضمينها يردوها بتجويز أن يكون الراوي قد غلط فيها ،
يقول في رد ذلك الادعاء :

" فإذا كان المذكور في الصحيح المنقول ، من تحريف بعض الرواة ، فقولكم
ورأيكم في هذا يحتمل أنه من رأي بعض الخواة " ^٤ . ومن تلك الجمل التي
أرسلها إليه ابن غانم في الرسالة المشار إليها أن قال له : " وأنا وأفدة الناس
والعلماء ، والحفاظ اليك فاما أن تنتهي عن هذه المقالات ، وتتب التوبة
النصح كما تاب غيرك ، ولا تكشفوا للناس أمرك " ^٥

(١) طبقات الحنابلة لأبي الفرج ٢٠٥:٢

(٢) " " " " ٢٠٦:٢

(٣) نفس المصدر السابق ٢٠٨:٢ (٤) نفس المصدر السابق ٢٠٨:٢

(٥) نفس المصدر السابق ٢١٠:٢

الى أن قال له :

" واذا تأملت : الصفات على اللغة ، وسوغة لنفسك وأبيت النصيحة
فليس هو مذهب الامام الكبير احمد بن حنبل قدس الله روحه ، فلا يمكنك الانتساب
اليه بهذا ، فاختر لنفسك مذهباً ، ان مكنت من ذلك . " ١

الى غير ذلك من تلك الجمل العليقة بالأسف من الكاتب على مذهب ذلك
الامام الى رأى المتأولين ، قلت : وبعد هذه النقل لا يمكن أن نعجب من الرد
الحار الذى وجهه ابن الجوزى على الحافظ بن عبد البر ، ذلك لأنه وجهه اليه
فى وقت كان سامحه الله قد خدع بطريقة المتأولين ، نسأل المولى العصمة من
الزلل ، والتوفيق الى ما فيه رضاءه اذ لا معصوم الا من سبحانه ولا توفيق الا
لمن وفقه .

٢ — الاتهام الثانى الذى وجه الى الحافظ بن عبد البر فى العقيدة ، كان من
معاصر بل من حى لا يزال يمشى على الأرض ، هو الدكتور صالح احمد رضا ،
لقد تكلم على عقيدة الحافظ وأنها على ما عليه عقيدة السلف ، وهواثبات ماجا فى
كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من الصفات ، اثباتا بدون تكييف ولا تعطيل
ولا تمثيل كما يليق به سبحانه .

ويقول بعد ذلك : ويمر هذا الحديث — أى حديث النزول — بابن عبد البر
ولا أدري ماذا يقول : فيه الا أن ابن الجوزى يقول ٠٠٠٠ ثم ذكر الكلام السابق
٠٠٠٠٠٠ ثم يقول : صالح احمد بعد كلام ابن الجوزى السابق :
" فيدل هذا أن ابن البر من المجسمة ، يذهب مذهبهم ، ويفسر النزول بالنزول
الحسى " سبحانه الله عما يصفون " ثم يقول : ولهذا يرد عليه ابن الجوزى
فيقول ٠٠٠٠ وذكر رده السابق ٠٠٠٠

قلت : هكذا اتبع الدكتور ، الشيخ ابن الجوزي على ما قاله ، بل زاد عليه الدكتور حيث اتهم الحافظ بأنه ان كان يقول بالنزول والعلو فهو مجسم بنفسه النزول بالنزول الحسى • فلا بد من رد هذا الكلام ومناقشته مادامت قد الزمت نفسى ببيان حالة هذا الرجل من أول أمره الى آخره ، ومادام هذا الكلام قد ورد من الدكتور دون أن يحقق النظر فى معتقد الحافظ ، لقوله السابق : ولا أدري — ما يقول : فيرد هذا الكلام بما يلى :

١ — يقال : للدكتور اذا كنت لا تدري ما يقول الرجل فالواجب أن تعلم ما يقول أولا ، ثم تتجشم الرد عليه ، كما يقال : الحكم على الشئ • فرع عن تصويره •

٢ — لقد قيدت : قولك : انه مجسم ، بما اذا كان يقول ذلك الكلام ، فأقول لك : انه يقول : ذلك الكلام ، وغيره من السلف يقولونه ، وراجع ان شئت ١ — التوحيد لابن خزيمة ٢ — رد الدارمى للدارمى ٣ — شرح الطحاوية ٤ — مقدمة كتاب الرسالة لآبى زيد القيروانى ٥ — جميع كتب شيخى الاسلام ابن تيمية وابن القيم ٦ — جميع مؤلفات ابن عبد البر نفسه • ٧ — وجميع مؤلفات الداعية الكبير حاملى الدعوة المعاصرة الى توحيد الله الخالص : محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وجميع مؤلفات تلامذته ومؤلفات أصحاب هذه الدعوة المباركة التى ارجعت الناس من طواف القبور الى طواف البيت العتيق ومرت دعوة الحاجز الى دعوة القادر المجيب ، وذلك بتذكيرهم بنصوص الشريعة التى فطروا عليها • فاذا رجعت الى ذلك ، فانك ستجد المقنع ان شاء الله ولا يظن فيك الا أنك ستراجع عن هذا الاتهام عندئذ •

٣ — ان التجسيم كما عرفه العلماء : هو ان تعتبر النزول كنزول المخلوق والعلو والاستواء كما يعلو الانسان ، وكما يستوى على مكان مرتفع فهذا هو المحسوس ، والمنوع ، تعالى الله سبحانه أن يشبه بأحد من خلقه أيها كان •

وليس من ذلك فى شئ : اثبات الصفات لله الذى أقرت به جماعة المسلمين اثباتا من غير تكييف أو تمثيل أو تعطيل ، ولا يخفاه أيها الشيخ أن جماعة المسلمين الذين مضوا على ذلك لا يضرهم أن تقول لهم المعتزلة ، ومن سار على نهجهم انكم مشبهون ، لأن كل معطل لصفقا كانت يسمى من يشبهها مشبهها • والله المستعان •

المبحث الثاني عشر

مذهب

لم يكن الحافظ بن عبد البر من الذين يكتفون بمذهب من المذاهب ، ثم لا يعرجون على مآداه ، اكتفاء به ، بل كان جوالا بين فنون المعرفة ، لا يقتصر منها قنا الا وأخذ العدة للازدياد ، من بحور العلم المتلاطمة الأخرى .

ولذلك نراه كان ظاهريا ، ثم مالكا ، ثم محدثا ، ثم كان له ميل عظيم الى اقتناص مذهب الشافعي رحمه الله .^١

قال الذهبي بعد كلام كثير في ترجمته : " وكان ديننا صينا نخقة حجة صاحب سنة واتباع ، وكان أولا ظاهريا أثريا ، ثم صار مالكا مع ميل كثير الى فقهاء الشافعي " .^٢

وعلى هذا فابن عبد البر قد مرت به أدوار عدة في اختياره للعلم ، والمذهب اللذين بقى عليهما ، فكان أول أمره قد اختار مذهب الظاهرية الذي كان أول من أدخله الى الأندلس : هو عبد الله بن قاسم^٣ ، فظل عليه ماشاء الله فلذا كان أشهر الظاهرية في أيامه من تلامذته أمثال : ابن حزم^٤ وأبي عبد الله الحميدى^٥ وسيأتى بيان ذلك ان شاء الله في الكلام على طلابه ، وفي تلك الآونة كان كثير الجدال مع من يفسحون عنهم الرأي ، وكثرة الاستنباطات التي تبعد عن النصوص ، فكان ذلك سبب الجدال الحاصل بينه وبين الباجي أبي الوليد^٦ . إذ كان الباجي كثير الاستنباطات ، وصيق الاستنتاج ، كما هو معلوم لمن راجع المنتقى شرح الموطأ له ، وبعد تلك الفترة التي قضاها في اختياره لمذهب

(١) راجع جذوة المقتبس للحميدى ٣٤٤ ، وبغية الطمس للضبي ٤٧٤

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١١٣٠

(٣) هو : عبد الله بن قاسم بن هلال القيسي أبو محمد الأندلسي ، مشهور بالرحلة والطلب وقد كان كثير الميل الى أقوال الظاهرية ، لذلك اهتم بكتبهم . فأورد ها الأندلسي وتوفي سنة ٢٩٢ هـ . ارجع الى بغية الطمس للضبي ٣٣٧

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ٩٢ قال : " وكان صاحباً للشيخ أبي عمر

بن عبد البر النمري " . (٥) بغية الطمس للضبي ١١٣

(٦) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠٩

الظاهرية أصبح يتسم بالفقه أكثر بحيث صار المترجمون له فيما بعد يسمونه بالفقيه ،

فالى ابن عبد البر فقيها مالكا :

٢ - وفعلًا جنح الحافظ الى الفقه جنوبًا قويا بحيث أنه أصبح يرد على الظاهرية ردودا تتسم أحيانا بالشدة ، والانكار "١" ولقد امتدت به هذه الفترة ، فألف فى شرح الحديث كتاب التمهيد الذى هو من أفخر ما ألف فى معنى الحديث ، كما سيأتى فى الكلام عليه ، والى الاستذكار له ، وهو أيضا خلاص بآراء مالك ، والعلماء الذين افتوا فى المسائل الدينية فأفاد فى هذين الكتابين افادة عظيمة ، ثم كان منه الاهتمام العظيم فى ارجاع الفقهاء بالاندلس الى النصوص من الكتاب والسنة وترك ما حدث من التقليد الاعشى هنالك "٢" فذلك تعتبر هذه الفترة فى الدرجة الثانية ، حيث كان اهتمامه منصبا فى الدرجة الاولى على فهم فقه الحديث وحفظ الفاظه ، وتقيد به ، كما سيأتى ان شاء الله ، ومما تجدر به الاشارة أن الحافظ كان فى تلك الفترة مالكا المذهب فذلك ، يرى المترجمون : أنه فقيه مالكا المذهب "٣" - زيادة على أنه امام الحديث فى الاندلس ، وقد ألف فى هذا المذهب كتابا مفيدة ، منها : الكافى فى الفقه فى اختلاف أقوال مالك وأصحابه ، رحمهم الله عشرون كتابا "٤" ولكن مع كونه مالكا فى تلك الفترة كان مجتهدا فى جمع الحديث ، وطومه ، ومن أجل ذلك لم يضر عليه كثير من الزمن حتى صار حافظ الاندلس .

-
- (١) راجع التمهيد لابن عبد البر ١: ٥٧ - ١٠٨ و ١: ٣١١ وانظر نفس الجزء التمهيد ١: ٣٩٧ والاستذكار له ١: ١٠٢ ، قال هنا فى مسألة قضاء الصلاة لمن تركه عمدا : " وقد شذ بعض أهل الظاهر وأقدم على خلاف جمهور علماء المسلمين ، وسبيل المؤمنين ، فقال : ليس على المتعمد لترك الصلاة فى وقتها أن يأتى بها فى غير وقتها ، لأنه غير نائم ولا ناس ٠٠٠ ثم رد عليهم بالأدلة المتنوعة بعد هذا الكلام الحار .
- (٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢: ١٣٣ - ١٣٤ وما بعده ٠٠٠٠
- (٣) الديباج لابن فرحون ٣٥٧ لقد ذكر : أنه ممن لم يرم مالكا ، والتمزم مذهبهم من أهل الاندلس ، والرسالة المستطرفة للكاتب ١٤
- (٤) ترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٤ : ٨١٠ ، والفهرس لابن خير ٢٥١ ، وجذوة المقتبس ٣٤٥

فاليه وهو :

٣ - محدث الاندلس الحافظ :

نعم ضم الحافظ الحديث الى الفقه فصار متسا بهما لا ينفكان عنه ، الا أن كل من كان عنده علم بحقيقة هذا الرجل ، يعلم علم اليقين أنه قد غلب عليه طعم الحديث حتى كاد أن يكون صفته المتميزة ، يقول صاحب الوفيات ابن خلكان :

" امام عصره في الحديث ، والاثر ، وما يتعلق بهما " ١

قلت : فهذه شهادة من ابن خلكان على تفوق هذا الرجل من هذا الباب (معرفة الحديث) ولكن لا ينفي ذلك أن يضم الى ذلك طوما أخرى كغيره من السابقين الذين كانوا يجمعون الكثير من التخصصات غالبا ، وكما قلت سابقا : جمع الحافظ بين علم الحديث ، وعلم الفقه مع حفظه البارع لأقوال العلماء في مسائل الأحكام ، ومضى على ذلك حتى آخر أيامه ، ولكنه لم يكن من الجامدين الذين يكتفون بما حصل مهما كانت ضالته ، بل كان ملتهبا بحب الاطلاع ، وتقييد الفنون ، فلذا ، كان قد حصل له الميل الكثير الى أقوال الشافعي رحمه الله ، ولا غرو في ذلك فهو متحرر التفكير ، لا يقلد أحدا ، بل كان يأخذ العلم بالدليل ، ويحرم التقليد الاعشى فلا يرخس فيه الا لمن كان لا بد له من التقليد ، مثل العامي الذي لا يمكنه أن يدرك معاني النصوص في تلك الآونة فيقلد حتى يتمكن من ادراك المعاني ، والفهم " ٢

قلت : وسيأتى ان شاء الله في فصل المأخذ عليه : مأخذ عليه في باب

الفقه وغيره .

(١) وفيات الاعيان لابن خلكان ٦ : ٦٤

(٢) راجع : جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ : ١٢٣ وما بعده

المبحث الثالث عشر

شيوخه

الكلام على الذين أثروا فيه أكثر فأكثر :

وسما أن شيوخ كل طالب هم الأساس الذي بنى عليه ، والمدرسة التي تخرج منها ، مادام الأمر كذلك فلا بد من البحث عن مشايخ الحافظ بن عبد البر وخاصة الذين أسهموا أسهاما مباشرا في تكوين شخصيته .

وكما سبقت الإشارة الى كثرة شيوخه في الفصل المتقدم ، فإن هذا الرجل قد تلقى العلم على من لا يحصون كثرة من العلماء ، الأجلاء ، من أكابر أهل الحديث بقرطبة وغيرها ، ومن الغرابة القاديين إليها .^١

وهذا هو السبب في رغبة العلماء في سنده لأنه لقي كبار الناس الذين تلقوا العلم عن سبقهم ، من كبار العلماء .

قلت : ولا يخفى أن حصر مثل هذه الأعداد مما لا يتصور ، فلذا اخترت : أن أتكلم على طائفتين مشايخه فقط وسأحاول بحون الله أن يكونوا من أكثر مشايخه أسهاما في تكوينه ، وبذلك ندرك سببا ما وصل اليه من التفوق تمشيا مع قول الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

قالى التعريف بأولئك الاقذاذ النجباء :

١ - أبو عمر بن المكي^٢ أحمد بن عبد الملك الأشبيلي المالكي ، انتهت اليه رياسة العلم بالاندلس في زمانه^٣ لزمه أبو عمر بن عبد البر فأخذ عنه الفقه وكتب بين يديه^٤ كان ورعا وصاحب صيانة ، دعى الى القضاء مرتين

-
- (١) جذوة المقتبس للحميدى ٣٤٤ ، وبغية الطميس ٤٧٤
(٢) بضم الميم وسكون الكاف ، راجع العبر للذهبي ٣ : ٧٤ ، ولكن الحميدى ضبطه بفتح الميم في جذوة المقتبس ١٢٣ - ١٢٤
(٣) شذرات الذهب لابن العماد ٣ : ١٦١
(٤) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠٨ وشذرات الذهب ٣ : ٣١٥

قامت مع ، الف في مذهب مالك بن أنس كتاب الاستيعاب عشر مجلدات^١ ،
ولقد بلغ من حبه للمطالعة مبلغاً فاق الوصف ، ولذلك يرى لنا القاضي
عياض قصة اختياره مع من عينوا لتفتيش مكتبة هشام المؤيد ، فيقول :

” كان مما أنه على سعة المطالعة أنه تخبر هو وقوم من الفقهاء صدر خلافة
هشام أيام ابن أبي عامر - تقدما - للفحص في خزانة العلم وتفتيش ما يحوز
فيها من آلاته ووردها إلى مواضعها مرتبة إلى أشكالها ، معهم من
الفتيان طائفة يتولون ذلك ، يمين أيديهم ، فاستجاب أبو عمر لما كلف من
ذلك على بعده من الالتباس بعمل السلطان ، لما رجاني ذلك من المطالعة
للخرائب التي جلبها الحكم ، واقتدر مضاعف ما لم يقتدر عليه سواه ، مما
كان أبو عمر يتشوق إليه ، فرغب أبو عمر إلى أصحابه أن يحفوه من مباشرة
ما اشتغلوا به من التأليف ويتركوه والمطالعة ، فاستوسع في ذلك ، وطالت
مدة عطيم في ذلك لكثرة الكتب ، ووفر خزانتها حولا كاملا ، وفوقه ، فحصل
للشيخ من ذلك ما أمله ، وكان عظيم التذكر حسن الحفظ بطي النسيان^٢ ”
وتوفي رحمه الله فجأة عن سبع وسبعين سنة ، سنة ٤٠١ هـ^٣ .

٢ - أبو الوليد الحافظ ابن الغرضي :

عبد الله بن محمد بن يوسف القرطبي ، الحافظ المتقن ، قتل الضبي :
” كان حافظا متقنا عالما ، ذا حظ وافر من الأدب ”^٤ .

-
- (١) شذرات الذهب لابن العماد ٣ : ١٦١
 - (٢) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٦٣٨
 - (٣) العبر للذهبي ٣ : ٧٤ وشذرات الذهب لابن العماد ٣ : ١٦١ والديباج
لابن فرحون ٣٩ ، قال : شيخ الأندلس في وقته ، حتى صار بمنزلة يحيى
بن يحيى - أي في الأندلس - وأعطى على الفقهاء ونفذت الأحكام
برأيه وكان لا يداهن السلطان ولا يترك قول الحق لقريب ، أو بعيد ،
وكان يحفظ الناس لقل مالك ، وأصحابه ، وقيل : أنه أحفظ معاصريه
للسنة وطومها ١٠ هـ النقل على تصرف
 - (٤) بخية الطمس للضبي ٣٢١ وجذوة المقتبس للحمدي ٢٣٧

وقال ابن العماد : كان فقيها عالما في جميع فنون العلم ، في الحديث والرجال . وقال : قتلته البربر في داره ، وداروه من غير غسل ولا كفن ، ولا صلاة ، قال : وروى أنه تعلق بأستار الكعبة ، وسأل الله الشهادة ، وعاش ٥٢ سنة ^١ . سمع بالأندلس من جماعة منهم : أبو زكريا يحيى بن مالك بن عاذ ، ومحمد بن أحمد بن يحيى بن فرج القاضي وسمع بمكة المكرمة من أبي يعقوب يوسف بن أحمد بن يوسف الصيد لاني المكي ومن أبي عبد الله أحمد بن عمر بن الزجاج القاضي وغيرهم ^٢ .

نقل الذهبي عن أبي مروان بن حيان أنه قال :
" لم نرمثل ابن الفرضي بقرطبة في سعة الرواية ، وحفظ الحديث ، -
ومعرفة الرجال ، والافتتان في العلوم والآداب " ^٣ .

وقد لزمه ابن عبد البر مودة فأخذ عنه كثيرا من العلم بالحديث والرجال ^٤ .
بل صرح صاحب البغية : بأن الحافظ ابن عبد البر قد أخذ عنه عدة
كتب بأكملها ، ومن جملتها التاريخ له وغيره ^٥ .

قلت : وله كتاب تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ، وهو مطبوع بمصر ،
وله كتاب المؤلف والمختلف وهو مخطوط ^٦ .

وقد كان هذا الرجل بشهادة عامة المترجمين من أكبر المكونين لشخصية
الحافظ ابن عبد البر ولذلك أطلقوا على مصاحبه له : اسم الملازمة ،
وهذا يدل على طول ملازمته له . ومن هنا نشأ الحافظ على ما رياه
عليه ابن الفرضي ، من حفظ الحديث وما يتعلق به .

-
- (١) شذرات الذهب لابن العماد ٣ : ١٦٨ والمغرب في حلى المغرب لابن سعيد ١ : ١٠٣
 - (٢) بغية الطميس للضبي ٣٢٢
 - (٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١٦٧٦ - ١٠٧٧
 - (٤) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠٨ وشذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣١٥
 - (٥) بغية الطميس للضبي ٣٢٣
 - (٦) فضائل الأنديلس لابن حزم ١٤ ، وبغية الطميس ٣٢٢ وفهرسة ابن خير الاشبيلي ٢١٨

ومعرفة التاريخ ، والاستقلال بنفسه والاعتماد عليها بعد الله سبحانه ،
والدعوة الى الجمع بين معرفة الحديث ، ومعرفة الفقه .

وكان رحمه الله مشهورا : بآبن الفرضى بفتح الفاء والراء وكسر الضاد .

وكانت وفاته حسب ما ذهب اليه البعض سنة ٤٠٠ في أول فتنه البربر ،^١
ولكن البعض من العلماء قالوا بأنه مات سنة ٤٠٣ في نفس الفتنة المذكورة^٢
ولا يخفى أن تلك الفتنة قد تكررت على قرطبة - أعادها الله الى الاسلام -
مرارا من سنة ٣٩٩ الى ما بعده من الأعوام المتتالية نعوذ بالله من تلك
الفتن المتلاطمة كظلم الليل .

٤ - عبد الوارث بن سفيان بن جبرون^٣ من أجل مشائخ الحافظ بن عبد البر
روى عن قاسم بن أصبغ البيانى فأكثر ، وعن وهب بن مسرة ، ومحمد
بن معاوية ، وغيرهم ، خلق لا يحصون كثرة ،^٤

كان قد لزمه الحافظ بن عبد البر ، فأكثر عنه ، فمما أكثر قول ابن عبد البر :
أخبرنا أو حدثنا عبد الوارث بن سفيان^٥ وقد أتى عليه الحافظ
بن عبد البر فيمن نقله الضبي فقال : وكان من الزم الناس لأبى محمد قاسم
بن أصبغ ، ومن أشهر أهل قرطبة بصحته ، حتى يقال : انه قل طافاته
شىء مما قرئ عليه ، سمع منه من سنة ٣٣٢ ، الى سنة ٣٣٨
الى أن نقل عن ابن عبد البر أنه قال : رأيت كثيرا من أصول قاسم
بن أصبغ فرأيت سماعه فى جميعها ، وقد حدث بعلم جم .

-
- (١) بغية الملتبس للضبي ٣٢٢ ، والمغرب ١: ١٠٣
 - (٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ١٠٧٨: ٣ والديباج لابن فرحون ١٤٣
 - (٣) بضم الجيم وسكون الباء ، البغية للضبي ٣٨٦
 - (٤) بغية الملتبس للضبي ٣٨٦ ، وجذوة المقتبس للحميدى ٢٧٦
 - (٥) انظر مثلا الصفحات التالية من كتبه : التمهيد لابن عبد البر ٥٢ ،
و ٥٥: ١ و ٥٨: ١ ، و ٦٤ ، و ٦٥ ، و ٥٧ ، و ٧٣ ، و جامع
بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١: ١٨٠ و ١٨٤ ، و ١٨٦ ، و ١٨٧ ،
و ١٨٨ ، و ١٩٧ ، و ٨٧: ٢ ، و ٨٨: ٢ ، و ٩٤: ٢ ، وغير ذلك
كثيرا جدا .

وكفى أبا القاسم ، وهو من كبار أهل قرطبة الحفاظ المتقنين ، وكان يعرف بابن الحبيب *١*

وقد كان لملازمة الحافظ بن عبد البر له فوائد عظيمة ، فقد روى عن الحافظ أنه تلقى عنه عدة كتب منها :

١ - كتاب مصنف أبي محمد قاسم بن أصبغ في السنن

٢ - المعارف لأبي محمد ابن قتيبة

٣ - شرح غريب الحديث لابن قتيبة أيضا *٢*

وتوفي الحافظ عبد الوارث بن سفيان سنة ٣٩٥ *٣*

٤ - ابن الجسور *٤* أبو عمر أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد الأموي مولاهم القرطبي ، محدث مكثر ، من أجل شيوخ الحافظ الذين روى عنهم بقرطبة . *٥*

وروى أحمد بن الجسور عن قاسم بن أصبغ ، وسمع أبا علي الحسن بن سلمة بن سلمون صاحب أبي عبد الرحمن النسائي وأبا بكر أحمد بن الفضل بن العباس الدنوري حدث عنه بكتاب التاريخ لمحمد بن جرير الطبري وسمع من الأندلسيين : وهب بن مسرة ومحمد بن معاوية القرشسي ، وابن أبي دليم ، وطبقتهم .

وروى عنه جماعة كثيرة : منهم كما سبق أبو عمر بن عبد البر وابن حزم ، وقيل انه أول شيخ سمع منه ابن حزم قبل الأربع مائة *٦*

وكان ميلاده سنة ٣٢٠ هـ وتوفي سنة ٤٠١ في ذي القعدة ، وكان ذلك بمنزله ببلاط مغيث بقرطبة . *٧*

-
- (١) شذرات الذهب لابن العماد ١٤٥:٢
(٢) بغية الملتبس للضبي ٣٨٦ وترتيب المدارك للقاضي عياض في روايته عنه ٣ و ٤ : ٨٠٨
(٣) شذرات الذهب ١٤٦:٣
(٤) بفتح الجيم وضم السين . جذوة المقتبس للحمدي ٩٩ - ١٠٠
(٥) بغية الملتبس للضبي ١٤٣ وجذوة المقتبس للحمدي ٣٤٥ ، وترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠٨
(٦) بغية الملتبس للضبي ١٤٣ ، وشذرات الذهب لابن العماد ١٦١:٣
(٧) شذرات الذهب لابن العماد ١٤١:٣ وبغية الملتبس للضبي ١٤٣

٥ - التاهرتي : احمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن محمد التميمي التاهرتي "١"
البيزار ، سمع بالاندلس من قاسم بن اصبح ، ووهب بن مسرة ، ومحمد
بن معاوية القرشي ، وكان من الصالحين القانتين "٢" ثقة فاضلا
وتقيا "٣"

وقد روى عنه الجهم الغفيري ومن أشهر من روى عنه الحافظ بن عبد البر ،
فقد روى عنه كتباً بحذاقها ، ومن ذلك ما نقل الضبي عن الحافظ
قال : قال أبو عمر - بن عبد البر - وقد لقيته ، وسمعت كثيراً منه ، قال
أبو عمر : أخبرنا احمد بن قاسم بكتاب صريح السنة لأبي جعفر الطبري
ومكتاب فضائل الجهاد له - أي للطبري - ورسالته إلى أهل طبرستان "٤"

قلت : وهذا يدل على كثرة رواية ابن عبد البر عنه حيث تمكن من أن يروى
عنه كتباً بكاملها ، شأن الحريص على العلم ، فقد أكثر عنه الحافظ فما أكثر
اسمه في أسانيد ابن عبد البر . "٥"

وقد أخبر عن ميلاده أنه كان سنة ٣٠٩ هـ وتوفي سنة ٣٩٦ بقربطبة ،
مهجر أبيه ، حيث أنه هاجر به وهو صغير ، إلى الاندلس قادماً من مولده
بالمغرب العربي ، وصلى عليه قاضي الجماعة أبو العباس بن ذكوان . "٦"

٦ - ابن فطيس : هو عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس "٧" بن اصبح
القرطبي أبو العطر "٨" الاندلسي المشهور ، روى عن عبد الله بن مفرج

-
- (١) بفتح التاء والهاء وسكون الراء ، وفوقية ، نسبة إلى تاهرت ، اسم موضع
بأفريقيا . شذرات الذهب لابن العماد ٣ : ١٤٥
 - (٢) شذرات الذهب لابن العماد ٣ : ١٤٥
 - (٣) بغية الملتبس للضبي ١٨٨
 - (٤) بغية الملتبس للضبي ١٨٨ ،
 - (٥) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١ : ٢٣ و ٢٤ و ٤٩ ،
 - (٦) بغية الملتبس للضبي ١٨٨ ، وشذرات لابن العماد ٣ : ١٤٥ ، وجذوة
المقتبس للحمدي ١٣٢
 - (٧) بضم الفاء وفتح الطاء وسكون اليا ، هكذا ضبطه الذهبي في العبر ٣ : ٧٨
 - (٨) بضم الميم وفتح الطاء وتشديد الراء المكسورة . العبر ٣ : ٧٨

واحمد بن عون ، وخلق لا يحصون كثرة ، من تلك الطبقة ، الحافظ الثبت العلامة قاضى الجماعة ، وكان رحمه الله من جهابذة الحديث عارفا بالرجال كان يطل من حفظه . " ١ "

ويقول عنه عياض : من مشاهير القرطبيين ، وجلتهم ، وفضلائهم ، وكان الغالب عليه الحديث ، وكان واحد زمانه فى جمع الحديث ، وروايته ، ولم يكن بعهد المستصرا جمع منه ، ولا أعرف بما جمع ، قال : ولم يكن بالأندلس من يطل من حفظه على رسم أهل المشرق سواء ، أحد من أئمة السنن ، كان مشهورا بالزهد ، والفقه ، والصلابة ، فقلد الظالم ، والأحكام لابن أبى عامر المنصور ، ومن بعده ، فقام بها أحسن قيام . " ٢ "

وقال عنه الذهبى : صنف كتب كثيرة ، وجمع ما لم يجمعه أحد فقل ان كتبه بيعت بأربعين ألف دينار ، ومن جملتها على ما ذكر :

كتاب أسباب النزول فى مائة جز
كتاب فضائل الصحابة فى مائة جز
كتاب معرفة التابعين فى مائة وخمسين جز والناسخ والمنسوخ فى ثلاثين جز
كتاب الاخوة فى أربعين جز
كتاب دلائل الرسالة فى عشرة أسفار " ٣ "

ويقول ابن فرحون بعد أن كرر كثيرا ما سبق عنه : وله مشاركة فى سائر العلوم ، وجمع من الكتب فى أنواع العلم ما لم يجمع أحد من أهل عصره ، بالأندلس ، وكان له ستة وراقين ينسخون له . " ٤ " دائما وكان قد رتب لهم على ذلك راتبها معلوما وكان لا يسمع بكتاب حسن الا اشتراه ، أو استمضه . " ٥ "

-
- (١) تذكرة الحفاظ للذهبي ١٠٦١ : ٣
 - (٢) ترتيب المدارك لقياض عياض ٣ و ٤ : ٦٧١
 - (٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ١٠٦١ : ٣
 - (٤) الديباج لابن فرحون ١٥٠
 - (٥) الديباج لابن فرحون ١٥٠

وقد كان ممن تتلمذ عليه الحافظ بن عبد البر وأبو عمر بن الحذاق وعدد لا يحصون كثرة ، "١" وقد توفي سنة ٤٠٢ "٢"

٧ - الطلمنكي : هو أحمد بن محمد بن أبي عبد الله بن أبي عيسى المعافري "٣"
أبو عمر الطلمنكي ، "٤" الأندلسي المقرئ المحدث ، الحافظ ، عالم قرطبة ، صاحب التصانيف ، وغلّب عليه القرآن ، والحديث ، "٥" وله عدة كتب منها :

كتاب الدليل الى معرفة الجليل مائة جزء ،
كتاب في تفسير القرآن نحو هذا
كتاب في الوصول الى معرفة الأصول
كتاب البيان في اعراب القرآن
وغير هذه الكتب له كثيرة "٦"

قال عنه ابن بشكوال : " وانصرف الى الأندلس بعلم كثير - أي بعد الرحلة الى المشرق - وكان أحد الأئمة في علم القرآن العظيم قراءته ، وأعرابه ، وأحكامه ، وفاسخه ومنسوخه ، ومعانيه ، وجمع كتبنا حسانا كثيرة النفع على مذاهب أهل السنة ، ظهر فيها علمه ، واستبان فيها فهمه ، وكانت له عناية كاملة بالحديث ، ونقله ، وروايته ، وضبطه ، ومعرفة برجاله وحملته ، حافظا للسنن جامعا لها ، اما ما فيها عارفا بأصول الديانات . . . قديم الطلب للعلم ، مقدما في المعرفة والفهم على هدى وسنة واستقامة ، وكان سيفا مجردا على أهل الأهواء والبدع ، قامعا لهم ، غيورا على الشريعة ، شديدا في ذات الله

-
- (١) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١٠٦١ والديباج لابن فرحون ١٥٠
 - (٢) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٦٧١ وتذكرة الحفاظ ٣ : ١٠٦١ والديباج ١٥٠ ، والعبر للذهبي ٣ : ٧٨
 - (٣) بفتح الميم ، والعين ، وكسر الفاء والراء نسبة الى المعافر : بطن من قحطان . شذرات الذهب ٣ : ٤٣
 - (٤) نسبة الى أصله : طلمنكة . بفتح الطاء واللام والميم ، وسكون النون وفتح الكاف وهاء ساكنة من ثغر الأندلس الشرقي . الديباج لابن فرحون ٣٩
 - (٥) الديباج ٣٩ والشذرات لابن العماد ٣ : ٢٤٣ (٦) الديباج ٣٩

تعالى "١" . روى عن أبي محمد الباجي وأبي القاسم خلف بن محمد الخولاني وعباس بن أصبغ ، وغيرهم ، توفي سنة ٤٢٩ هـ وكان ميلاده سنة ٣٤٠ "٢"

٨ - الجهنى : وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الجهنسى الطليطلنى ، سكن قرطبة ، وكان من أبرز شيوخ ابن عبد البر "٣" وسمع من قاسم بن أصبغ ، وصاحب القاضى بن منذر بن سعيد ، ورحل الى المشرق سنة ٣٤٢ فلقى كبار العلماء هناك فى ذلك الوقت ، مثل : على بن السكـن بمصر وأبى محمد بن الورد وأبى العباس السكرى . . . وغيرهم "٤"

يقول عنه عياض " توسع فى السماع ، وكان ضابطا متقنا للرواية حسن الحديث ، فصيح اللسان ، حاضر الجواب ، جليل القدر وجمع الى الفقه الأدب ، وله حفظ من علم اللغة والشعر ، وكان لا يغير كتابا الا بمشقة ، ولا يسمع فى غير كتابه "٥"

ولقد حدث عنه سوى ابن عبد البر من كبار شيوخ ابن عبد البر : أبو الوليد بن الفرضى ، والقاضى أبو المطرف بن فطيس ، وغيرهما "٦"

وقد كان من جملة مرويات الحافظ بن عبد البر عنه : مصنف النسائى وكان ذلك بسنده الى النسائى رحمه الله "٧"

وكانت ولادته سنة ٣١٠ هـ ، وتوفى يوم الاثنين لسهب بقين من ذى الحجة سنة ٣٩٥ هـ "٨"

-
- (١) الصلة لابن بشكوال ١ : ٤٩
 - (٢) الديباج لابن فرحون ٣٩ والشذرات ٣ : ٢٤٤ وجذوة المقتبس للحميدى ١٠٦
 - (٣) ترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٨ : ٨٠ ، وجذوة المقتبس للحميدى ٣٤٥ والحلل السندسية لشكيب ارسلان ١٢ : ٢
 - (٤) الصلة لابن بشكوال ١ : ٢٤٠ ، والحلل لشكيب ارسلان ١٢ : ٢
 - (٥) ترتيب المدارك ٣ و ٤ : ٦٨٧ - ٦٨٨
 - (٦) الصلة لابن بشكوال ١ : ٢٤٢
 - (٧) بغية الطميس للمضى ٣١٩
 - (٨) الصلة لابن بشكوال ١ : ٢٤٢

٩ - ابن الصفار : يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث ، أبو الوليد قاضي الجماعة بقرطبة ، يعرف بابن الصفار "١" سمع أبا بكر محمد بن معاوية القرشي المعروف بابن الأحمر ، ومحمد بن يتي بن زرب ، والعباس بن عمرو ، وغيرهم "٢".

كان من أعيان أهل العلم الفضلاء ، زاهدا ، وولي القضاء مع الخطابة والوزارة ، ونال رئاسة الدين والدنيا ، وكان فقيها صالحا عدلا حجة علامة في اللغة العربية ، والشعر فصيحاً مفوهاً كثير المحاسن ، وكان آخر الخطباء المعدودين ، وخاتمة القضاة بقرطبة ، وكان أكثر سندا ممن بقي من المحدثين وأوسعهم جمعا ، وأعلامهم سندا "٣".

وقد روى عنه الحافظ بن عبد البر ، وأبو محمد بن حزم ، ومحمد بن فرج مولى الطلاع ، وغيرهم خلق سواهم "٤".

وكانت وفاته رحمه الله في ليلة الجمعة لثلاث بقين من رجب سنة ٤٢٩ هـ وكانت سنه : تسعون سنة وستة أشهر "٥".

١٠ - ابن الدباغ : هو خلف بن القاسم بن سهل ، وقيل بن سهلون ، أبو القاسم ، المعروف بابن الدباغ ، حدث بالأندلس عن يحيى بن زكريا بن الشامة وغيره ، ورحل إلى مصر ، ومكة المكرمة ، والشام ، وسمع هناك جماعة منهم أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي الموت المكي صاحب علي بن عبد العزيز

(١) بالصاد والفاء المفتوحين المشددتين ، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ١: ١٤٧

(٢) بغية الملتبس للضبي ٤٩٨ ، وجذوة المقتبس للحمدي ٣٦٢

(٣) المغرب في حلى المغرب ١ : ١٥٩ وترتيب المدارك لعباس ٣ و ٤ : ٧٣٩ - ٧٤٠ وشرارات الذهب لابن العماد ٣ : ٢٤٤ ، وبغية الملتبس للضبي ٤٩٨ .

(٤) بغية الملتبس ٤٩٨ وجذوة المقتبس ٣٤٥

(٥) شرارات الذهب لابن العماد ٣ : ٣٤٤ والمغرب في حلى المغرب - لابن سعيد ١ : ١٥٩

وأبو أحمد عبد الله بن محمد بن ناصح بن شجاع المعروف بابن المفسر ، "١" وغيرهما .

قال صاحب شذرات الذهب : وهو امام ناقد ، مقرب مصنف ، "٢"
وقال الضبي : كان محدثا كثيرا حافظا ، ثم قال :

روى عنه أبو عمر بن عبد البر الحافظ فأكثر ، قال : وكان لا يقدم عليه
أحد من شيوخه ، ثم قال : قال أبو عمر : أما خلف بن القاسم بن سهيل
الحافظ فشيخ لنا وشيخ لشيوخنا ، أبي الوليد بن الفرضي ، وغيره ، كتب -
بالمشرق عن نحو ثلاثمائة رجل ، وكان من أعلم الناس برجال الحديث ، وأكتبهم
له ، وأجمعهم لذلك ، وللتواريخ ، والتفسير ، قال : ولم يكن له بصر بالرأى
..... وهو محدث الأندلس في وقته " هذا آخر ما نقله الضبي عن ابن عبد البر
في شأنه مع بعض الزيادة والنقص "٣" ويقول ابن فرحون : " روى عنه جماعة
من الكبار منهم أبو عمر بن عبد البر وأبو عمرو الداني ، وأبو الوليد الفرضي . "٤"
وكانت وفاته رحمه الله بمكة المكرمة سنة ٣٩٣ . "٥"

١١- الباجي : هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي القرطبي "٦"
روى بالأندلس عن جماعة منهم مكى ، وغيره ، وكانت له رحلة طويلة
مشهورة إلى المشرق مكث فيها ثلاثة عشر سنة ، ثم عاد إلى الأندلس وقد نال حظا
وافرا من العلم . "٧"

-
- (١) بغية الملتبس للضبي ٢٧٢
 - (٢) شذرات الذهب لابن العماد ٣ : ١٤٤
 - (٣) بغية الملتبس ٢٧٤
 - (٤) الديباج لابن فرحون ١١٥
 - (٥) بغية الملتبس للضبي ٢٧٤ ، والديباج لابن فرحون ١١٥ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣ : ١٤٤
 - (٦) شذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣٤٤ ، وبغية الملتبس ٢٨٩ ، والمغرب لابن سعيد ١ : ٤٠٤
 - (٧) بغية الملتبس ٢٨٩

قال القاضي عياض : " كان رحمه الله فقيها نظارا محققا راوية ، محدثا يفهم صيغة الحديث ، ورجاله ، متكلم أصوليا ، فصيحاً شاعرا مطبوعا ، محسن التأليف ، متقن المعارف ، له في هذه الأنواع تصانيف مشهورة جليلة ، ولكن ابلغ ما كان فيها في الفقه ، واثقانه على طريق النظر من البغداديين ، وحذاق القرويين ، والقيام بالمعنى والتأويل " ١ " قال ابن كثير : الفقيه المالكي الأندلسي أحد الحفاظ الكثيرين في الفقه ، والحديث ، سمع الحديث ، ورحل فيه الى بلاد المشرق سنة ٤٢٦ " ٢ " .

وقال الضبي : " فقيه محدث امام متقدم مشهور عالم متكلم " ٠٠٠ " وله تواليف تدل على معرفته ، وسعة علمه ، قال : روى عنه جماعة من العلماء من اكبرهم أبو عمرو بن عبد البر النمرى ، والحافظ أبو بكر الطرطوشي ، وأبو علي الفخار وغيرهم " ٣ " .

وذكره الذهبي ، وأطال في الثناء عليه ، فقال : " ذوالفنون ، أصله من بطلينوس فانتقل جده الى باجة ، المدينة التي بقرب اشبيلية فنسب اليها " ٤ " وكان له من التصانيف : المنتقى في شرح الموطأ ، واحكام الفصول في احكام الأصول ، والجرح والتعديل " ٥ " .

وقد ولد رحمه الله سنة ٤٠٣ ، وتوفي سنة ٤٧٤ في التاسع والعشرين من رجب " ٦ " .

١٢ - سعيد بن نصر بن أبي الفتح مولى أمير المؤمنين ، عبد الرحمن الناصر ، أعظم أمراء الأندلس كما سبق ، في التمهيد ، أبو عثمان ، من أهل قرطبة . روى عن قاسم بن أصبغ وأحمد بن دحيم ، وابن الأحمر ، وأحمد بن مطرف وغيرهم ، كوثب بن مسرة ، وأبي بكر محمد بن معاوية القرشي " ٧ " .

-
- (١) ترتيب المدارك ٤٣ : ٨٠٢
 - (٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ١٢٢
 - (٣) بغية المتلمس للضبي ٢٨٩
 - (٤) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١١٧٨ وما بعدها
 - (٥) البداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ١٢٢
 - (٦) البداية والنهاية ١٢ : ١٢٢ وبغية المتلمس ٢٨٩ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣٤٤
 - (٧) بغية المتلمس للضبي ٣٠١ ، وصلة لابن بشكوال ١ : ٢٠٦

قال ابن بشكوال : " كان من أهل الرواية ، والاجتهاد ، والدراسة بطلب العلم ، والحديث ، وتجويد الكتب ، والمقابلة بها وتصحيحها ، يلجأ اليه فيها ، ومعارض بها ، ٠٠٠ شيخا فاضلا ، عالما بالآداب ، محسن الضبط لروايته ، مقيدا لكتبه ، ثقة في قاسم بن اصبغ وغيره " ١٢

وقد روى عنه من كبار العلماء أمثال : الحافظ بن عبد البر ، وابو عمران الفاسي موسى بن عيسى بن أبي حاج فقيه القيروان ، ويقول الضبي : بأن الحافظ ابن عبد البر قد قال عنه بعد التثاء الجميل : يعرف بابن أبي الفتح ، كان أبوه من كبار موالى عبد الرحمن الناصر ، المقدمين عنده ، ونشأ أبو عثمان فطلب الأذب ورجع فيه ، ثم لازم شيوخ قرطبة ٠٠٠٠ وكتب بأحسن التقيد ، والضبط ، وكان من أهل الدين والورع ، والفضل ، معربا فصيحاً ، " ٢ " ، قلت : ومن جملة مرويَّات الحافظ ابن عبد البر عنه : كتاب المصنفين لقاسم بن اصبغ عن قاسم نفسه ، وغيره وكان رحمه الله من جملة من أكثر عنهم الحافظ " ٣ "

وتوفي رحمه الله رحمة واسعة في يوم الأربعاء لحدى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ٣٩٥ هـ وميلاده سنة ٣١٥ هـ " ٤ "

١٣- الباجي ، وهو غير الباجي السابق - سليمان أبو الوليد - بل هذا : احمد بن عبد الله بن محمد بن علي اللخمي الاشبيلي الحافظ العليم المشهور أبو عمر " ٥ " سمع بالأندلس أباه ، وكبار الشيوخ ، وسمع منه الحافظ ابن عبد البر ، وغيره من كبار الأندلسيين ، وكان من جملة ما رواه عنه الحافظ ابن عبد البر على ما ذكره الضبي بسنده إلى الحافظ :

-
- (١) الصلة لابن بشكوال ٢٠٦:١
 - (٢) بغية الملتبس ٣٠١
 - (٣) انظر مثلاً : التمهيد له ٥٨:١ و ٦٨ ، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٣٨:١ ، و ٨٥ ، و ٩١ ، و ١١٥ ، و ١٢٥ ، و ١٣٧ ، وغير ذلك كثيرا جدا من نقوله عنه .
 - (٤) الصلة لابن بشكوال ٢٠٦:١
 - (٥) شذرات الذهب لابن العماد ١٤٧:٣

كتاب المنتقى لابن الجارود ، وكتاب الضعفاء والمتروكون لابن الجارود أيضا ، وكتاب أبي حنيفة لابن الجارود ، وكتاب الأحاد أيضا لابن الجارود "١".

وروى الحميدى عن الحافظ ابن عبد البر أنه قال : كان أبو عمر الباجي : امام عصره ، وفقه زمانه ، مجمع الحديث ، والرأى ، والبيت الحسن ، والهدى والفضل ، ولم أرى قرطبة ولا بغيرها من كور الأندلس رجالا يقاسر به فى علمه بأصول الدين وفروعه ، كان يذاكر بالفقه ، وذاكر بالحديث ، وذاكر بالرجال . "٢"

وقال القاضى عياض : " اشبهلى من أنه بيت بها فى العلم تقدم ذكرهم عند ذكرابيه ، كان أبو عمر فقيها راوية مسندا ، سمع أياه وولى قضاء بلده أيام المظفر . . . " "٣"

وكانت وفاته رحمه الله فى محرم سنة ٣٩٦ ، وله ثلاث وستون سنة . "٤"

١٤- ابن عبد المؤمن : هو : عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبى ، قال عنه الذهبى : من قدما^٥ شيوخ أبي عمر ابن عبد البر ، وكتبته أبو محمد ، رحل الى بلاد المشرق فدخل العراق ، وغيره ، فسمع أبا بكر المعروف بابن داسة تلميذ أبي داود صاحب السنن ، وأبا بكر أحمد بن جعفر بن مالك القطيعى ، صاحب عبد الله بن أحمد بن حنبل ، وأمثالهم ، من كبار الشيوخ بالأندلس والمشرق "٦" قال ابن الفرضى " لم يكن ضبطه جيدا ، وربما أخل بالهجا " ، وقال : كثير الحديث ، مسندا صحيحا . "٧"

-
- (١) بغية الملتبس للضبي ١٧٤
 - (٢) جذوة المقتبس للحميدى ١٢٠ ، وبغية الملتبس للضبي ١٧٣
 - (٣) ترتيب المدارك لعياض ٣ و ٤ : ٦٨٤
 - (٤) شذرات الذهب لابن العماد ٣ : ١٤٧
 - (٥) الميزان للذهبي ٢ : ٤٩٨ ، وترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٤ :
 - ٨٠٨ ، وبغية الملتبس للضبي ٣١٩
 - (٦) الميزان ٢ : ٤٩٨ ، وبغية الملتبس ٣١٩
 - (٧) هكذا فى تاريخ العلماء . ولعله : صحيح السماع

للسماع ، صدوقا في روايته ، قال : وكان متصرفا في التجارة "١" قال : كتب الناس عنه قديما ، وحديثا ، قال : وسمعنا منه كثيرا ، وأجاز لنا جميع ما رواه ، الى أن قال : سألت عن مولده فأخبرني أن مولده سنة ٣١٤ ، قال : وتوفي سنة ٣٩٠ "٢"

١٥ - اللخمي : محمد بن عبد الملك بن صيفون "٣" بن مروان اللخمي الحداد ، يكنى أبا عبد الله ، سمع بقريظة ووطنه الأصلي ، من عبد الله بن يونس واحمد بن زياد ، وقاسم بن اصبغ ، "٤"

وكانت له رحلة الى المشرق سنة ٣٣٨ ودخل مكة المكرمة ، ومصر ، وطرابلس والقيروان ، وروى عن شيوخ وكبار العلماء في ذلك الوقت . "٥"

وقد كان محمد بن صيفون من شيوخ ابن عبد البر الذين روى عنهم كثيرا ، "٦" وقال عنه ابن الفرضي : كان رجلا صالحا ، أحد العدول حدث ، وكتب الناس عنه ، وعلت سنة ، فاضطرب في اشياء قرئت عليه ، ولم يستمع ، ولا كان من أهمل الضبط ، قال ابن الفرضي أيضا : قال لنا : ولدت في شوال سنة ٣٠٢ قال : وتوفي رحمه الله سنة ٣٩٤ ودفن بمقبرة الرصافة . "٧"

قلت : وهكذا يكثر بنا تعداد شيوخ ابن عبد البر ، مجرد عد ، فكيف بالترجمة لهم جميعا ، فهو زيادة على هؤلاء السابق الذكر ، قد روى عن آخرين تطول بنا الرسالة ، لو تتبعناهم بالترجمة عن آخرهم ، ولذلك سأقتصر على مجرد الإشارة الى بعض الباقيين فقط إشارة مقتصرة ، وهم :

-
- (١) تاريخ العلماء لابن الفرضي القسم الأول ٢٤٧ ، والميراث للذهبي ٢ : ٤٩٨
 - (٢) تاريخ العلماء لابن الفرضي القسم الأول ٢٤٨
 - (٣) في تاريخ العلماء لابن الفرضي : بالضاد بدل صاد ١٠٨٠
 - (٤) شذرات الذهب لابن العماد ٣ : ١٤٤ ، وتاريخ العلماء لابن الفرضي ١٠٨
 - (٥) تاريخ العلماء لابن الفرضي ١٠٩ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣ : ١٤٤ - ١٤٥
 - (٦) اللباب لابن الأثير ٢ : ٢٥٣
 - (٧) تاريخ العلماء لابن الفرضي ١٠٩ ، وشذرات الذهب ٣ : ١٤٤ - ١٤٥

١٦- أحمد بن فتح بن عبد الله التاجر ، روت عنه جماعة كثيرة بالاندلس ،
وطى رأسهم ابن عبد البر "١" وتوفي قريبا من سنة ٤٠٠ "٢" ،

١٧- عبد العزيز بن بخت "٣" أبو الاصبغ من أهل الاندلس ، توفي سنة
٤٠٣ ، "٤"

١٨- سلمة بن سعيد بن سلمة الأنصاري من أهل استيجة "٥" أبو القاسم ،
رحل إلى المشرق ، حج وأقام بالمشرق ٢٣ سنة ، وكان ثقة فاضلا ،
راوية للعلم ، وتوفي سنة ٤٠٦ "٦"

١٩- سلمة بن محمد بن البيهقي ، أبو محمد ، كان محدثا فاضلا ، روى عنه
أبو عمر ، وغيره "٧"

٢٠- عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن يحيى العطار . يكنى أبا زيد ، من
أهل قرطبة ، مولده سنة ٣٢٧ "٨"

٢١- عبد الرحمن بن محمد بن عيسى ، يعرف بابن البيروطة "٩" يكنى
أبا المطرف ، وكان واعظا متواضعا ، وتوفي سنة ٤٦٥ "١٠"

-
- (١) راجع مثلا مؤلفات ابن عبد البر تجد رواية كثيرة له عن هذا الرجل ،
وفي جامع بيان العلم له مثل ١٧: ١٦٤ ، و ٤٠ ، و ٥٦ ، و ٥٧ ،
و ١٠٩ ، و ١٢٩
- (٢) جذوة المقتبس للحمدي ١٣٢ ، مخطبة الملتبس للضبي ١٨٦-١٨٧
- (٣) بضم الباء ، وسكون الخاء
- (٤) الديباج لابن فرحون ١٥٨ ، مخطبة الملتبس ٣٧٢
- (٥) هي بكسر الهمزة والتاء ، وسكون السين وفتح الجيم المشددة ، والتاء
المربوطة ، صفة جزيرة الاندلس المنتخبة من الروض المعطار للحصري
١٤ قال : هي مدينة قديمة بالاندلس قريبة من قرطبة
- (٦) الصلة لابن بشكوال ٢١٩: ١ - ٢٢٠
- (٧) بنية الملتبس للضبي ٤٤٨
- (٨) الصلة لابن بشكوال ٢٩٥: ١ ، مخطبة الملتبس للضبي ٣٦٠
- (٩) في الصلة : بكسر الباء ، وسكون اليا ، والهاء ، وضم الراء ٣٢٣: ١ ، وفي
بنية الملتبس بفتح الباء ٣٤٣
- (١٠) الصلة لابن بشكوال ٣٢٣: ١ ، مخطبة الملتبس ٣٤٣

٢٢- عباس بن أصبغ السهدي ، من أهل قرطبة ، يكنى أبا بكر ، قرأ الناس عليه ونفع الله به ، وقد ذكر أنه وهم في أشياء ، وتوفي سنة ٣٨٦ هـ .^١

ولا يخفى أن زيادة على من سبق من شيوخ ابن عبد البر - الأندلسيين - فقد روى عن آخرين من غير أهل الأندلس ، ومن غير الداخلين في بلاد الأندلس ، روى عنهم بطريقة الاجازة ، ولبيان ذلك يقول ابن بشكوال :
 " وكتب اليه من أهل المشرق : أبو القاسم السقطي المكي ، وجد الفنسي بن سعيد الحافظ ، وأبو الفتح بن سبيخت وأحمد بن نصر الداودي ، وأبو ذر السهري^٢ قلت : فلا بد من التعريف بهؤلاء ولو كان تعريفا مقتضيا لكي يظهر ما يتميز به كل واحد منهم ، الشيء الذي جعل الحافظ ابن عبد البر يلمس منهم الاذن بالرواية عنهم على بعد المسافة الشاقة ، في تلك الأزمنة .

٢٣- أبو القاسم السقطي ، هو عبيد الله بن محمد بن أحمد بن جعفر المكي وقد صرح ابن عبد البر نفسه بروايته عن السقطي اجازة فقال : وفيما أجاز لنا عبيد الله بن محمد بن أحمد بن جعفر السقطي . . .^٣

٢٤- عبد الغني بن سعيد بن علي بن سعيد الأزدي المصري السمرقندي النسابة قال الذعبي : أن الدارقطني لما قدم من رحته سئل هل رأيت في طريقك من يفهم العلم ؟ قال : ما رأيت في طول طريقي الا شابا بمصريقال له : عبد الغني ، كأنه شعلة نار ، كان اماما ثقة حافظا . وتوفي سنة ٤٠٩ هـ ، وله من الكتب كثير منها : المؤلف والمختف^٤ والأوهام التي

-
- (١) راجع : تاريخ العلماء لابن الفرضي ٢٩٨ ، ومغية الطمتمس ٤١٧
 (٢) راجع الصلة ٢ : ٦٤٠ ، وترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠٨ ، وشذرات الذهب ٣ : ٣١٥
 (٣) التمهيد لابن عبد البر ١ : ٢٦٧ ، وانظر أيضا : الصلة لابن بشكوال ٢ : ٦٤٠
 (٤) قلت : وهو مخطوط بمكتبة السعودية العامة بالرياض برقم ٦٣٥ وتوجد منه نسخة بمكتبة الشيخ عارف حكمة بالمدينة المنورة برقم ٨١ هـ ٦٢ ، وخاص ٢٣٢

فى المدخل الصحيح للحاكم . " ١ "

٢٥ - ابراهيم بن على بن سبيخت " ٢ " حدث عن البغوى ، ويكنى أبا الفتح وقد نزل مصر ، وقال الخطيب : وكان من " الحال فى الرواية ، وتوفى سنة ٣٩٤ . " ٣ "

٢٦ - احمد بن نصر الداودى الاسدى ، يكنى أبا جعفر ، وهو من أئمة المالكية بالمغرب ، وكان من طرابلس ثم انتقل الى مدينة تلمسان ، وتوفى سنة ٤٠٢ . " ٤ "

٢٧ - الهروى : هو عبد الله بن احمد ، وقيل : عبد بن احمد بن محمد
بن مالك بن النجار ، أبوذر ، أصله من هراة ، وروى عن عدد لا يحصىون كثرة ، إمام فى الحديث ، محافظ له ، ثقة ثبت متفنن ، واسع الرواية ، قال ابن كثير : كان يحج كل سنة ويقيم بمكة أيام الموسم ، ويسمع الناس .
قال : ومنه أخذ المغاربة مذهب الأشعرى عنه ، قال : وكان يقول :
انه أخذ مذهب مالك عن الباقلانى " ٥ " قلت : هذا هو السبب الذى حمله على اقتباس مذهب الإشارة ، وشره فى تلاميذه ، بذلك انه تتلمذ على من كان من كبار حملة ذلك المذهب ، الذى جلب الى الأمة الاسلامىة مفاصلات ، وتأصيلات لنصوص الشريعة المطهرة ، نحن فى غنى عنها ، وفى سلامة منها قبل حدوث تلك المذاهب المحدثه ، والفرقة بين الجماعات التى أمر الله بترابطها ، ونهى عن تفرقها ، وقد ألف معجما لشيوخه ،

-
- (١) انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ٤٧٠ او ١٠٤٨ ، و ١٠٤٩ والبداية والنهاية ١٢ : ٧ ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ٣ : ١٨٨
 - (٢) بفتح السين وسكون اليا والخاء . وضم الباء . شذرات الذهب ٣ : ١٤٤ ، وفى الميزان للذهبي ١ : ٥٠٠ قال : ابن بخت .
 - (٣) الميزان للذهبي ١ : ٥٠٠ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣ : ١٤٤
 - (٤) الديباج لابن فرحون ٣٥
 - (٥) البداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ٥٠٠

وعمل الصحيح ، ووصف التصانيف الكثيرة ، وروى صحيح البخارى عن ثلاثة من أصحاب القسرى ، وتوفى سنة ٤٣٥ هـ . " ١ "

قلت : وعند التأمل فى تراجم هؤلاء الشيوخ السابقى الذكر ، نسدرك سبب تفوق الحافظ على من سواه ، كما أشار الى ذلك غير واحد . " ٢ "

فقد ظهر من خلال الكلام عليهم أنهم صفوة العلماء فى ذلك الزمن ، وأنهم متعددوا التخصصات ، فالغالب فيهم ، الجمع بين علوم الحديث والفقه ، والأصول ، والتاريخ ، فلا غرو إذا أن يتأثر الحافظ بذلك فيقتبس تلك العلوم ، ويمثلها جميعا فى نفسه .

المبحث الرابع عشر

تلاميذه

أ - التعريف بمن اشتهر منهم كثيرا ، ويان مقدار تأثير ابن عبد البر فى تكوين شخصياتهم .

ب - التعريف بالممكن من بقية تلاميذه تعريفا مختصرا .

والجدير بالذكر أن الحافظ ابن عبد البر كان شخصية مرموقة ، وكان لين الجانب ، متواضعا ، بازلا ما علمه الله من المعارف الجليلة ، ولهذه الأمور المتقدمة : أقبل عليه الناس يلتصون منه المعرفة ، فكثرت تلاميذه كثرة لا يمكن معها حصر عددهم " ٣ " فلذا اكتفى بالإشارة الى الممكن منهم ، ولا لو أنى حاولت استقصاء الجميع لاحتاج ذلك الى مجلد مفرد يستوعب تراجم الجميع . فالى ما عقدت له الباب :

- (١) ترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٤ : ٦٩٦ ، والرسالة المستطرفة للكتانى ٢١ ، والبداية والنهاية ١٢ : ٥٠ ، وشرحات الذهب ٣ : ٢٥٤ .
- (٢) انظر مثلا : الرسالة المستطرفة للكتانى ١٤ ، ومروءة الجنان للياقضى ٣ : ٨٩ ، وشرحات الذهب لابن العماد ٣ : ٣١٥ .
- (٣) ترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٤ : ٨٠٩ ، وقال : " سمع منه عالم عظيم فيهم من جلة أهل العلم المشاهير وغية الملتصق للضبي ٤٧٦ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١١٣ .

١ - التعريف بمن اشتهر منهم كثيرا ، وبيان مقدار تأثير ابن عبد البر في تكوين شخصياتهم .

١ - طاهر بن مفوز بن احمد بن مفوز^١ " المعافى " ^٢ يكتى ابا الحسن من أهل شاطبة ، روى عن الحافظ ابن عبد البر ، وهو أثبت الناس فيه ، كما روى عن أبي العباس العذري ، وأبي الوليد الباجي ، وغيرهم من جلالة علماء الأندلس . ^٣

قال عنه ابن بشكوال : " كان من أهل العلم مقدما في المعرفة ، والفهم عني بالحديث العناية الكاملة ، وشهر بحفظه ، واتقانه ، وكان منسوبا إلى فهمه ومعرفته ، قال : وكان حسن الخط جيد الضبط ، مع الفضل والصلاح والورع والانتقاض ، والتواضع ، والزهد " ^٤

وقال صاحب البغية : " فقيه محدث أديب حافظ من أهل بيت جلالة " ^٥

وقال في تذكرة الحفاظ " وكان من أثبت الناس فيه - يعني ابن عبد البر - وأنقلهم عنه . . . وكان موصوفا بالذكاء ، وسعة العلم . . . وكان ذا وقار وتقوى " ^٦

وقال صاحب الشذرات : كان من أئمة هذا الشأن مع الورع ، والتقوى والاستبحار في العلم ، قال : وعده ابن ناصر الدين : من الحفاظ الكثيرين الضابطين " ^٧ وقد كان هذا الطالب من الزم تلاميذ ابن عبد البر له فكان لا يفارقه الا فيط لا بد منه ، ولذلك كان هو الذي

(١) هكذا ضبطه ، وضبط أباه جميع المترجمين له ، انظر الصلة لابن بشكوال . ضبطه : بالطاء ، وضبط والده بالمهم المضمومة ، وبالفاء المفتوحة ، وبالواو المفتوحة المشددة وبعدها الزاء ١٤ : ٢٣٥ وانظر أيضا طرح التثريب للعراقي ١ : ١٢٨ وغير ذلك ، الا ابن العماد في الشذرات فانه ضبط اسمه واسم أبيه فقال : طاهر بن منور ، وما ضبطه به الجمهور أولى .

(٢) تقدم ضبطه

(٣) الصلة لابن بشكوال ١ : ٢٣٥ وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١٢٢٢ ، والبغية للضبي ٣١٤ .

(٤) الصلة لابن بشكوال ١ : ٢٣٦ (٥) بغية الطتمس للضبي ٣١٤

(٦) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١٢٢٢

(٧) شذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣٧١

صلى على الحافظ عند وفاته . " ١ " وكانت وفاته سنة ٤٨٤ وميلاده سنة ٤٢٩ . " ٢ "

ولا يخفى على متأمل : مقدار تأثير طاهر بن مفوز بابن عبد البر ، اذ كانه هو الوارث الاثمين للأوصاف التي وصف الناس بها الحافظ ابن عبد البر كما لا يخفى على من درس الرجلين .

٢ - الحميدى : هو أبو عبد الله محمد بن أبي نصر : فتوح بن عبد الله بن حميد الاندلسى . " ٣ " الميورقى " ٤ " روى عن أبي عمر بن عبد البر ، وابن حزم وأبي العباس العذرى ، وغيرهم ، ثم رحل الى المشرق فروى بمصر عين جماعة كثيرة وسكن بغداد فروى عن الخطيب البغدادى وغيره . " ٥ "

ابن العماد قال : " وكان أحد أوعية العلم ، وكان ظاهري المذهب أكثر عن ابن حزم وابن عبد البر وكان دؤباً على الطلب للعلم كثير الاطلاع ذكياً فطنا صيناً ورعاً ، اخبارياً متقناً كثير التصانيف حجة ثقة ، " ٦ " وقال الضبي : " فقيه عالم عارف حافظ ، امام متقدم فى الحفظ والاتقان " ٧ "

-
- (١) بغية الملتصق للضبي ٣١٤ ، والصلة لابن بشكوال ٢٣٦:١
 - (٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ١٢٢٣:٣ والصلة لابن بشكوال ٢٣٦:١
 - (٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ١٢١٨:٤ ، والبداية والنهاية لابن كثير ١٥٢:١٢ ، وبغية الملتصق للضبي ١١٣ ، والصلة لابن بشكوال ٥٣٠:٢
 - (٤) وهو نسبة الى قرية من جزيرة يقال لها يرقة قريبة من الاندلس ، فى ناحيته الشرقية ، البداية والنهاية لابن كثير ١٥٢:١٢ ، والصلة ٥٣٠:٢ ، قال : وأصله من قرطبة من رضى الرصافة ، وشذرات الذهب وضبط ميورقة ٣٩٢ : ٣
 - (٥) بغية الملتصق للضبي ١١٣ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٢١٨:٤
 - (٦) الشذرات ٣٩٢:٣
 - (٧) بغية الملتصق ١١٣

ونقل الذهبي عن ابراهيم السلمي — ولعله السجلطاس — أنه قال :
قال أبي : لم تر عيناى مثل الحميدى فى فضله ونبله ، وغزارة علمه ،
وحرصه على نشر العلم ، قال : وكان ورعا ثقة اماما فى الحديث ، وعلمه ،
ورواه ، متحققا فى علم التحقيق ، والأصول على مذنب أصحاب الحديث
بموافقة الكتاب والسنة ، مفصيح العبارة متبحرا فى علم الأذب والعربية . .
الى أن قال : قال أبو عامر العبدري : لا يرى قط مثله وعن مثله لا يسأل
جمع بين الفقه والحديث والأذب ورأى علماء الأندلس وكان حافظا " ١ "

وقال ابن سعيد : من مدينة الميوقفة من الأئمة المشهورين حج وسكن
بفداد ، وصنف فيها : جذوة المقتبس " ٢ "

وله رحمه الله كتب نافعة كثيرة منها : الجمع بين الصحيحين ، وجذوة
المقتبس فى رجال الأندلس ، وجمل تاريخ الاسلام ، وكتاب الذهب
المسبوك فى وعظ الملوك ، وكتاب الترسيل ومخاطبات الأصدقاء ، وكتاب
حفظ الجار ، وكتاب ذم النعمة " ٣ "

وقد كانت وفاته رحمه الله سنة ٤٨٨ هـ " ٤ "

ولقد بدى أثر ابن عبد البر فى تكوين شخصيته : فى اختياره لعلوم
الحديث ، ووقوفه عند الظاهر من النصوص ، فقد كان ابن عبد البر كما
سبق ظاهرى المذهب ، وقافا عندما يظهر من النصوص ، ولما غير
مذهبه ذلك ، لم يزل وقافا عند النص ، وملازما للسنة النبوية على
صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

٣ — ابن حزم الظاهري هو : على بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب ،
أبو محمد ، أصله من الفرس ، وأسم جده الأقصى فى الاسلام : يزيد ،

-
- (١) تذكرة الحفاظ للذهبي ١٢١٩: ٤
 - (٢) المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد ٤٦٨: ٢
 - (٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ١٢١٩: ٤ ، ومغنية الملتبس ١١٣ ، وفصائل الأندلس
لابن حزم وابن سعيد ٢٤ و ٢٠ ، والصلة لابن بشكوال ٥٣١: ٢ ،
والمغرب فى حلى المغرب ٤٦٨: ٢
 - (٤) تذكرة الحفاظ للذهبي ١٢٢١: ٤ والصلة لابن بشكوال ٥٣١: ٢ ، —

وهو مولى ليزيد بن أبي سفيان . "١"

وروى قبل الأربعة مائة عن ابن الجصور : أبي عمر أحمد بن محمد ، وروى
عن القاضي يونس بن عبد الله شيخ ابن عبد البر المتقدم ، كما روى عن
ابن عبد البر وغيرهم . "٢"

قال ابن سعيد : كان شافعي المذهب ، ثم صار بعد ذلك ظاهرياً ،
حتى مات . ونصه : " ومال أولاً به النظر في الفقه إلى رأى الشافعي ،
مناضل عن مذهبه . قال : وانحرف عما سواه ، حتى وسم به ونسب إليه ،
فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء ، وعيب بالشذوذ ، ثم عدل في الآخر ،
إلى قول أصحاب الظاهر ، "٣" مذهب داود بن علي ومن اتبعه ، من
فقهاء الأمصار ، فنقحه ، ونهجه ، وجادل عنه ، ووضع الكتب في بسطه ،
قال : وثبت عليه إلى أن مضى لسبيله . "٤"

وقال الضبي : كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث ، وفقهه مستنبطاً للأحكام
من الكتاب والسنة ، متفناً في علوم جمة ، عاظماً بعلمه ، زاهداً في الدنيا
بعد الرياسة التي كانت له ، ولأبيه من قبله في الوزارة ، وتدبير الممالك ،
متواضعاً ذا فضائل جمة وتوابع كثيرة . "٥"

= ٣: ٣٩٢ ، بغية المتمس للضبي ١١٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير
١٥٢: ١٢

(١) بغية المتمس للضبي ٤٠٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير ١٢: ٩١ ،
والصلة ٢: ٣٩٥

(٢) بغية المتمس ٤٠٣ ، والصلة لابن بشكوال ٢: ٣٩٥

(٣) المغرب في حلى المغرب ١: ٣٥٥

(٤) المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ١: ٣٥٥

(٥) بغية المتمس للضبي ٤٠٣

وفي شذرات الذهب : ذكر ما مضى لصاحب البغية ، ثم قال : قال :
 " ألم تر أني ظاهري . . . وأني على ما بدا حتى يقوم دليل " ١
 وكان هذا أكبر تصريح منه بمذهبه ، وذلك يدل على اطمئنانه الى ما ذهب
 اليه من اختيار مذهب داود الظاهري .

ويقول ابن بشكوال ناقلا عن صاعد بن احمد : كان أبو محمد بن حزم
 أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الاسلام ، وأوسعهم معرفة مع توسعه
 في علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة ، والشعر ، ومعرفة السيرة
 والأخبار ، ٢ " وذكر الذهبي أنه سمع : أن ولده أجمع لديه بخطه
 من تواليقه أربع مائة مجلد تحتوي على نحو من ثمانين ألف ورقة ، ٣ "
 ومن هذه التصانيف الكثيرة : كتابه المجلي في الفقه على مذهبه الخاص
 واجتهاده ، مجلد واحد ، ثم شرحه المشهور : بالمحلى في ثمان
 مجلدات ، وكتاب الايصال في فقه الحديث ، وغيرها ، مثل الاجماع ،
 والاحكام وغيرها . ٤ "

وقال ابن بشكوال ناقلا عن صاعد : كانت ولادته بقرطبة في الجانب
 الشرقي من روضة منية المغيرة ، قبل طلوع الشمس بعد سلام الامام من
 صلاة الصبح آخر ليلة الاربعاء آخر يوم من شهر رمضان سنة ٣٨٤ ،
 قال : وتوفي سنة ٤٥٦ انتهى بمعناه . ٥ "

-
- (١) شذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣٠٠
 - (٢) الصلة لابن بشكوال ٢ : ٣٩٥ ، وراجع جذوة المقتبس للحميدى
 الطبعة الجديدة ٢٠٨
 - (٣) تذكرة الحفاظ ٣ : ١١٤٧ ، وراجع الصلة لابن بشكوال ٢ : ٣٩٥ ،
 والبداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ٩٢
 - (٤) بغية المتمس للضي ٣ ، ٤ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١١٤٧
 - (٥) الصلة لابن بشكوال ٢ : ٣٩٦ ، والمغرب في حلى المغرب لابن سعيد
 ١ : ٣٥٥ ، قال : فطفق الملوك يقصونه عن قريبهم ، ويمسرونه عن بلادهم
 الى أن انتهوا به منقطع أثره بقرية بلده من بادية لبلة - بفتح اللامين
 وسكون الباء - وسها توفي رحمه الله ، والبداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ٩٢
 قال : " والعجب كل العجب أنه كان ظاهريا حائرا في الفروع لا يقول
 بشي من القياس . . . الى أن قال : وكان مع هذا من أشد الناس
 تأويلا في باب الأصول ، وآيات الصفات ، وأحاديث الصفات لأنه أولا قد
 تضلع من علم المنطق .

والجد ير بالذكر أن الحافظ ابن عبد البر قد أثر على ابن حزم ، وذلك لكثرة ملازمته له كما يقول ابن كثير : " وكان - أي ابن حزم - مصاحباً للشيخ أبي عمر بن عبد البر النمري " ^١ وهذا هو السبب في سلامة ابن عبد البر من لسانه ، فقد ذكر أن ابن حزم لم يذكره قط إلا بالحسن .

٤ - الفسائي هو : الحسين بن محمد بن أحمد الفسائي ، أبو علي الجبائي ^٢ روى عن أبي العاص حكم بن محمد الجذامي ، وأبي عمر بن عبد البر ، وأبي العباس العذري وأبي شاذان عبد الواحد بن محمد بن موهب ، وغيرهم ^٣

قال الذهبي : " الحافظ لا الإمام ثبت محدث الأندلس قال : ولم يخرج من الأندلس ، وكان من جهازة الحفاظ البصريا ^٤ بصيرا بالعربية واللغة والشعر والأنساب ، صنف في ذلك كله ، ورجل الناس إليه ، وعولوا في النقل عليه ، وتصدر بجامع قرطبة ، وأخذ عنه الاعلام . . .

وذكر عنه الذهبي بسند أن الحافظ ابن عبد البر قال : له : أمانة الله في عنقك متى عثرت على اسم من أسماء الصحابة لم أذكره إلا بالحق في كتابي يعني الاستيعاب . ^٥

وقال ابن العماد : أحد أركان الحديث بقرطبة ، وكان كامل الادوات في الحديث علامة في اللغة . . . حسن التصنيف نقادا ، ^٦ وقال السيد صقرنا قلا عن القاضي عياض في كتاب الغنية له :

- (١) البداية والنهاية ١٢: ٩٢
- (٢) بغية الملتبس ٢٤٩ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣: ٤٠٨ ، وقال : الجبائي بالفتح والتشديد ونون ، نسبة الى جبان بلد بالأندلس ، والصلة لابن بشكوال ١٤١: ١ ، قال ومعرف بالجبائي وليس منها إنما نزلها أبوه في الفتنة ، وأصله من الزهراء .
- (٣) بغية الملتبس ٢٤٩ والصلة ١٤١: ١ وتذكرة الحفاظ للذهبي ٤: ١٢٣٣
- (٤) تذكرة الحفاظ ٤: ١٢٣٣
- (٥) تذكرة الحفاظ للذهبي ٤: ١٢٣٤
- (٦) شذرات الذهب ٣: ٤٠٩

"اضبط الناس لكتاب ، وأتقنهم لرواية مع الحظ الوافر من الأدب ، والنسب والمعرفة بأسماء الرجال" ^١

وقال ابن بشكوال : وكان من جهاذة المحدثين ، وكبار العلماء المسندين وعنى بالحديث وكتبه ، وروايته ، و ضبطه ، وكان حسن الخط جيد الضبط ، وسمع منه اعلام قرطبة ، وكبارها ، وفقهاؤها وجلتها . . . ^٢

وللفساني كتب جليلة منها : كتاب تقييد المهمل ، وتمييز المشكل ، وصحيح من الكتب ما لم يصححه غيره من الحفاظ ^٣ وفي الدياج : امام عصره في الحديث رأس فيه وحاز السبق لمعرفة برجاله ، وصحيحه وسقيمه ، ولغته ، وسرع في اتقانه ، وضبطه حتى لم يكن في عصره أتقن منه ^٤ .

وكانت وفاته رحمه الله سنة ٤٩٨ هـ ، وميلاده سنة ٤٢٧ عن ٧٢ سنة ^٥ .
وعنى عن الذكر أن الحافظ الفساني قد تأثر في ميله الى التخصص ففى الحديث النبوى بالحافظ ابن عبد البر التاثر الكامل .

التعريف بالممكن من بقية تلاميذه تعريفا مختصرا :

- ٥ - سفيان بن العاص الأسدي ، آخر من حدث عنه ، توفي سنة ٥٢٠ ، ^٦
- ٦ - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، وحكى عنه تدليسا توفي سنة ٤٧٧ ^٧
- ٧ - أبو القاسم خلف بن خلف الأنصاري يعرف بابن الاثقر ، توفي سنة ٥١٩ ^٨

- (١) تعليق السيد صقر على الالمام للقاضي عياض ١٢
- (٢) الصلة لابن بشكوال ١٤٢ : ١
- (٣) بغية الملتبس ٢٤٩ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٢٣٤ : ٤
- (٤) الدياج لابن فرحون ١٠٥
- (٥) الصلة لابن بشكوال ١٤٣ : ١ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٤٠٩ : ٣ ،
وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٢٣٥ : ٤ ، والدياج لابن فرحون ١٠٥
- (٦) بغية الملتبس ٢٩١ ، وترتيب المدارك ٣ و ٤ : ٨٠٩
- (٧) الحل السندسية لشكيب أرسلان ١٤٧ : ٢
- (٨) صفة جزيرة الأندلس ٩٦ ، وبغية الملتبس ٢٦٩ ، والطل السندسية
١٤٢ : ٢ - ١٤٣

- ٨- أبو الحسن علي بن إبراهيم بن فتح يعرف بابن الامام ،توفى سنة ٤٧٩ . "١"
- ٩- أبو الحسن علي بن المنذر بن المنذر الكتاني ، توفى سنة ٤٨٠ ، "٢"
- ١٠- أبو عبد الله محمد بن فتوح بن علي الانصاري ،توفى سنة ٤٩٨ . "٣"
- ١١- علي بن عبد الرحمن بن يوسف الانصاري من ولد سعد بن عباد ، يعرف بابن اللونقة توفى سنة ٨ ، أو ٤٩٩ . "٤"
- ١٢- يونس بن أحمد بن يونس الأزدي ، يعرف بابن شوقة ،توفى سنة ٤٧٤ . وكان فاضلا بارا باخوانه ،من أحسن الناس خلقا . "٥"
- ١٣- فرج بن الخراز من أهل بغداد ،ثم قدم الأندلس ،وسكن طليطلة مرابطا بها ، ويكنى أبا الخليل ،توفى سنة ٤٧٠ . "٦"
- ١٤- سليمان بن أبي القاسم نجاح مولى المويد بالله ،أبو داود المقرئ ، توفى سنة ٤٩٠ . "٧"
- ١٥- يوسف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الانصاري ،ويكنى أبا الحجاج ،وتوفى سنة ٥٠٥ . "٨"
- ١٦- عبد الله بن حيان الانصاري الأروشي . "٩" وكانت وفاته سنة ٤٨٧ . "١٠"

-
- (١) الصلة لابن بشكوال ٣٩٩:٢ ،بغية الملتبس ٤١٤ ،والحلل السندسية ٨٨:٢
 - (٢) الصلة لابن بشكوال ٤٠٠:٢ ،والحلل السندسية ٧٥:٢
 - (٣) الصلة ٢ : ٥٢٥ ،والحلل ٤٤ : ٤٤
 - (٤) الحلل السندسية ٣٧:٢
 - (٥) الصلة لابن بشكوال ٦٤٨:٢ ،والحلل السندسية لشكيب ارسلان ٣٠:٢
 - (٦) " " " ٥٨٥:٢ " " ٢٦:٢ - ٢٧
 - (٧) بغية الملتبس ٢٨٩ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٤٠٣:٣ - ٤٠٤ ، والصلة ٢٠٠:١
 - (٨) الصلة لابن بشكوال ٦٤٤:٢ ،بغية الملتبس للضبي ٤٧٦
 - (٩) نسبة الى مدينة من كورة باجة غرب الأندلس . راجع التعليق على الصلة
 - (١٠) ٢٧٨:١ (١٠) بغية الملتبس ٣٣-٣٣١ والصلة ٢٧٨:١

١٧ - أبو محمد عبد الله بن محمد بن سندور التجيبي ، وتوفي قبل ٥٥٠ هـ . " ١ "

١٨ - عبد الجبار بن عبد الله بن سنيطان الأنصاري ، يكتي أبا محمد ، جرج وتوفي بمكة بعد أن وصف بالزهد في الدنيا ، وقد كان ، موصوفاً مع ذلك بالحفظ والمعرفة والنهاية . " ٢ "

١٩ - أبو محمد عبد الجبار بن خلف من بلد اللاردي ، وروى عن الباقي جمع البخاري . " ٣ "

٢٠ - عبد الرحمن بن محمد بن عيسى ، وعرف بابن الحشا ، يكتي أبازيد ، وتوفي سنة ٤٧٣ وقيل ٤٧٦ هـ . " ٤ "

٢١ - أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن قاسم البكري ، أجاز له ابن عبد البسر ، طليطلي . " ٥ "

٢٢ - أبو الحسن عبد الرحمن بن أبي بكر محمد بن محمد بن مغيث الصدفي من بيت شهير بالعلم ، والفقه . " ٦ "

المبحث الخامس عشر

كتبه

وساقسم الكلام على مؤلفاته الى أربعة نقاط :

أ - وصف عام لمصنفاته

ب - المطبوع من كتبه

- (١) الحل السندسية ١٥٩:٢
- (٢) الصلة لابن بشكوال ٣٦٠:١
- (٣) الحل السندسية ٢٥٩:٢ ، وصف جزيرة الأندلس ١٦٨ قال :
- لارده : بفتح اللام وكسر الراء مدينة في ثغر الأندلس الشرقي .
- (٤) الصلة لابن بشكوال ٣٢٥:١ - ٣٢٦ ، والطل لشكيب أرسلان ١٨:٢
- (٥) راجع الحل السندسية ٢٤:٢ ، والصلة لابن بشكوال ٥٣٢:٢
- (٦) الحل السندسية لشكيب أرسلان ٣٦:٢

جـ - المخطوط منهجا .

د - الذى لم يصل اليه العلم به ولم نسمع عنه شيئا الآن .

١ - وصف عام لمصنفاته :

ومما تجدر به الإشارة قبل كل شئ * ، أن علماء الأئمة الذين وصل اليهم العلم بمصنفات الحافظ ابن عبد البر ، قد أضفوا عليها من - الأوصاف الجميلة ، والرائعة ما ينمى عن انفرادها عن غيرها بأجمل المزايا ، وأكرم الصفات ، ولا بد بعد هذه المقدمة القصيرة من الإشارة الى نماذج من تلك الأوصاف استشهادا بذلك على ما سبق فى هذه المقدمة :

قال القاضى عياض : " وألف تواليف مفيدة طارت فى الأقفاق " ١
ابن بشكوال : " وكان موفقا فى التأليف معانا عليه ، ونفع الله بتوالمفه " ٢
المقرى : " وله فنون هى للشريعة رتاج ، وفى مفرق الطلبة تاج " ٣
الذهبي : " وله تواليف لا مثل لها فى جمع معانيها " ٤ " وقال ابن سعيد : " وانظر الى آثاره تغنك عن أخباره ، وشاهده ما أورده فى تهيده ، واستذكاره ، وعلمه بالأدب يفصح عنه ما أورده فى الاستيعاب " ٥
وقال الحميدى فى مجرى وصفه لتلك المصنفات : " وألف ما جمع تواليف نافعة سارت عنه " ٦ " وقال ابن كثير : " صاحب التصانيف المليحة الهائلة " ٧ .

-
- (١) ترتيب المدارك ٣ و ٤ : ٨٠٩
 - (٢) الصلة ٢ : ٦٤١ ، وشذرات الذهب ٣ : ٣١٥ ، والوفيات لابن خلكان ٦ : ٦٥ ، والديباج لابن فرحون ٣٥٨
 - (٣) نفع الطبيب للمقرى ٥ : ١٧٣
 - (٤) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١١٢٩
 - (٥) المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد ٢ : ٤٠٨
 - (٦) جذوة المقتبس للحميدى ٣٤٤
 - (٧) البداية والنهاية ١٢ : ١٠٤

وقال ابن الاثير : له التصانيف الكثيرة المشهورة " ١ " .
وقال ابن حزم : ولصاحبنا أبي عمر بن عبد البر : كتب لا مثيل لها ، " ٢ " .
والكتفى بهذا لأنه يدل على المقصود .

ب - المطبوع من كتبه :

- ١ - أربعة أجزاء من التمهيد لمافي الموطأ من المعاني ، والأسانيد ، وقد كان طبعها بمطبعة فضالة المحمدية بالرباط بالمملكة المغربية ومقبة التمهيد أيضا يطبع عندهم الآن .
- ٢ - جزآن من الاستذكار ، الأول ، والثاني ، مطبعا بمطبعة الأهرام التجارية تحت اشراف المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بمصر ، ومقته في الطريق ان شاء الله حيث يطبع الآن هنالك .
- ٣ - الاستيعاب طبع مرارا ، وهو مشهور .
- ٤ - جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته ، مطبع مرارا .
- ٥ - الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء : مالك ، والشافعي ، وأبي حنيفة ، نشرته مكتبة القدسي بالقاهرة ، وكان طبعه : بمطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر .
- ٦ - الدرر في اختصار المغازي والسير ، طبع بدار التحرير للطبع والنشر ، (مطابع شركة الاعلانات الشرقية) تحت اشراف المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بمصر .
- ٧ - التقصى لمافي الموطأ من المعاني والأسانيد ، أو أن اسمه : تجريد التمهيد وقد نشره المكتب القدسي لصاحبه حسا الدين القدسي بالأزهر سنة ١٣٥٠ هـ .

(١) الباب لابن الاثير ٢ : ٢٥٣

(٢) فضائل الاندلس لابن حزم ١٤

٨ - القصد والامم في التعريف بأصول أنساب العرب ، والعجم ، وأول من تكلم بالعربية من الامم ، مطبع بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ .

٩ - الانباء على قبائل الرواة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد كان طبعه بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٨ هـ .

١٠ - الانصاف فيما بين العلماء من الاختلاف في بسم الله الرحمن الرحيم ، طبع في ضمن مجموعة الرسائل المنيرة ، في المجلد الأول ، المشتغل على الجزء الأول والثاني ، بالمطبعة العربية لصاحبها خير الدين الزركلي .

١١ - قطعة من كتابه بهجة المجالس وأنس المجالس ، راجع الاعلام للزركلي ٩ : ٣١٧ .

التعريف بهذه الكتب المطبوعة له تعريفا موجزا :

فأولا : التمهيد :

ومما لاشك فيه أن التمهيد لابن عبد البر قد حظى بأوفر الأوصاف وأكرمها لدى العلماء ، وليس ذلك بغريب عند ما نرجع الى ما قاله فيه مؤلفه قبل كل مدح يناله من مطالعيه ، يقول فيه الحافظ مؤلفه بعد أن أنهى العمل فيه :

" سمير فوادي من ثلاثين ججة . . . وصاقل ذهني ، والمفرج عن عيبي بسطت لكم فيه كلام نبيكم . . . لما في معانيه من الفقه والعلم وفيه من الآداب ما يهتدى به . . . الى البر والتقوى وينهى عن الظلم " ١

ومعد هذا الوصف البليغ الذي أضفاه الحافظ على مؤلفه ، فلا حاجة الى كثير من الكلام على وصفه ، الا أنه لا بد من اثبات كلام العلماء عليه كشاهد على كلامه السابق .

(١) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨١٠ ، ومقدمة التمهيد .

قال ابن حزم فى وصفه لهذا الكتاب : " وهو كتاب لا أعلم فى الكلام على فقهه الحديث مثله أصلاً فكيف أحسن منه ، " ١ " . وقول تلميذه الآخر الحميدى : " من مجموعاته كتاب التمهيد لمافى الموطأ من المعانى والآسانيد ، قال : وهو سبعون جزءاً ، قال : قال لنا أبو محمد : ثم ساق كلامه السابق " ٢ " .
وأما القاضى عياض فيقول فى ضمن الكلام عليه : " انه عشرون مجلداً ، وأنه لم يضع أحد مثله فى طريقه " ، " ٣ " .

قلت : وربط أن البعض يظن التعارض بين ما ذكره الحميدى : سبعين جزءاً ، وبين ما ذكره القاضى عياض : عشرين مجلداً ، والواقع أنه ليس هنالك تعارض لأن الحميدى : يحكى تجزئة المصنف لله هو تلميذ ابن عبد البر ، وأما القاضى عياض : فهو يذكر ما وصل اليه ، فيحمل على أن بعض المالكيين جسدوا السبعين جزءاً فى عشرين مجلداً .

وكذلك الكلام فيما ذكره الضبى من أن التمهيد فى عشرة أسفار . " ٤ " فإنه يحمل على ما قبلته أولاً من أن بعض المالكيين له جلدوا سبعين جزءاً التى تركها ابن عبد البر (وهى جملة التمهيد) فى عشرة أسفار .

ويمضى العلماء فى ذكر المزايا التى يتميز بها التمهيد ، فيقول الكتانى فى ذلك : " وله كتاب فى وصل ما فيها - أى الموطأ لمالك - من المرسى والمنقطع والمعضل " ، " ٥ " وفى الوفيات لابن خلكان فى مجال ذكر مصنفاته : " ومنها التمهيد لمافى الموطأ من المعانى والآسانيد ، قال : ورتبه على أسماء شيوخ مالك على حروف المعجم ، قال : وهو كتاب لم يتقدمه أحد الى مثله ، وهو سبعون جزءاً " .

-
- (١) راجع فضائل الأندلس وأهلها لابن حزم وابن سعيد والشقندى ١٤ ، ونفح التنيب للمقرئ ١٦٣ : ٤
 - (٢) جذوة المقتبس للحميدى ٣٤٥ ، (٣) ترتيب المدارك ٣ و ٤ : ٨٠٩
 - (٤) بغية الملتبس للضبى ٤٧٥ (٥) الرسالة المستطرفة للكتانى ١٤ - ١٥
 - (٦) وفيات الأعيان لابن خلكان ٦ : ٦٤ ، راجع أيضاً الديباج لابن فرحون ٣٥٧ والمغرب فى حلى المغرب لابن سعيد ٢ : ٨٠٤ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣١٥ ، قال : والمد فى الموطأ كتباً مفيدة ، منها كتاب التمهيد ويقصد فى شرح الموطأ .

وأخذا مما أوردته من كلام العلماء هنا ، واستنتاجا من دراستي لهذا الكتاب ، يمكنني أن أقول أن الحافظ ابن عبد البر قد ألف هذا الكتاب - التمهيد - لثلاثة مقاصد أساسية :

١ - وصل ما يظن ، أو يعتقد : أنه مقطوع ، أو مرسل أو ~~مقطوع~~ ، أو ضعيف بأحد أنواع الضعف الأخرى ، من موطأ مالك .

٢ - جمع الشواهد والمتابعات ، بقدر الطاقة لأحاديث الموطأ ، وذلك بطرق شتى ، قد تصل أحيانا إلى أعداد هائلة تدل على حفظه العجيب .

٣ - استخراج الأحكام من معاني تلك المجموعة من الأحاديث سواء أحاديث مالك ، أم شواهدا " ١ " ومتابعاتها ، وبيان آراء العلماء في تلك الأحكام ، وعلى هذا فهو كتاب : قد جمع بين علم الحديث وعلم الفقه .

وثانيا : من تلك الكتب : الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار ، وفي شرح ما تضمنه الموطأ من معاني " الرأي والاعتبار ، وهذا الكتاب من أفضل كتب ابن عبد البر وأشهرها ، وخير معرف لسبب تأليفه ، وأحسن من يدلنا على الغرض الذي ألف لأجله ، هو : صاحبه ، فقد بين في مقدمته الغرض قائلا :

" أما بعد فإن جماعة من أهل العلم وطلبه والعناية به من اخواننا نفعهم الله وإيانا بما علمنا - سألوني في مواطن كثيرة مشافهة ، ومنهم من سألني ذلك من آفاق نائية مكاتبة " ٢ " أن أصرف - أي أرتب واطابق - لهم كتاب التمهيد على أبواب الموطأ ونسقه ، وأحذف لهم منه تكرار شواهد وطرقه وأصل لهم شرح المسند والمرسل اللذين قصدت السعي شرحهما خاصة في التمهيد ، بشرح جميع ما في الموطأ من أقاويل الصحابة

(١) يقول المقدمة لكتاب التمهيد مصطفى العلوي ، وصاحبه عبد الكبير البكري في ضمن وصفه لهذا الكتاب : كتاب من أجل كتب فقه السنة ، وهو فريد في بابيه ، موسوعة شاملة في الفقه والحديث ، ونموذج فذ في أسلوبه ووضوحه .

(٢) مقدمة الاستذكار ١ : ٢١

والتابعين ، ووطا لمالك فيه من قوله الذي منى عليه مذهبه ، واختاره من أقاصيل سلف أهل بلده ، ٠٠٠٠ ، واذكر على كل قول رسمه وذكره فيه ما لساير فقهاء الأمصار من التنازع في معانيه ، قال ابن عبد البر : حتى يتم شرح كتابه الموطأ مستوعبا مستقصى على شرط الإيجاز والاختصار ، قال : وطرح ما في الشواهد من التكرار إذ ذلك كله مصهد مبسوط في كتاب التمهيد ، واقتصر في هذا الكتاب من الحجة والشاهد على فقرهالة ، ويصير مهينة ونكت كافية ، ليكون أقرب إلى حفظ الحافظ ، وفهم المطالع " ١ " .

ويمضي الحافظ في شرح مقاصده في هذا الكتاب فيقول في مكان آخر : " ولم أذكر في كتابي هذا شيئا من معاني النقل وغواظه " ٢ " ، وعلم طريقه وطله ، ولا من فضائل مالك رحمه الله ، وإخباره ، إذ ذاك كله مذكور بأنم ذكره وأكملته في كتاب التمهيد ، والحمد لله . . . " ٣ " .

ومن المعلوم أن هذا التعريف الشامل لكتاب الاستذكار ، من مؤلفه ، كاف في التماس تعاريف أخرى له ، فلم يبق إلا أن أشير هنا إلى أن العلماء قد ذكروا هذا الكتاب للحافظ ابن عبد البر وتكلم عليه بعضهم مشيرا إلى التعريف به . . . " ٤ " .

-
- (١) نفس المصدر السابق ٢٢:١
 - (٢) وهي المواضع التي تطرأ على المنقول فتفسده ، مثل : العلة ، والارسل والتدليس وغير ذلك .
 - (٣) الاستذكار ٢٤:١
 - (٤) راجع مثلا :
الفهرسة لابن خير الأشبيلي ٨٦ ، وترتيب المدارك للقاضي عياض -
٣ و ٤ : ٨٠٩ ، وفضائل أهل الأندلس لابن حزم ١٣ - ١٤ ،
والبداية والنهاية لابن كثير ١٢: ١٠٤ ، ونفع الطبيب للمقرئ ٤ : ١٦٣
والديباج لابن فرحون ٣٥٧ ، قال : " وشرح فيه الموطأ على وجهه ،
وسمى أبوابه " .

ومما تنفي الإشارة إليه في نظري ههنا :

أن مطالعي الاستذكار لابن عبد البر قد اختلفوا هل هو : مختصر التمهيد ؟ أم هو مؤلف مستقل بنفسه عن التمهيد ؟

فقال ابن حزم في فضائل الأندلس ، وتبعه على ذلك الزركلي في الاعلام : " انه مختصر التمهيد " ^١ " وأما أكثر الذين ذكروه لابن عبد البر ، فأنهم لم يشيروا الى أنه مختصر التمهيد ، ولا غير مختصر ، الا صاحب مقدمة طبع الاستذكار على النجدي ناصف ، فإنه قال : " وقد يوهم قوله أي ابن عبد البر " على شرط الإيجاز والاختصار أن الاستذكار مختصر التمهيد ، قال : والحق أنهما كتابان مستقلان ، وإن اشتركا في جملة المادة العلمية " ^٢

هكذا قال : الشيخ على النجدي ناصف ، ولكن الذي يبد وأنه هو الحق : هو ما ذهب إليه ابن حزم لما يأتي :

١ - لأنه من ألصق الناس بالحافظ ابن عبد البر ، ومن أعلم الناس بمراحه بذلك التأليف .

٢ - ما ذكره ابن عبد البر نفسه في تعريفه للاستذكار كما تقدم ، ومن أدل شئ على ذلك قوله : " وحذف لهم منه - أي الاستذكار - تكرار شواهد - أي التمهيد - . . . الخ وهذا يدل على ما قلته هنا " .

٣ - ما ذكره على النجدي ناصف ، من أن الكتابين قد اشتركا في جملة المادة العلمية وهذا مع الأمرين السابقين يعطى معنى الاختصار ، وخاصة إذا رجعنا الى المعنى الذي ذكره على النجدي ناصف لكتاب اختصر من كتاب آخر ، فإنه ينطبق تماما على الكتابين ، فإنه قال : " لأن مختصر الكتاب كما يفهم من اللفظ : هو الكتاب نفسه في منهجه ومادته ، ولكن في صورة أصغر من صورة أصله " ^٣

(١) فضائل أهل الأندلس لابن حزم ١٣ - ١٤ ، ونفع الطيب للمقري ١٦٣ : ٤ ، والاعلام للزركلي ٣١٧ : ٩

(٢) مقدمة الاستذكار لابن عبد البر ١ : ١٤

(٣) الاستذكار في مقدمة الطيب لعلي النجدي ناصف ١ : ١٤

ثالثا :

الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر ، وقد طبقت شهرة هذا الكتاب آفاق الدنيا ، فعرفه المشرق من العلماء كما عرفه المغرب ، والاندلس ، وكان لهذا الكتاب الحظ الأوفر من ثناء العلماء ، ينبغي أن أشير إليه أولا ثم أذكر ثانيا قصد الحافظ من تأليف هذا الكتاب .

يقول الحميدى معرقا به : " ومنها - أى من كتب ابن عبد البر - كتاب فى الصحابة سماه كتاب الاستيعاب فى أسماء المذكورين فى الروايات والمسير ، والمصنفات من الصحابة رضى الله عنهم ، والتعريف بهم ، وتلخيص أحوالهم ، ومنازلهم ، وعيون أخبارهم ، على حروف المعجم قال : - وهو - " اثنا عشر جزءا " .

وذكر الضبى : مثل ما سبق للحميدى تماما ، ثم زاد قوله : " وهو كتاب حسن كثير الفائدة رأيت أهل المشرق يستحسنونه جدا وقد مؤنه على ما ألف فى باب " ٢ " .

وتوالى مقالات العلماء فى الثناء على هذا الكتاب ، فيقول ابن العماد : " وجمع فى أسماء الصحابة كتابا جليلا مفيدا سماه الاستيعاب " . " ٣ " .

وفى هذا المضمار ، يقول المقرئ : " ومن كتبه : كتابه فى الصحابة ليس لأحد من المتقدمين مثله على كثرة ما صنفوا فى ذلك " . " ٤ " .

وقد نسبته الى الحافظ أكثر المترجمين له " ٥ " ولكى نعرف غرض المؤلف

- (١) جذوة المقتبس للحميدى ٣٤٥
- (٢) بغية الملتبس للضبى ٤٧٥
- (٣) شذرات الذهب ٣ : ٣١٥ ، وراجع الصلة لابن بشكوال ٢ : ٦٤١ ، وانظر تعليق تكملة اكمال الاكمال للدكتور مصطفى جواد ٢٧٤
- (٤) نفح الطيب ٤ : ١٦٣ ، وراجع أيضا فضائل الاندلس لابن حزم ١٤ و ٣٤
- (٥) فزيادة على ما سبق ارجع الى : ترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٤ : ٨٠٩ ، والبداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ١٠٤ واللباب لابن الاثير ٢ : ٢٥٣ ، والمغرب فى حلى المغرب لابن سعيد ٢ : ٤٠٨ ، وفهرسة ابن خير - الاشبيلي ٢١٤

ومنهجه في هذا الكتاب فلا بد من المأمة خاطفة بمقدمته ، أما سبب تأليفه فقد أوضحه في قوله : " أما بعد فإن أولى ما نظرفيه الطالب ، وعنى به العالم بعد كتاب الله عز وجل : سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم " الى أن قال : ومن أوكد كالات السنن المعينة عليها والمؤدية الى حفظها : معرفة الذين نقلوها عن نبيهم صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة الى أن قال : وبعد فإن العلم محيط بأن السنن - أحكام جارية على المرء في دينه ، في خاصة نفسه ، وفي أهله ، وماله ، قال : ومعلوم أن من حكم بقوله ، وقضى بشهادته ، فلا بد من معرفة اسمه ونسبه وعدلته ، والمعرفة بحاله ، قال : ونحن وإن كان الصحابة رضي الله عنهم قد كفينا البحث عن أحوالهم ، فواجب الوقوف على أسمائهم والبحث عن سيرهم وأحوالهم ، ليهتدى بهديهم فهم خير من سلك سبيله ، واقتدى به ، قال : وأقل ما في ذلك معرفة المرسل من المسند ، وهو علم جسيم لا يعذر أحد ينسب الى الحديث بجبهله " ١ " .

منهجه في هذا الكتاب :

لقد أوضح الحافظ منهجه في كتاب الاستيعاب فبين المسلك الذي - يسلكه فيه قائلا : " ولم أقصر في هذا الكتاب على ذكر من صحت صحبته ومجالسته حتى ذكرنا من لقي النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو لقيته واحدة مؤمنا به أو آراه رواية ، أو سمع منه لفظة فأداها عنه " ٢ " قال : وكذلك ذكرنا من ولد على عهده من أبوين مسلمين فدعاه له أو نظر اليه وبارك عليه ونحو هذا ، قال : ومن كان مؤمنا به قد أدى الصدقة ولم يرد عليه ، قال : وهذا كله يستكمل القرن الذي أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم " ٣ " على ما قاله

(١) الاستيعاب ١ : ١٦

(٢) قلت : وهو لا أيضا صحابة ، قد صحت صحبتهم عند الجمهور وذلك هو الراجح ، ويبدو من كلام الحافظ عدم عددهم من الصحابة .
راجع : فتح المغيث للسخاوي ٣ : ٨٦

(٣) الاستيعاب ١ : ٢٤ - ٢٥

عبد الله بن أبي أوفى^١ قال : وقد ذكرنا أنساب القبائل من الرواة من قريش، والأنصار، وسائر العرب في (كتاب الأنباء على قبائل الرواة) قال : وجعلناه مدخل هذا الكتاب ، ليغني عن الرفع في الأنساب ، ومعيننا على ما شرطناه من الاختصار والتقريب . " ٢ "

قلت : ويجدر بي وأنا في صدد الكلام على وصف الاستيعاب ، الإشارة الى مدح الحافظ المؤلف له في آخر صفحة منه قائلا :
" ومن وقف على ما ذكرنا في كتابنا هذا من أسماء الصحابة ، وما تضمنه من هيون أخبارهم فقد أخذ بحظ وافر من علم الخبر ، ومعرفة الحديث ، لما فيه من الوقوف على المرسل من السند ، واستولى على معرفة أهل القرن الأول المبارك ، وتلك المنزلة التي هي : نصاب علم الخبر وفتح فهم الأثر . " ٣ "

رابعاً :

" كتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ، لقد نسبه أكثر المترجمين لابن عبد البر . " ٤ "

وللتعريف بهذا المؤلف الجليل الذي حاز خصل السبق من بين الكتب التي عالجت موضوعه ، لا بد من الرجوع الى مقصد مؤلفه فيه ، وقد لخصه فيما يلي :

(١) هو عبد الله بن أبي أوفى - علقمه - بن خالد بن حارثة بن أبي أسد . . . اختلف في كنيته : فقيل : أبو محمد ، وقيل : أبو إبراهيم ، وقيل : أبو معاوية وكان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد بيعة الرضوان ، وروى عنه خلق من التابعين لا يحصون كثرة ، واختلف في وفاته ، فقيل : توفي سنة ٨٦ وقيل : ٨٧ وقيل : ٨٨ وهو آخر من مات من الصحابة بالكوفة ، تهذيب التهذيب لابن حجر ١٥١ : ٥ - ١٥٢

(٢) الاستيعاب ١ : ٢٤ - ٢٥

(٣) الاستيعاب ٤ : ١٩٦٦

(٤) جذوة المقتبس للحميدي ٣٤٥ وصرح بأنه : ستة أجزاء ، قلت : ولا يخفى أن ذلك بتجزئة المؤلف ، وترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠٩ فضائل الأندلس لابن حزم ١٤ ، ونفع الطبيب للمقري ٤ : ١٦٣

- ١ - بيان فضل العلم ومعناه
- ٢ - حمد السعى فى طلبه والعناية به
- ٣ - اثبات الجدال وجوازه بالعلم لا بالجهل
- ٤ - تحريم القول فى دين الله بغير فهم
- ٥ - تحريم القول من غير حجة
- ٦ - بيان الجدال الجائز والمنفوع
- ٧ - بيان للرأى المدفوع ، والمرخص فيه
- ٨ - ما يجوز من التقليد - وهى للعامى - وما حرم منه
- ٩ - بيان ما يجب على العالم ان يتخلق به
- ١٠ - ما يجب على المتعلم ان يتصف به
- ١١ - وجه الطلب وما مدح فيه
- ١٢ - الاجتهاد فى ذلك
- ١٣ - بيان لبقية كثير من آداب التعلم والتعليم " ١ "

الى غير ذلك من الأبواب التى لها التعلق بطلب العلم ، وما يتعلق به .

ولا يخفى على من رجع الى هذا الكتاب غفوقه على كثير مما ألف فى موضوعه ، وذلك لايرادہ الاحاديث ، ثم أقوال الصحابة ، ثم أقوال التابعين ومن بعدهم من العلماء ، ثم أقوال الحكماء من غير المسلمين القدامى قبل الاسلام وهو كتاب ينبغى لكل طالب علم الاطلاع عليه ، ولولا ما فيه من آثار متفق على ضعفها عند العلماء ، لقلت : انه أفضل كتاب جمع أبواب العلم وآدابها ، ولقد طبع هذا الكتاب مرتين ، الطبعة الثانية بطبعة العاصمة شارع الفلكى بالقاهرة سنة ١٣٨٨ هـ .

خامسا :

الانتقاء فى فضائل الثلاثة الفقهاء مالك ، والشافعى ، وأبى حنيفة

نشر هذا الكتاب كما سبق في مكتبة القدسي ، وقد كان قصد الحافظ ابن عبد البر في هذا الكتاب يتلخص فيما يلي :

١ - ذكر أخبار مالك بن أنس إمام دار الهجرة : نسبه - ميلاده - طلبه للعلم - شيوخه - فضائله - وفاته .

٢ - ذكر بعض أصحابه الذين رووا عنه الأخبار بما يتفق مع الاختصار الذي يميل إليه كثيرا .

٣ - أخبار الشافعي وكل ما يتعلق به من فضائل وغيرها .

٤ - ذكر بعض أصحابه الذين رووا عنه .

٥ - أخبار أبي حنيفة ، فضائله ، وما يتعلق به .

٦ - كبار تلاميذه ، أخبارهم وما يتعلق بهم .

وقد حاول الحافظ كعادته أن يجرد هذا السفر من كل الخرافات التي يبالغ بها عادة المغالون ، ومقتصر على ذكر ما صح من الأخبار عن الثقات . هذا ولقد عزا المترجمون للحافظ هذا الكتاب " ١ "

سادسا :

الدرر في اختصار المغازي والسير :

ويعد هذا الكتاب بحق زبدة ما ألف في موضوعه ، يقول مؤلفه : ما معناه : اختصرت ذلك من كتاب موسى بن عقبة ، وكتاب ابن اسحاق رواية ابن هشام وغيره ، وربما ذكرت فيه خبرا ليس منه . قال : والنسق كله على ما رسمه ابن اسحاق . فذكرت مغازيه وسيره ، على التقريب ، والاختصار ، والاقتصار على العميون من ذلك دون الحشو والتخليط . " ٢ "

(١) الفهرسة لابن خير الاشبيلي ٢٨١ ، وترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠٩

(٢) الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ٢٩

وقد بحث في هذا الكتاب الأبواب الرئيسية التالية :

- ١ - ذكر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم .
- ٢ - ابتداء أمره صلى الله عليه وسلم في رسالته .
- ٣ - جميع مغازيه صلى الله عليه وسلم .
- ٤ - جميع سراياه صلى الله عليه وسلم . " ١ "

أما مولده وحاله ونشأته الأولى فلم يذكر شيئاً من ذلك في هذا الكتاب لأنه ذكر ذلك في أول كتابه الاستيعاب .

وقد عزاه الى الحافظ غير واحد من العلماء . " ٢ "

سابعاً : التقصى :

لهذا الكتاب اسمان عند العلماء : اشتهر بهما :

- ١ - تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد .
- ٢ - التقصى لحديث الموطأ ، وشيوخ الامام مالك رحمه الله .

وقد أوضح الحافظ ابن عبد البر قصده وهدفه في هذا الكتاب قائلاً :
 " فانا لما ذكرنا في كتاب التمهيد من معاني السنن ووجوهها واتساع مذاهب العلماء فيها ، وامتد بذلك الشرح ، وطال عليه الاستشهاد ، وطمنا أن أكثر الناس من قصرت همته ، وضعفت عنايته ، رأينا أن نجرد تلك السنن التي جعلناها أصل ذلك الكتاب وهي السنن الثابتة بنقل الامام أبي عبد الله مالك ابن أنس " . " ٣ "

قلت : فهو اذا قد صار في هذا الكتاب على مايلي :

- ١ - جرد في هذا الكتاب كل ما في الموطأ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء في ذلك ما كان :

-
- (١) نفس المصدر السابق ٢٩
 - (٢) راجع : الفهرسة لابن خير الاشبهلى ٢٣٢ ، وجذوة المقتبس للحميدى ٣٤٥ وقال عنه : انه ثلاثة أجزاء ، وترتيب المدارك للقاضي عيسى ٣ و ٤ : ٨١٠ والديباج لابن فرحون ٣٥٨ ، ومغنية المتمعن للمضى ٤٧٥ .
 - (٣) التقصى لابن عبد البر ٩

- مسندا وما كان مرسلًا أو... متصلا أو... منقطعا .
- ٢ - جعل هذا الكتاب مهبًا على حروف المعجم في أسماء شيوخ مالك رحمه الله .
- ٣ - قدم المتصل المسند على ما دونه في الرتبة .
- ٤ - رتب ما عدا المتصل فقدم مثلا الحسن على الضعيف ، والمرسل على المقطوع ، والمقطوع على البلاغ الخ ...
- ٥ - جعل هذا الكتاب مدخلا سهلا الى كتابه التمهيد فمن أشكل عليه شيء من هذا الكتاب فليرجع الى بابه من التمهيد ، فانه سيجسده ان شاء الله موضحا .
- ٦ - ذكر في هذا الكتاب بعض التبيهات على اختلاف الرواة عن مالك فيما أرسلوه من ذلك ، أو وصلوه على طريق الاختصار .^١ وقد نسبته العلماء الى الحافظ ابن عبد البر .^٢

ثامنا : (القصد والائتم في التعريف بأصول أنساب العرب والمعجم وأول من تكلم بالعربية من الأمم)

فهذه رسالة قصيرة ألفها ابن عبد البر ليوضح فيها أصول الأنساب ، وقد بين عنوانها الطويل القصد منها . فهي تبحث عن بني آدم كيف تفرعت عنهم الخليقة لأول مرة ، ثم أين صار كل واحد منهم ، ومن من الشعوب من يرجع الى نسل فلان من بني آدم ، ومن منهم من يرجع الى الآخر منهم حتى يقسم الخلق بين أبناء آدم ، ثم يرجع فيتكلم على العرب بعد أن يثبت لهم أصول أنسابهم الأولى فيبين كيف تفرعوا الى عدنان وقحطان ، وذكر أجدادهم وأماكنهم وأين استوطن المهاجرون من كل قبيلة منهم الخ

(١) راجع التقصى ١٠ - ١١
 (٢) راجع مثلا : ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠٩ ، والفهرسة لابن خير الأشبيلي ٩١ وجذوة العقبين للحمدي ٣٤٥ وغير ذلك من المراجع ، مثل الرسالة المستطرفة للكتاني ١٤ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١١٢٩

كما يذكر الأعلام بعد بيان أصول أنسابهم فيقسمهم وبين أوطانهم
والجهات التي خلفهم فيها أجدادهم .

ثم هناك مسألة أول من نطق بالعربية ناقش هذه المسألة وأورد
الأقوال فيها ، والجملة فهي رسالة لا يستغنى عنها من يريد أن يفهم
التاريخ ، ويعلم أقسام الناس ، وأشكالهم ، وقد طبعت لأول مرة في مطبعة
السعادة بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ ، ولم نسمع بإعادة طبعها حتى الآن لذلك
كان حظها النفاد الآن ، فلقد بحثت عنها كثيرا فلم أجدها الا عند افراد -
قلائل والله المستعان .

ولقد نسبها العلماء الى ابن عبد البر^١ .

تاسعا : الانباه على قبائل الرواة عن النبي صلى الله عليه وسلم :

وهذه أيضا رسالة صغيرة لابن عبد البر ، ويوضح مؤلفها المنهج
الذي سلكه فيها ، والمقصد الاساسي في تأليفها قائلا :

" وقد ذكرنا أنساب القبائل من الرواة من قريش والأنصار ، وسائر
العرب في (كتاب الأنباه) وجعلناه مدخل هذا الكتاب - الاستيعاب -
ليغنيانا عن الرفع في الأنساب ، ومعيننا على ما شرطناه من الاختصار والتقريب^٢ "

ويتضح من هذا النص ما يلي :

ان هذه الرسالة القصد منها :

- ١ - ذكر أنساب القبائل التي روت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قريش
- ٢ - أنساب القبائل الراوية عنه صلى الله عليه وسلم من الأنصار .
- ٣ - ذكر أنساب من روى عنه صلى الله عليه وسلم من غير قريش والأنصار .
- ٤ - قصد جعلها مقدمة لكتاب الاستيعاب .

وقد عزاها اليه كثير من المخرجين له^٣ .

(١) فضائل أهل الأندلس لابن حزم ٢٤ وترتيب المدارك للقاضي عياض
٣ و ٤ : ٨١٠

(٢) الاستيعاب ١ : ٢٤ - ٢٥

(٣) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣ و ٤ : ٨٠٩ ، فهرسة ابن خيبر
الأشبيلي ٢١٤ . قال ابن خير : وهو المدخل الى كتاب الاستيعاب
وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١١٢٩

عاشرا : (الانصاف فيما بين العلماء من الاختلاف فى بسم الله الرحمن الرحيم) :

وهذه أيضا رسالة قصيرة للحافظ ألفها لبيان كلما يتعلق ببسم الله الرحمن الرحيم من الكلام ، جوابا على سؤال وجه اليه • وكان بحثه فى هذه الرسالة للنقاط الرئيسية التالية :

١ - هل كان الصحابة والتابعون يعدون بسم الله الرحمن الرحيم آية فى أول سورة الفاتحة أم لا ؟

٢ - وهل كذلك يعدونها آية فى أول كل سورة أم لا ؟

٣ - وهل اختلفوا فى ذلك أم كانوا متفقين ؟

٤ - وماهى المذاهب التى اختارها من ذلك الأئمة الأربعة ؟

٥ - وماهى الآثار التى سببت هذا الاختلاف ؟

٦ - بين الآثار التى احتجت بها الفرقة التى ترى إسقاطها فى الصلاة •

٧ - كما بين الآثار التى اخذت بها الفرقة التى ترى الجهر بها فى الصلاة •

وفى النهاية مال الى ترجيح قراءتها فى المرسوء كانت الصلاة جهرية أم سرية ، وذلك أجزم بدون تردد أن هذه الرسالة أفضل من كل ما رأيته قد كتب فى موضوعها ، وذلك لايراد المصنف فيها جميع الآثار التى تعلقت بها تلك الفرق ، ولأنه لم يترك تلك الآثار بدون الكلام عليها ، بل صححها وبين ما فيها من العلل ان كانت هنالك علل • وقد ذكرها بعض العلماء للحافظ ابن عبد البر • " ١ "

وأخيرا فى اعتقادي أن هذه اللمع فى تعريف هذه الكتب للحافظ

سترشد ناظرها ، الى ما يخص كل كتاب من كتب ابن عبد البر ، وإلى الموضوع الذى يعالجه ، وهذا ما ينفع الباحث ويقصر الطريق أمامه •

(١) راجع مثلا : ترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٤ : ٨١٠ ، وقد نسوه بها مؤلفه فى الاستذكار فى غير مرة راجع مثلا ٢ : ١٥٣ ، و ١ : ١٧٨ ، و ١ : ١٧٩ ، والاعلام للزركلى ٩ : ٣١٧

ج- (المخطوط من كتبه التي وصل الي العلم بمكانها) :

١ - البقية من التمهيد وهو الآن يطبع بالمملكة المغربية بأمر من جلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب - بطبعة فضالة المحمدية .
ويبدو أنه كامل ، وقد صدرت منه حتى الآن أربعة أجزاء ، أعانهم الله على اتمامه آمين .

ولقد عثرت على جزء كبير من مخطوطة التمهيد في مكتبة السعودية المحمية بالرياض شارع دخنة .
وصفها كما يلي :

هو الجزء الثالث يبدأ بالحديث السابع من أحاديث محمد بن شهاب الزهري ، وينتهي بالحديث السابع والعشرين من أحاديث نافع مولى ابن عمر . رقم التسجيل العام ٥٦٩ والخاص ٨٦ -
بتاريخ ١٣٩٢/١٢/٢ هـ .

وفي نهايته مكتوب نجز الجزء الثالث من التمهيد يليه أول الجزء الرابع حديث ثامن وعشرين لنافع عن ابن عمر ، وتم بحمد الله -
وعونه في عشية الاثنين المبارك ثاني عشرين شهر ربيع الأول سنة ١٢٨٥ هـ بقلم الفقير الى رحمة ربه الرحيم عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد بن فوزان ، وقف الشيخ عبد اللطيف ، انتهى .

قلت : وهذه النسخة مكتوبة بخط مشرقى واضح كل الموضوع ، وعدد اسطر الصفحة الواحدة غالبا ٢٤ سطرا ، وأوراقها متوسطة الطول والعرض ، وهي قوية سمكة مع قدمها ، وعدد صفحاتها : ٦١٥ .

وقد ظهر لي بعد مطالعة كثيرة لهذا الجزء من التمهيد لابن عبد البر أنه قد اشتمل على مائة واثنين وعشرين حديثا من أحاديث الموطأ للإمام مالك المشروحة ، رواها مالك عن واحد وعشرين من مشائخه رحمهم الله ، وهي موزعة بينهم كما يلي :

١ - بقية أحاديث مالك عن الزهري ، وهي ١٣٢ حديثا والموجود منها في هذا الجزء ٥٩ حديثا فقط .

- ٢ — أحاديث مالك عن أبي الزبير المكي — واسمه محمد بن مسلم —
وقد روى عنه في الموطأ ٨ أحاديث وهي موجودة في هذا
الجزء بكاملها .
- ٣ — أحاديث مالك عن محمد بن المنكدر وهي ثمانية ، والموجود
منها في هذا الجزء ٥ فقط .
- ٤ — أحاديث مالك عن محمد بن يحيى بن حبان وهي أربعة موجودة .
- ٥ — حديثان لمالك عن محمد بن عمرو بن علقمة .
- ٦ — حديث واحد لمالك عن محمد بن عمرو بن علقمة .
- ٧ — حديثان لمالك عن محمد بن عمرو بن حنبل .
- ٨ — حديث واحد لمالك عن محمد بن أبي امامة .
- ٩ — حديث واحد لمالك عن محمد بن أبي بكر الثقفي .
- ١٠ — حديث واحد لمالك عن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم .
- ١١ — أحاديث مالك عن محمد بن عبد الرحمن بن الأسود ، وهي ٥ والموجود
منها في هذا الجزء ٤ فقط .
- ١٢ — حديث واحد لمالك عن محمد بن عمار .
- ١٣ — حديثان لمالك عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة .
- ١٤ — أربعة أحاديث لمالك عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي الرجال .
- ١٥ — حديثان لمالك عن موسى بن عقبة .
- ١٦ — حديثان لمالك عن موسى بن ميسرة .
- ١٧ — حديث واحد لمالك عن موسى بن تميم .
- ١٨ — ثلاثة أحاديث لمالك عن مسلم بن أبي مريم .

- ١٩ - حديث واحد لمالك عن مخزومة بن سليمان الوالبي .
- ٢٠ - حديث واحد لمالك عن المسور بن رفاعه .
- ٢١ - بعض أحاديث مالك عن نافع مولى ابن عمر رضى الله عنه ، وأحاديث عنه ثمانون حديثا ، والموجود منها في هذا الجزء سبعة وعشرون حديثا فقط وسها ختم هذا الجزء .
- ٢ - وكما أني عثرت على جزء آخر من التمهيد لابن عبد البر غير الجزء السابق الذكر في مكتبة الحرم المدني بالمدينة المنورة .
- بيان عن هذه المخطوطة من الشهيد لابن عبد البر النمرى :
- ١ - غير مكتوب عليه اسم الجزء .
- ٢ - رقمه العام = ٢٧ والخاص = ١٣٢ بسم شرح الموطأ للإمام الحافظ ابن عبد البر .
- ٣ - بخط مغربي لم يذكر فيه اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ .
- ٤ - عدد صفحاته = ٣٠٠ صفحة ، وعدد أسطر الصفحة غالبا = ٢٣ سطرا وطولها = ٢٥ سم والعرض = ١٥ سم .
- ٥ - غير مذهب .
- هذا ويبدأ هذا الجزء من التمهيد ببقية باب العين ، وبالحدِيث الرابع عشر من أحاديث عبد الله بن أبي بكر ، وينتهي بالحدِيث الرابع والخمسين من أحاديث أبي الزناد - عبد الله بن ذكوان .
- وشتمل هذا الجزء على سبعين حديثا من أحاديث الموطأ لمالك بن أنس المشروحة ، وهي موزعة بين شيوخه على ما يلي :
- ١ - بقية أحاديث عبد الله بن أبي بكر من الحدِيث الرابع عشر لسه إلى الحدِيث السادس والعشرين ، فصار الموجود من أحاديثه في هذا الجزء هو : ١٣ حديثا .

٢ - ثلاثة أحاديث لمالك عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر أبي طوالة .

٣ - جميع ما رواه مالك عن أبي الزناد ، وهو أربعة وخمسون حديثاً وسها ختم هذا الجزء المخطوط من التمهيد .

قلت : وهذا الجزء مع صعوبة قراءته لكونه بخط مغربي ليس بظاهر إلا على المخاربة ، أو من مارس قراءة الخطوطهم ، قلت : ومع ذلك فسان أوراقه قد قيمة جداً ، ومما كلفه لم تعلم منها ورقة واحدة تقريباً من خرم فيها أو حذف لبعض كلماتها ، فلذلك يصعب أن يقرأه المرء كاملاً ، بل لإسبغ من تجاوز سطر أو سطرين أو ثلاثة لا تمكن قراءتها في أحيان كثيرة ، والله المستعان .

٣ - بقية كتابه الاستذكار ، وهو الآن يطبع بمصر تحت إشراف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة أحياء التراث الإسلامي ، وقد عثر له من النسخ ما يلي :

١ - نسخة صنعها ، ولكن غير تامة ، بل لم يعثروا منها إلا على الجزء الأول فقط في دار الكتب ، مصور برقم ٢٧٨٠٥ ب الخ .

٢ - نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٢٤ حديث ، وقد تكلم على النسختين بما تستحقان من البيان الشيخ على النجدي في مقدمة الطبعة للاستذكار ، فلترجع هنالك . " ١ "

٣ - قطعة من الاستذكار أيضاً قد عثروا عليها في المتحف البريطاني وتوجد لها مصورة في دار الكتب المصرية في ٢٢٩ لوحة . " ٢ "

٤ - من كتبه المخطوطة التي بلغني عنها بعض العلم : أجزاء من كتابه بهجة المجالس وأنس المجالس ، ففي فهرسة الكتب العربية المحفوظة

(١) مقدمة الطبعة للاستذكار ١ : ١٧ - ١٨

(٢) نفس المصدر السابق ١ : ١٨

بالكتبخانة الخديوية المصرية مايلي من أوصافه : قال بأن أوله : " أما بعد فان أولى ما أبتدى به كتاب وافتتح به خطاب حمد الله على جزيل آلائه ، ثم قال الحافظ ابن عبد البر مبينا منهج الكتاب : " قد جمعت فى كتابى هذا من الامثال السائرة ، والابتيات النادرة والحكم البالغة والحكايات الممتعة وغير ذلك ، " ثم قال عنه احمد المهي الذى جمع تلك الفهرسة : " ورتبه على مائة وستة عشر بابا ، قال : والموجود منه قطعة بها خروم تنتهى الى باب الحياء والوقار بقلم مغربى بخط عيسى بن يحيى بن أيوب المغربى ثم الهسكورى ، فرغ فى الثالث عشر من ذى الحجة سنة ٩١٥ ٠٠٠٠٠ ثم قال ومكتوب هذه الرموز : نسي ج ١ ن خ ٤٣٤ ن ع ١٧١٣٣ ، " ١ "

قلت : ويبدولى أن هذه القطعة هى التى اشار اليها الزركلى بأنها قد طبعت " ٢ " .

وقال احمد المهي ومحمد البيلابى : بأن هنالك جزءا آخر من هذا الكتاب . أولها باب الحياء والوقار ، به خروم ينتهى الى آخر الكتاب ، بقلم عادى بخط محمد بن عنان بن عبد الصمد بن صالح فرغ منه فى الحادى عشر من شهر ربيع الأول سنة ٦٧٧ ، ومكتوب بعده هذه الرموز : ن ٠ ج ١ ن ع ٤٣٥ ن ع ١٧١٣٤ ٠ " ٣ "

قلت : ويؤخذ من هذه النقول : أن هذا الكتاب لابن عبد البر يمكن أن يكون كاملا فى تينك المخطوطتين ، اللهم الا أن يكون النقص قد دخل عليه من الخروم الكثيرة التى وصفت بها المخطوطتان . هذا ولا يخفى أن هذا الكتاب قد وصفه كثير من العلماء بأوصافه الحقيقية ، بل أورد منه ابن خلكان كثيرا من الأمثلة ليدل بها على موضوعه ، ومن جملة الذين وصفوه ابن حزم قائلا : " ومنها - أى مؤلفاته - كتابها يجرى فى هذا كرات من غرر الأبيات ونوادير الحكايات " ٠ " ٤ "

(١) فهرسة الكتبخانة الخديوية المصرية ٤ : ٢١٣

(٢) الاعلام للزركلى ٩ : ٣١٧

(٣) فهرسة الكتبخانة ٤ : ٢١٣

(٤) فضائل أهل الأندلس لابن حزم ١٤

الذكريات من غرر الأبيات ونوادر الحكايات . " ١ "

ويقول عنه ابن خلكان : " وصنف كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس في ثلاثة أسفار ، وجمع فيه أشياء مستعينة تصلح للذاكرة والمحاضرة . " ٢ "

ومن بعد هذا التعريف المختصر لابن خلكان لهذا الكتاب أخذ يورد منه بعض النصف ليدل على طبيعة هذا المؤلف ، فقال : ومنه ، أى الأمثلة لما حواه : أن أعرابيا سب آخر ، فمكت عنه ، ففعل له : لم سكت عنه ؟ فقال : ليس لى علم بمساويه ، وكرهت أن أبهته بما ليس فيه . " ٣ "

قال ومنه : أن أعرابيا قيل : هو الحطيئة أراد سفرا ، فقال لامرأته : شعرا :

عدى السنين لغيتى وتصبرى * وذرى الشهور فان هن قصار فأجابته :

اذكر صبا بتا اليك وشوقنا * وارحم بناتك انهم صغار قال : فأقام وترك السفر . " ٤ " قلت : وغير ذلك مما نقله ابن خلكان من تلك الحكايات التى غالبا ما يرتاح لها اصحاب النفوس الطيبة دون ما سواها من المجالس التى لا يستلذ أصحابها الا الوقوع فى أعراض الخلق ، المصونة بالشرع الطهر نسأل الله السلامة من كل سوء .

٥ - كتابه الكافي فى الفقه على مذهب أهل المدينة ، وهو ستة عشر جزءا " ٥ "

قال عنه ابن حزم فى وصفه : " ومنها كتابه المسمى بالكافى فى الفقه على مذهب مالك ، وأصحابه خمسة عشر كتابا ، قال : اقتصر

(١) فضائل أهل الأندلس لابن حزم ١٤ ، ونفح الطيب ٤ : ١٦٣ ، وجذوة

المقتبس للحميدى ٣٤٥ ، وقال : بأنه مجلدان . وترتيب المدارك

٣ و ٤ : ٨١٠ وفهرسة ابن خير الأشبيلي ٣٢٧ .

(٢) وفیات الأعيان لابن خلكان ٦ : ٦٥ (٣) نفس المصدر السابق

٦٧ : ٦ (٤) نفس المصدر السابق ٦٦ : ٦

(٥) جذوة المقتبس للحميدى ٣٤٥

فيه على ما بالفتى الحاجة اليه ، وموه وقربه فصار مغنيا عن التصنيفات
الطوال في معناه " . " ١

قلت : وهذا الكتاب الجليل في موضوعه الذى سبق لك أن سمعت
وصفه عند المطلعين عليه ، ظل مفقودا لم يدركه شيئا ، ولم يكتشف
الا فى العام الماضى ١٣٩٥هـ على ما ذكره لى بعض الاخوان ، حيث
عثر عليه الأخ الشيخ محمد مديك الموريتانى ، حين كان يبحث عن
المخطوطات فى بادية موريتانية ، وهو الآن يحضر فى تحقيقه رسالة
الدكتوراه بمصر ، وقد بلغنى من بعض المشايخ أن الجامعة الاسلامية
بالمدينة المنورة ، جادة فى تصدير تلك المخطوطة الثمينة ، فنسأل الله
تعالى أن يسهل لهم ذلك ، وييسر لهم طبعه بعد تصويره ، لتعم فائدته
التي نوه عنها أهل المعرفة به .

الذى لم يصل اليها من كتبه ، ولم نسمع عنه شيئا الآن :

وهذا مع أن المراجع والمصادر التي تحدثت عنه قد ذكر معظمها
أو بعضها تلك الكتب ، ونسبوها الى الحافظ ابن عبد البر ، وقد بحثت
عنها قدر الطاقة ، وسألت عنها المختصين فلم أجد لها ذكرا فى مكتبة
من مكاتب الدنيا فى الوقت الحاضر ، وأخشى أن تكون من بين تلك الكثر
الكثير الثمينة من تأليف الأندلسيين التي اندثرت أو أهدمت بأيدى
الغزاة الآثمين ، الذين طمسوا بأيديهم الملوثة تلك الجواهر التي كان
كثير منها من أسباب تقدم أولئك الأفرنج الغازين . وهذه الكتب هي :

١ - الاستغناء فى أسماء المشهورين من حملة العلم بالكتب " ٢

(١) انظر : فضائل أهل الأندلس لابن حزم ١٤ ، ونفع الطيب للمقرئ
١٦٣ : ٤ ، وترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٤ : ٨١٠ ، قال : وهو
عشرون كتابا . ونغية المتمس للمضى ٤٧٥ ، والدنيا لابن فرحون ٣٥٨
وتذكرة الحفاظ للذهبي ١١٢٩ : ٣

(٢) انظر مثلا : الفهرسة لابن خيمر الأشبيلي ٢١٤ ، وترتيب المدارك -
للقاضى عياض ٣ و ٤ : ٨١٠ وقال عنه أنه سبعة أجزاء ، وجذوة المقتبس
للحميدى ٣٤٥ ، وسماه : كتاب أخبار أئمة الأمصار ، وتذكرة الحفاظ
للذهبي ١١٢٩ : ٣ ، ونغية المتمس للمضى ٤٧٥ ، وتدريب السراوى
للسيوطى ٣٦٦ : ٢

- ٢ - كتاب الاشراف على مافى أصول فرائض المواريث من الاجماع ، والاختلاف "١"
- ٣ - كتاب الاكتفاء فى قراءة نافع وابى عمرو بن العلاء ، والحجة لكل واحد منهما . "٢"
- ٤ - كتاب البيان عن تلاوة القرآن . "٣"
- ٥ - كتاب التجويد والمدخل الى علم القرآن بالتجريد . "٤"
- ٦ - الشواهد فى اثبات خبر الواحد "٥" وهوخذ من كلام الحافظ على خبر الآحاد فى بقية كتبه : أن هذه الرسالة لها شأن كبير فى هذا الموضوع ، فقد فصل القول فى المسألة وبين ما يتعلق بها . "٦"
- ٧ - فهرسة الشيخ الحافظ ابى عمر بن عبد البر ، قلت : وهى عبارة عن مزياته عن شيوخه . "٧"

-
- (١) ترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٤ : ٨١٠ ، وفهرسة بن خير ٢٥١ ، وتذكرة الحفاظ ٣ : ١١٢٩ ،
 - (٢) فضائل أهل الأندلس لابن حزم ١٤ ، وترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٤ : ٨١٠ ، وجذوة المقتبس للحميدى ٣٤٥ وقال عنه : بتوجيه ماختلفا فيه وهو جزء واحد ، وصغية الملتبس للضبي ٤٧٥ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١١٢٩
 - (٣) فهرسة ابن خير الأشبيلي ٧٢ ، وجذوة المقتبس للحميدى ٣٤٥ ، وترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٤ : ٨١٠ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١١٢٩ وصغية الملتبس ٤٧٥
 - (٤) بغية الملتبس للضبي ٤٧٥ ، قال عنه : جزآن ، وجذوة المقتبس للحميدى ٣٤٥ ، وترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٤ : ٨١٠
 - (٥) ترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٤ : ٨١٠ ، وجذوة المقتبس للحميدى ٣٤٥ وتذكرة الحفاظ ٣ : ١١٢٩ ، وصغية الملتبس للضبي ٤٧٥ وقال بأنه : جزء .
 - (٦) راجع مثلاً مؤلفاته : جامع بيان العلم وفضله ٢ : ٤٢ ، والتمهيد ١ : ٢ ، و ١١٦ : ١ ، ومخطوطة التمهيد الموجودة بالمكتبة السعودية بالرياض ١٣ ، و ٣٣ ، و ٣٤ ، و ٥١٣ والاستذكار له ١ : ٤٨
 - (٧) انظر : الدرر للحافظ ابن عبد البر نفسه ٢٧٦ ، والفهرسة لابن خير ٤٢٩

- ٨ - البستان في الاخوان . " ١ "
- ٩ - كتاب اختلاف أصحاب مالك بن أنس ، واختلاف رواياتهم عنه . قلت : نسب هذا الكتاب لابن عبد البر تلميذه الحميدى وذكر أنه أربعة وعشرون جزء . وهذا يدل على عظمه وكبره ، ويهدولى من اسقاط اسمه من بين كتب ابن عبد البر عند جميع المترجمين له من عدا - الحميدى : أنهم يروونه هو وكتابه الكافى السابق الذكر شيئاً واحداً فلذا اقتصرنا على ذكر الكافى ، ولكن الحميدى قد فرق بينهما بما يوضح أنهما كتابان حيث صرح بأن الكافى ١٦ جزءاً ، أما هذا الكتاب اختلاف أصحاب مالك فكما سبق ٢٤ جزء . " ٢ "
- ١٠ - كتاب العقل والعقلاء ، وما جاء فى أوصافهم عن الحكماء والعلماء " ٣ "
- ١١ - الأجوبة الموجهة فى الأمثلة المستغربة من صحيح البخارى . " ٤ "
- ١٢ - اختصار تاريخ احمد بن سعيد . " ٥ "
- ١٣ - كتاب الانصاف فى أسماء الله تعالى . " ٦ "
- ١٤ - اختصار كتاب التمييز للامام مسلم بن الحجاج وتأليف الحافظ ابن عبد البر . " ٧ "

-
- (١) ترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٤ : ٨١٠
- (٢) انظر : جذوة المقتبس للحميدى ٣٤٥ ، ونغية الملتبس للضبي ٤٧٥
- (٣) جذوة المقتبس للحميدى ٣٤٥ ، قال : بأنه جزء واحد ، ونغية الملتبس للضبي ٤٧٥ ، والاعلام للزركلى ٣١٧ : ٩ ، ومقدمة الطبع للتمهيد
- (٤) الاستذكار لابن عبد البر ١ : ٢٦٥ ، وترتيب المدارك ٣ و ٤ : ٨١٠ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١١٢٩ ، وكشف الظنون لحاج خليفة ٦ : ٥٥٠ - ٥٥١
- (٥) ترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٤ : ٨١٠ ، ومقدمة التمهيد للطبع
- (٦) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١١٢٩
- (٧) ترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٤ : ٨١٠ ، ومقدمة الطبع للتمهيد

- ١٥- كتاب أبي عمر بن عبد البر ، قلت : نسبة ابن خير الاشبيلى الى الحافظ دون أن يبين فى أى موضوع كان ، ومن أى الفنون الف .^١
- ١٦- الاستظهار فى حديث عمار ، " ٢ "
- ١٧- نزهة المستمعين وروضة الخائفين . " ٣ "
- ١٨- التفتا بحديث الموطأ . " ٤ "

وأخيرا أرجو أن يكون ذكرى لهذه الكتب اسهاما مباشرا منسى لاهياء تلك التراث المفقود ، فعمسى الله أن يجعل من بين من سيقفون عليها ان شاء الله باحثين عنها فى كل مكان لازالة آثار الغبار عنها ولرفعها الى دنيا الطباعة من جديد .

قلت : وهذه الكتب السابقة يكون عدد الكتب التى عثرت عليها أو على اسمائها من تأليف الامام الحافظ ابن عبد البر ، قد بلغ ثلاثين مؤلفا ، ما بين كتاب كبير جدا كالتمهيد ، والاستذكار ، والاستيعاب والكافى ، وكتاب صغير كالقصد والامم ، والانباء على قبائل الرواة ، والشواهد فى اثبات خير الواحد هذا والجدير بالذكر أنى قد بحثت بحثا مستفيضا طالبا المزيد من هذه الكتب من تأليف الحافظ ، ولكنى لم أجد ذكرا لشيء سوى هذه .

-
- (١) فهرسة ابن خير الاشبيلى ٤٢٩
- (٢) الاستيعاب للمصنف ٢ : ٤٤٨ ، وسماه الاستظهار فى طرق حديث عمار وكشف الظنون لحاج خليفه ٦ : ٥٥٠ - ٥٥١
- (٣) الاعلام لخير الدين الزركلى ٩ : ٣١٧
- (٤) مقدمة تحفة الأحوذى للمبارك فوري ١ : ١٧٣ ، وكشف الظنون لحاج خليفه ٦ : ٥٥٠

المبحث السادس عشر

(ثناء العلماء عليه)

أبتزع الحافظ ابن عبد البر من ترجميه أجمل الأوصاف ، وأغلاها ، فلا شك
أن في تواردهم كما سيأتي ان شاء الله على تلك النعوت ما يدل على أحقيته بها .

يقول المقرئ ناقلًا عن المطمح لابن خاقان :

" الفقيه الامام العالم الحافظ . . . امام الأندلس وعالمها الذي التاحت به
معالمها صحح المتن ، والسند ، وميز المرسل من المسند ، فرق بين الموصول
والقاطع وكما الملة مته نور ساطع ، حصر الرواة ، وأحصى الضعفاء منهم والثقات ،
وجد في تصحيح السقيم ، وجد منه ما كان كالكهف والرقيم ، مع معلنات ، العلل ،
وارهاف ذلك العلل . . . وشرح المقفل ، واستدراك المغفل ، قال : وله فنون
هي للشرعة رتاج ، وفي مفرق الملة تاج ، أشهرت للحديث ظبي ، وفرت لمعرفته
ربي ، وهبت لتفهمه شمال وصبا ، . . . قال : وكان ثقة ، والآنفس على تفضيله متفقة ،
قال : وأما أدبه فلا تعبر " ١ " لجته ، ولا تدحض حجته ، ويقول ابن سعيد :
ومن العلماء : الحافظ أبو عمر النمرى ، " ٢ " امام الأندلس في علم الشرعة ورواية
الحديث لا استثنى من أحد ، وحافظها الذي حاز خصل السبق واستولى على غاية
الأمد ، قال : وانظر الى آثاره ، تغتلك عن أخباره ، وشاهده ما أورده في تمهيده
واستذكاره ، قال : وعلمه بالأنساب يفصح عنه ما أورده في الاستيعاب ، مع أنه فسى
الأدب فارسي ، وكفاك دليلا على ذلك كتاب بهجة المجالس ، والافق الداني ظهر علمه
وعند ملوكه خفق علمه " ٣ "

وقال الضبي : " أبو عمر فقيه حافظ مكثر عالم بالقراءات والخلاف في الفقه
ومعلوم الحديث والرجال قديم السماع كبير الشيوخ . . . " ٤ "

(١) نفح الطيب ٤ : ٢٩ طبعة احسان عباس

(٢) المغرب في حلى المغرب ٢ : ٥٧

(٣) المصدر السابق ٢ : ٥٨

(٤) بغية الملتبس ٤٧٤ ، والجذوة ٢٤٤

ويقول عنه القاضي عياض :

" الحافظ شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها في وقته ، وأحفظ من كان بها لسنة ماثورة ، ^١ " وقال عنه ناقلا عن تلميذه أبي علي الجباني :

" وصبر أبو عمر على الطلب ودأب فيه ودرس وبيع براءة فاق فيهما من تقدمه من رجال الأندلس ، قال : وعظم شأن أبي عمر بالأندلس ولا ذكره في الأقطار ، ورحل إليه الناس ، وسمعوا منه ، ^٢ " .

وقال ابن بشكوال :

" وكان موفقا في التأليف معانا عليه ، ونفع الله بتأليفه ، وكان مع تقدمه في علم الأثر ، ومصره بالفقه ، ومعاني الحديث ، له بسطة كبيرة في علم النسب والخبر ^٣ " .

وقال صاحب العبر : الحافظ القرطبي أحد الأعلام ، وصاحب التصانيف ، وليس لأهل المغرب أحفظ منه معاشقة والدين والنزاهة والتبحر في الفقه والعربية والأخبار . ^٤ " .

وقال ابن الأثير في اللباب : الأندلسي القرطبي الحافظ كان إماما جليلا القدر ^٥ " .

ويقول الذهبي عنه : الإمام شيخ الإسلام حافظ المغرب ^٦ " إلى أن قال : وساد أهل الزمان في الحفظ والاتقان ثم نقل عن الباغي أنه قال : لم يكن

(١) ترتيب المدارك للقاضي عياض ^٣ و ٤ : ٨٠٨

(٢) المصدر السابق ٣ و ٤ : ٨٠٩

(٣) الصلة ٢ : ٦٤١ - ٤٦٢ ، وراجع كلا من : الديباج ٣٥٧ - ٣٥٨ ،

وشذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣١٥ ويقول قبل ذلك : " أحد

الأعلام ، وصاحب التصانيف ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٦ : ٦٥

(٤) العبر في أخبار من غير للذهبي ٣ : ٢٥٥ ، وابن العماد في الشذرات

٣ : ٣١٥ ومرآة الجنان للياقيني ٣ : ٨٩

(٥) اللباب لابن الأثير ٢ : ٢٥٣ ،

(٦) تذكرة الحفاظ ٣ : ١١٢٨

بالأندلس مثل أبي عمر في الحديث ويقول عنه أيضا أنه قال : أبو عمر أحفظ أهل المغرب . " ١ "

ويقول الذهبي : " وكان ديننا صينا ثقة حجة صاحب سنة واتباع . " ٢ "

ويقول عنه الكتاني :

" القرطبي المالكي حافظ المغرب بل والمشرق الشهير " ٣ " . ويقول في موضع آخر في كلامه على الخطيب البغدادي : ومن العجيب أن الخطيب هذا كان حافظ المشرق وابن عبد البر حافظ المغرب وتوفيا في سنة واحدة " ٤ "

وهكذا تواردت أقوال القدامى على مدح هذا الرجل والثناء عليه ولم يشر أحد منهم إلى ما هنالك من مأخذ التي أخذت عليه اعتقادا منهم بأن تلك المأخذ مغمورة في جانب ما أسداه من الفضائل ، فإذا رجعنا إلى كلام المتأخرين عن حاله نجده لا يختلف كثيرا عن رأي القدامى فيه .

يقول عنه مصطفى جواد : " الأندلسي القرطبي الأديب العالم المحدث الشهير إمام عصره في الحديث والأثر وطوهم في الأندلس ، كما كان الخطيب البغدادي في الشرق ، قال : كان من أهل قرطبة ، ثم طلب الفقه والأدب ودأب في اقتباس العلم وسرع فيه براعة فائقة . " ٥ "

وقال صاحب الفضيلة الشيخ محمد مخلوف عنه : إمام النظر شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها الشهير الذكر في الأقطار ، شهرته تغني عن التعريف به " ٦ " .

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ١١٢٩ : ٣

(٢) تذكرة الحفاظ ١١٣٠ : ٣

(٣) الرسالة المستطرفة ١٤

(٤) المصدر السابق ٤٥ - ٤٦ وأرجع إلى وفيات الأعيان لابن خلكان ٦٩ : ٦

(٥) تحقيق تكملة أكمال الأكمال ٢٧٤

(٦) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ١١٩

وقال عنه عمر رضا كحالة : " المالكي أبو عمر محدث حافظه مؤرخ عارف بالرجال والأنساب ، مقرب ، فقيه نحوي " ^١

وقال عنه خير الدين الزركلي :
" من كبار حفاظ الحديث ، مؤرخ أديب بحاثه ، يقال له : حافظ المفسر ، ثم عد كثيرا من مصنفاته " ^٢

ويقول محمد عبد الخنى حسن فى ضمن كلامه على الاستيعاب لابن عبد البر : " ويظهر فى هذا الكتاب الضخم اتجاه المؤلف الى الحديث أكثر من اتجاهه التاريخى فهو محدث قرطبة ، بل أكبر محدثيها فى عصره ، قال : " ولكن معرفته بطبقات الصحابة المحدثين جعلت من كتابه مرجعا لمؤرخى رواة الحديث " . ^٣

ويقول عنه الشيخ صالح رضا الذى خصص جزءا كبيرا من رسالته (مدرسة الحديث بالأندلس) للكلام على الحافظ ابن عبد البر واعتبره امام تلك المدرسة بلا منازع ، يقول عنه :

" فالعلماء يعتبرون ابن عبد البر حافظ المشرق والمغرب ، وحفظ الناس للسنة فى وقته ، كما يعتبرونه الفقيه الذى لا يفتق له غبار ، وصل الى درجة الائمة المجتهدين الذين يستطيعون الترجيح بين الأدلة ويختارون ما يرونه صوابا . قال : وهو عند العلماء العالم فى قراءات القرآن ، واختلافاتها بالاضافة الى علمه بالرجال ، ومصطلح الحديث والنسب ، قال : كما أنه فى الأدب فى القمة ، له الشعر الجيد الذى يصدر عن شعور صادق . " ^٤

هذا ولقد بان من هذه النصوص السابقة التى وصف بها العلماء هذا الرجل مقدار منزلته بين العلماء ، فهو كما قالوا :

-
- (١) معجم المؤلفين ١٣ : ٣١٥
 - (٢) الاعلام ٩ : ٣١٧
 - (٣) التراجم والسير ٥٥
 - (٤) مدرسة الحديث بالأندلس لصالح رضا ٢٥٢

حافظ محدث فى الدرجة الأولى ، وفقه فاهم بالدرجة الثانية ، ونسابة
اخبارى فى الدرجة الثالثة ، وأديب لفوى فى الدرجة الرابعة ، ونحوى
موجود فى الدرجة الخامسة ، وشاعر فصيح فى الدرجة السادسة .

هذه بعض الجوانب التى امتاز بها الحافظ ابن عبد البر ، ولكن
هناك ميزة تبدو لمن يطالع كتبه غلبها الكثيرون ، وهى : فى نظرى من أكبر
كفاحه الذى قام به فى حينه ، وتلك الميزة هى : قيامه بالتقريب بين متنازعين
طال نزاعهما ، وطال الأخذ والرد بينهما ، فقام بذلك حتى استبان الناس
الصواب ، وتمسكوا به وذاتك المتنازعان هما طائفة أهل الحديث وطائفة المتفقه ،
فقد حاول تقريب ما بينهما فى كتابه جامع بيان العلم وفضله ، كما وجه اليهما
الخطاب مبينا لهما عيوبهما ، ومبينا أن لا تنازع بينهما فى الحقيقة ، لأن كلا منهما
مكمل للثانى ، كما سبقت الإشارة الى ذلك .^١

البحث السابع عشر

ما أخذ عليه

لا شك فى أن العلماء قد أخذوا على الحافظ ابن عبد البر كثيرا
من المآخذ ، شأن كل آدمى الا من عصم ، وهم الأنبياء عليهم الصلاة
والتسليم ، الا أن تلك المآخذ كما سيأتى ان شاء الله ليست كلها على السواء
يصدق عليها اسمها ، بل سيأتى الجواب عن كثير منها ، ان شاء الله ، وقد
كان الكثير من تلك الأمور التى أخذها العلماء على الحافظ موجهة الى كتابه
الاستيعاب والقليل منها : ما أخذ عامة ، والذى أخذ عليه من جهة
كتاب الاستيعاب على هرين :

- ١ — استدراكات عليه فى كتابه المذكور ، وذكر كثيرين من عقلم من
الصحابه .

(١) ارجع مثلا الى الصفحات التالية من جامع بيان العلم وفضله لـ
٢ : ٢٠٤ وما بعدها و ٢ : ٢٠٧ ، و ٢ : ٢٠٨ ، و ٢ : ٢٠٩ —
٢ : ٢١٢ ، و ٢ : ١٣٣ وما بعدها

٢ — مآخذ على ما أورده في الاستيعاب ، بعضها ، في نسبه البعض الى الصحبة وهو في حقيقة الأمر ليس كذلك . والبعض الآخر في نفس الصحبة عن بعض من أورده ، وهو في نفس الأمر صحابي ، كما نوقش في وقائع تاريخية ، وسنورد ان شاء الله الأمثلة على هذه الأمور كلها .

فعلى ما تقدم نلخص المآخذ على الحافظ ابن عبد البر فيما يلي :

١ — المآخذ العامة .

٢ — المآخذ الموجهة الى كتابه الاستيعاب ، وهي على نوعين :

أ — الاستدراك عليه في كتابه المذكور ، وذكر كثيرين من عقلم من الصحابة .

ب — مآخذ على ما أورده في الاستيعاب .

١ — المآخذ العامة عليه :

لقد توجهت جملة الانتقادات الى الحافظ في مواضع متباينة ، ومتعددة ، وما يراد الأمثلة على ذلك نستبين الحق من غيره ان شاء الله .

١ — وجه اليه بعض نفوس الصفات الانتقاد في أثناء كلامه على صفات الله ، وفي اثباتها اثباتا يليق به سبحانه ، بدون — تكيف ولا تمطيل ولا تمثيل ، فاتهموه كماداتهم لكل المبتئين : بأنه مجسم ، ولقد جاوت عنه في باب عقيدته من هذه الرسالة وينت أن المآخذ على من خالف النصوص لا على من نطق بمادلت عليه هنالك .

٢ — أخذ عليه كثرة نقله للاجماع في مكان الخلاف ، فمثلا كثيرا ما يقول : واجمعوا على كذا فاذا رجعت الى تحقيق المسألة تجد غير واحد قد خالف في المسألة ، بل هو بنفسه قد يقول هذه المباراة : اجمعوا على كذا ، ثم يقول بمعد قليل : وخالف

فلان ، فهذا فى الحقيقة ليس بالاجماع عند العلماء . " ١ "

وقد كان علماء المالكية أشد الناس تنبها لهذا المأخذ على الحافظ ابن عبد البر ، فقد قال الخطابى شارح خليل ما نصه قال زروق : " حذروا — أى شيخ المالكية — من اجماعات ابن عبد البر ، واتفاقات ابن رشد وخلافيات الباجي " . " ٢ "

وقد نظم هذه العبارة السابقة رجل من المتأخرين المفارسة فى رسالة له فقال :

وحذروا الشيخ من اجماع * نقل ابن عبد البر فى السماع
وحذروا أيضا من اتفاق * عن ابن رشد عالم الافاق " ٣ "

قلت : والذى يبدو أن الحافظ ابن عبد البر لم يكن عنده رأى مستقر فى القول بالاجماع ، وتحديد الاجماع المعتبر وغير المعتبر ، كما هو الحال عند المتأخرين . ولذلك يقول بعد الكلام على ثبوت الاجماع شرعا : وعندى أن اجماع الصحابة لا يجوز خلافهم " ٤ " والله أعلم لأنه لا يجوز على جميعهم جهل التأويل " ٥ " .

- (١) ارجع مثلا : الى تعليقه على حديث الموطأ ومن كلام النبوة الأولى اذا لم تستع فانسل ماشئت ووضع المدين احداهما على الأخرى قال : وهو أمر مجتمع عليه فى هيئة الصلاة ٠٠٠ التقصى ١٠٨ . قلت : فلا يخفى ما فى هذه المسألة من الخلاف ، حتى عند المالكية أنفسهم ، الا أن الحق والصحيح هو اثبات القبض والأخذ به على أنه هيئة من هيئات الصلاة كما دلت عليه سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وكما ذهب اليه جمهور علماء المسلمين .
- وارجع الى كتبه الأخرى تجد نسبة الاجماع فى محل الخلاف ، فمثلا : التمهيد ١ : ٢٨٠ و ٢ : ٧٨ و ٢ : ٢٢٦ و ١ : ١٦٥ ، — الاستذكار له أيضا ٢ : ٢٠٠ وغير ذلك وانما المقصود فقط هو اثبات المثال لذلك لا المحصر .
- (٢) شرح الخطابى ١ : ٤٠
- (٣) محمد نابغة الاغلال فى رسالة نظمها وهى مخطوطة عند بعضى المفارسة بالمدينة المنورة ص ٦
- (٤) لعل الصواب : خلافهم فيه ، أو لا يجوز خلافه
- (٥) جامع بيان العلم وفضله له ٢ : ٣٢

فهذا يدل ويفهم منه أنه لا يجوز خلاف الصحابة في اجماعهم ،
وأما غير الصحابة ، فليسوا كالصحابة كما يفهم من عبارته ، ولكن الجمهور
على أن اجماع علماء الأئمة في كل زمان معتبر وأن الأئمة المحمدية لا يجوز
أن تجهل جميعها ما أنزل اليها .^١

فهذا الكلام منه ، والذي قبله الذي هو القول بالاجماع في مواضع
كثيرة خلافية يدل على أنه لم يستقر له رأى محدد في تعريف الاجماع
تصريفا تاما ، والله أعلم .

٣ — ومن جملة الانتقادات التي وجهت اليه : هو ما عابه به بعض
معاصريه من قبوله لهدايا الأمراء في زمانه ، ولكنه قد رد عليهم
في ذلك الوقت بما يراه قائلا :

قل لمن ينكر أكلسى * لطمام الأمراء
أنت من جهلك هذا * في حل السفهاء^٢

وقد نقل المقرئ في رد ابن عبد البر عليهم غير ذلك ، ومن جملته
أنه قال : " وما أعلم من علماء التابعين أحدا تورع عن جوائز
السلاطين ، الا سعيد ابن المسيب بالمدينة ، ومحمد بن سيرين
بالبصرة " .^٣

هذا وقد سبق أن تعرضت لهذه المسألة ، ومعض ما يتعلق بها
في الكلام على نشأته .

٤ — المأخذ السابق ، الذكر ، الذي وجهه اليه بعضهم بسبب أنه لم
يوحل عن الأندلس^٤ وقد سبق . في الكلام على رحلته الجواب
عن هذا المأخذ فلا حاجة الى اعادته .

(١) انظر مثلا : الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ١ : ١٦٩

(٢) نفع الطيب للمقرئ ٣ : ٢٣٥

(٣) نفس المصدر السابق ، ٣ : ٢٣٦

(٤) مقدمة جذوة المقتبس لكاتبها الكثرى ٤

٢ — المآخذ الموجهة الى كتابه الاستيعاب وهى على نوعين :

أ — الاستدراك عليه فى كتابه المذكور ، وذكر كثيرين من نقلهم من الصحابة .

لا شك أن كتاب ابن عبد البر الاستيعاب قد صار غرضا — للمتقربين من بعده ، وذلك امتحانا منهم لعنوانه ، فكانت النتيجة أنه قد فاته الكثير من الصحابة ، فمن جملة من ذيل عليه :

١ — أبو بكر بن فتحون ، ^١ وذكر ابن حجر أنه استدرك عليه ابن فتحون هذا قريبا من ذكر ^٢ — أى من ذكرهم ابن عبد البر — قال وهم ٣٥٠٠ نفسا ، وقال المراقى : بأن المبادلة وحدهم من الصحابة ذكر منهم ابن فتحون زيادة على ما ذكر ابن عبد البر ١٦٤ نفسا . ^٣

٢ — استدراك ابن اسحاق ابراهيم بن سعد ، ويعرف بابن الأمين الطليطلى ثم القرطبي المتوفى سنة ٥٤٤ هـ فقد استدرك على الاستيعاب للحافظ بن عبد البر ^٤ .

ب — (مآخذ على ما أورده فى الاستيعاب ، وغيره من كتبه) :
وهنا لابد من القول بأن العلماء قد قيدوا على الحافظ ملاحظات عدة ينبغى أن اتطرق الى الممكن منها إذ لا سبيل الى الحصر حيث أن مؤلفاته التى تشتمل على تلك المآخذ بكاملها ليست بمطبوعة ، ولا موجودة كلها كما سبق فى الكلام على كتبه .

(١) هو محمد بن خلف بن سليمان بن فتحون من أهل أرويو له من عمل مرسية ، ويكنى أبا بكر كان مستنيا بالحديث منسوبا الى فهمه ، وله استحقاق على أبي عمر بن عبد البر فى كتاب الصحابة ، وكتاب آخر فى أوهام كتاب الصحابة المذكور توفى سنة ٥٢٠ هـ الصلاة لابن بشكوال ٢ : ٥٤٧ .

(٢) الاصابة لابن حجر ١ : ٣ قلت : ولم أر هذا الكتاب أغنى الذيل على الاستيعاب .

(٣) التبييد والايضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للمراقى ٣٠٣ — ٣٠٤

(٤) فهرست المخطوطات المصورة ٢ : ١٢ التاريخ ، طبع جامعة الدول العربية معهد المخطوطات العربية .

وهذا أولان الشروع في إيراد ومناقشة تلك المآخذ :

١ — أخذ عليه أكثر العلماء ذكره لكثير مما جرى بين الصحابة ^١ ، وكذلك ما جرى بين العلماء من بعد الصحابة ، فقد خاض في ذلك وبين كثيرا منه ، مع أن العلماء كانوا يكرهون الخوض فيما جرى بينهم ، حتى أن بعضهم سئل عن ذلك فقال : ذلك حرب طهر الله منه سيفي فأريد أن أطهر منه لساني ، هذا وقد خاض الحافظ أيضا في ذكر ما جرى بين العلماء الأجلاء من المقال فيما بينهم ، وذكر من ذلك جملة كبيرة إلا أنه علق على ذلك بأنه لا يليق تصديق بعضهم على بعض ، وخاصة إذا كانا متعاصرين قد ثبتت ثقتهم ، ^٢ .

ومن هذا ندرك مدى صدق هذا المآخذ على الحافظ وأنه أولى له لو ترك الخوض في ذلك كما فعل غيره .

٢ — أخذ عليه ابن حجر العسقلاني تسميته بكتاب الاستيعاب ، فقال في تعداد من صنف في الصحابة : " ثم كأي عمر بن عبد البر ، وسمى كتابه الاستيعاب لظنه أنه قد استوعب ما في كتب من قبله ، قال : ومع ذلك ففاته شيء كثير ، فذيل عليه أبو بكر بن فتحون ذيلًا حافلًا ، وذيل عليه جماعة في تصانيف لطيفة " ^٣ إلى أن قال ابن حجر في ضمن ردوده ، وتعليقاته على ابن عبد البر من أجل هذه التسمية : " ومع هذا فجميع من في الاستيعاب يعني بمن ذكر فيه باسم أو كنية وهما ثلاثة آلاف وخمسمائة ، وذكر أنه استدرك عليه على شرطة قريبًا مما ذكر " ^٤ .

(١) انظر مثلاً : ترجمة معاوية بن أبي سفيان في الاستيعاب ٣ : ١٤١٦ — ١٤٢٢ ، و ترجمة علي فيه أيضًا ٣ : ١٠٨٩ ، والتقييد والايضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للمراقى ٢٩١ ، والتدريب للسيوطي ٢ : ٢٠٧ ، وفتح المفتي للسخاوي ٣ : ٨٥ ، وفتح المفتي للمراقى ٤ : ٢٨ ، وانظر الاستيعاب أيضًا له ١ : ١٥٩ ، و ١ : ١٦٥ ، و ١ : ٣٢١ ، و ١ : ٣٣٠ ، و ١ : ٦٦ ، و ١ : ٣٦٧ .

(٢) ارجع إلى جامع بيان العلم وفضله له ٢ : ١٨٧ وما بعده .

(٣) الإصابة لابن حجر ١ : ٣ .

(٤) نفس المصدر السابق ٤ : ١ .

هذا ما قاله ابن حجر مدعيا أن هذه التسمية قصد بها الحافظ ابن عبد البر أنه استوعب ما في الكتب التي سبقتها ، ولكننا عندما نرجع إلى كتب الحافظ ابن عبد البر نجد الأمر غير ما قاله الحافظ ابن حجر وخاصة مقدمة الاستيعاب نفسه ، فقد قال فيها مانعه : " وأرجو أن يكون كتابي هذا أكبر كتبهم تسمية ، وأعظمها فائدة ، وأقلها مشونه ، على أني لا أدعي الاحاطة ، بل أعترف بالتقصير الذي هو الأغلب على الناس " .^١ فيظهر من هذا الكلام بلارب أن الحافظ لا يدعي الاستيعاب كما توهمه من علق عليه ، بل أن كلامه مقتصر فقط على أنه يظن ويترجى أن يكون كتابه أكثر الكتب المؤلفات في الصحابة تسمية لا أنه استوعب جميع الصحابة .

٣- ومن جملة ما ظنه بعضهم مما يؤخذ على ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب ظنهم أنه يعد المخضرمين من جملة الصحابة^٢ .

(١) مقدمة الاستيعاب له ١ : ٢٠

(٢) وصرح به العراقي ، أي صرح أنه مذهب ابن عبد البر وحكاه عن ابن منده قال العراقي : وعلى هذا عمل ابن عبد البر في الاستيعاب وقال : قد بين في ترجمة الأحنف بن قيس أن ذلك شرطه " فتح المفيث للعراقي ٤ : ٣٣ ، قلت : وفي حالة رجوعي إلى ترجمة الأحنف المذكور وجدت الحافظ ابن عبد البر يصرح بالسبب الذي جعله يورد المخضرمين في كتابه ، فيقول : " كان قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، ودعي له النبي صلى الله عليه وسلم فمن هنالك ذكرناه في الصحابة ، لأنه أسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قال ابن عبد البر : ذكرنا الأحنف بن قيس في كتابنا هذا على شرطنا أن نذكر كل من كان مسلما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته . " الاستيعاب ١ : ١٤٥ ، قلت : وقد اتضح من هذا النقل أن ابن عبد البر لم يعتبر المخضرمين من الصحابة ، بل اشترط على نفسه فقط أن يذكر كل من كان مسلما في ذلك العهد صحابيا كان أو غير صحابي

قلت : ولكن هذا ليس بصحيح لما يدل عليه كلامه في مقدمة كتابه المذكور قال : ولم أقتصر في هذا الكتاب على ذكر من صحت صحبته ومجالسته حتى ذكرنا من لقي النبي صلى الله عليه وسلم ولولقيته واحدة مؤمنا به ٠٠٠ ومن كان مؤمنا به قد أدى الصدقة اليه ولم يرد عليه ، قال : وهذا كله يستكمل القرن الذي أشار عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم " ١ " فقد أفصح ابن عبد البر عن سبب جمعه بين الصحابة والمخضرمين وأنه لم يرد أنهم من الصحابة بذلك الجمع ، وقد فهم ابن حجر ذلك فقال ما معناه : " فقد أفصح من ذكر المخضرمين في كتب الصحابة : بأنهم لم يذكروهم الا لمقاربتهم لتلك الطبقة لا أنهم من أهلها . قال : ومن أفصح بذلك ابن عبد البر ، الى أن قال ابن حجر : " وظط من جزم في نقله عن ابن عبد البر أنه يقول : بأنهم صحابة ، بل مراد ابن عبد البر بذكرهم واضح في مقدمة كتابه ، بنحو ما قررناه " ٢ "

قلت : وهو ما سبق أن أثبتته أنا من تلك المقدمة .

٤ — وما أخذ على الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب : عده المبادلة من الصحابة مائتين وثلاثين نفسا . " ٣ "

وقد ناقش العراقي ابن الصلاح في تصريحه بأن المبادلة من الصحابة ٢٢٠ نفسا ، فقال العراقي : وما ذكره من كون المسلمين بعبد الله من الصحابة ٢٢٠ نفسا ليس بجيد ، بل هم أكثر من ذلك بكثيره قال : وكان المصنف أخذ ما ذكره من الاستيعاب لابن عبد البر فانه عد من اسمه عبد الله ٢٣٠ ، قال : ومنهم من لم يصح له صحبة ومنهم من ذكر لمعاصرة من غير رؤية على قاعدته ٠٠٠٠٠ قال : ولكن قد فات ابن عبد البر منهم جماعة ذكرهم غيره من صنف في الصحابة ،

(١) الاستيعاب ١ : ٢٤

(٢) الاصابة ١ : ٦

(٣) قلت : هكذا ذكر العراقي في التقييد والايضاح ٣ : ٣٠ ، ولكن لم أجد في الاستيعاب الا ٢٢٢ من المبادلة .

وذكر منهم الحافظ أبو بكر ابن فتحون في ذيله على الاستيعاب
مائة وأربعة وستين نفساً زيادة على من ذكرهم ابن عبد البر^١ .

قلت : ويبدو رجحان ما قاله العراقي وخاصة إذا رجعنا
إلى كتاب تجريد أسماء الصحابة للذهبي فإنه يعد المبادلة
من الصحابة أربعاً وستة وتسعين نفساً^٢ . فهذا العدد
بمعيد جداً مما ذكره ابن عبد البر ، وهذا هو الراجح .

٥ - ومن جملة تلك المآخذ الموجهة إلى الاستيعاب ، وغيره من كتب
ابن عبد البر : روايته عن الأخباريين^٣ .

قال عنه ابن الصلاح في معرض ذكر الكتب المؤلفة في الصحابة
قال : " ومن أجلها ، وأكثرها فوائد كتاب الاستيعاب ٠٠٠ لولا
حكاياته عن الأخباريين لا المحدثين " .^٤

(١) التقييد والايضاح للعراقي ٣٠٣ - ٣٠٤

(٢) تجريد أسماء الصحابة ١ : ٣١٨ - وما بعده

(٣) أرجع مثلاً إلى قوله في كتابه الدرر : " وفي الفهرسة روايتنا لكتاب
الواقدي وغيره ، تركنا ذلك ههنا خشية الإطالة " الدرر ٢٧٦ ز ،
وقد نقل عن الأخباريين في مواضع متعددة من هذا الكتاب . كما
صرح في مقدمة الاستيعاب أنه : روى عن الأخباريين مثل : الواقدي
والزبير بن بكار وغيرهما ٠٠٠ إلى أن قال : وقد طالعت أيضاً
كتاب ابن أبي حاتم ، وكتاب الأزرقي ، والدولابي والبغوي في
الصحابة . وقال : " في كتابي هذا من غير هذه الكتب من منشور
الروايات والفوائد والمعلقات عن الشيخ ما لا يخفى على متأمل ذي
عناية والحمد لله " مقدمة الاستيعاب ١ : ٢٠ - ٢٤ .

(٤) مقدمة ابن الصلاح مع شرحه للعراقي التقييد والايضاح ٢٩١

قلت : ويرد على ابن الصلاح فيما ذكره - بما يلي :

أ - ان ابن عبد البر لم يرو عن الاخباريين وحدهم ، بل روى عنهم وروى عن المحدثين أيضا حيث كان اعتمادا دائما على المحدثين الثقة ، كما يعرف ذلك من اشتغل بمؤلفاته مثل الدرر والتمهيد والاستذكار وغيرها .

ب - ان قصد الحافظ هو جمع كل ما ورد في المسألة والفحص عنها لكي يتسنى له اصدار الحكم الصحيح في ذلك ، وذلك شئ مطلوب ومقصود عند المحققين الذين لا يكتفون الا باستكمال كل ما تصل اليه انا ملهم من تلك الاخبار .

٦ - ومن تلك المآخذ على الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب ما ذكره في ترجمة الحارث بن عرفة أن ابن اسحق قد أهمله في البدرين^١ وقد رد ابن حجر على الحافظ ابن عبد البر هذا الوهم ، فقال : " ذكره موسى ابن عقبة وغيره في البدرين قال : وزعم أبو عمران ابن اسحق أهمله فلم يصب ، قال : وقد نبه على ذلك ابن فتحون^٢ . "

قلت : لقد تبع الذهبي الحافظ ابن عبد البر على هذا الوهم^٣ الا أن الصحيح ، والراجح هو ما ذهب اليه ابن حجر وغيره بدليل أن ابن اسحاق قد ذكره في البدرين من الأوس ، قائلا : " ومن بني غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس . . الحارث بن عرفة " ^٤ .

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ١ : ٢٩٨

(٢) الاصابة لابن حجر ١ : ٢٨٤

(٣) انظر : تجريد اسماء الصحابة للذهبي ١ : ١١٢

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١ : ٦٩٠

٧ — ومن تلك المآخذ : جملة الحارث بن سويد بن الصامت الأنصاري : مخزوميا ، ^١ وقال عنه ابن حجر في ضمن تعليقه على الحافظ ابن عبد البر : قلت : ^٢ والمشهور أنه أنصاري ^٣ وقد وافق الحافظ الذهبي ابن حجر على جملة أنصاريه ، ^٤ ويترجع ما ذهب اليه الحافظان الذهبي وابن حجر بدليل أن من روى عنهم ابن حجر قصته قد أبهم بعضهم ذكر اسمه ، ولكن مع ذلك نسبوه الى الأنصار فقالوا : ان رجلا من الأنصاري ارتد فذكروا الحديث . . .

٨ — ومن تلك المآخذ على الحافظ في الاستيعاب : جملة اسلام جرير بن عبد الله في العام الذي توفي فيه رسول الله ، بل قال : أسلم قبل وفاته بأربعين يوما ، ^٥

ويعلق عليه الحافظ في الإصابة فيقول : وهو غلط في الصحيحين عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : استنصت الناس في حجة الوداع ، وقال ابن حجر أيضا : وجزم الواقدي بأنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان سنة عشر ، ويضى الحافظ ابن حجر في تلك الحجج التي يوردها ^٦ فيها أن اسلامه كان قبل ما ذكره ابن عبد البر فيقول حاكما عن جرير نفسه : قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان اخاكم النجاشي قد مات الحديث قال : فهذا يدل على أن اسلامه كان قبل سنة عشر لأن النجاشي مات قبل ذلك ^٧

(١) الاستيعاب ١ : ٣٠٠

(٢) الإصابة لابن حجر ١ : ٢٨٠

(٣) تجريد أسماء الصحابة للذهبي ١ : ١٠٨

(٤) راجع الاستيعاب ١ : ٣٣٧ ، والاستذكار ١ : ٢٧٣ وقال الحافظ فيه :

قال أهل السير : كان اسلامه في آخر سنة عشر ، وقيل : في أول سنة عشر ، وقيل : في أول سنة إحدى عشرة

(٥) الإصابة لابن حجر ١ : ٢٣٢

قلت : وقد كانت وفاة النجاشي في رجب سنة تسع^١ وعلى هذا يرجح قول الحافظ ابن حجر بدون مرا^٢ على قول ابن عبد البر السابق إذ أن الحافظ ابن عبد البر نفسه لم يكن متيقنا في ذلك وإنما ذكره بصيغة التحريض ، وهذا ولقد أشار الذهبي إلى ما لعله يزيل الخلاف ، وهو أن إسلامه كان قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بمدة غير محدودة ، وأما وفاته على النبي صلى الله عليه وسلم فهي قبل موته صلى الله عليه وسلم بأربعين يوما^٣ أي على ما قاله ابن عبد البر ، ولكن هذا يعكر عليه بعض ما سبق ، وهو حضوره الصلاة على النجاشي سنة تسع .

٩ - ومن جملة المآخذ على الاستيعاب : عد الحافظ ابن عبد البر : الحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس من قتل^٤ أحد .

قلت : وقد رد الحافظ ابن حجر ذلك بالحجج ، فقال بعد أن ساق كلام ابن عبد البر ، قلت : تبح في ذلك الكلبي ، وهو وهم تعقبه بعض أهل النسب ٠٠٠٠ إلى أن قال : بأن عائشة رضي الله عنها كما في حديث صحيح أخرجه أحمد من طريق علقمة بن وقاص ، وصححه ابن حبان ، قالت : خرجت يوم الخندق فسمعت حسبا فالتفت فإذا أنا بسمد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه الحديث .^٥

قلت : ويضئ الحافظ ابن حجر في إياد حججه وأدلته على تأخر وفاة الحارث بن سويد عن أحد ، ويدولي من خلال تلك الحجج رجحان ما ذهب إليه لوجهاتها ، أغنى تلك الأدلة التي امتنع اليها .

-
- (١) انظر : التعليق على سيرة ابن هشام ١ : ٣٤١
 - (٢) تجريد أسماء الصحابة للذهبي ١ : ٨٨
 - (٣) الاستيعاب لابن عبد البر ١ : ٢٨١
 - (٤) الإصابة لابن حجر ١ : ٢٧٤

١٠ — ومن جملة المآخذ على الحافظ ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب :
ايراده ، وجملة من ليس من الصحابة صحابيا وذكرهم بينهم ،
ومن ذلك قوله في الحارث بن الأزعم بن أبي نبيصة بن عبد الله
بن مر بن مالك بن حرب بن الحارث : " مذكور في الصحابة ، توفي
في آخر خلافة معاوية " . " ١ "

وقد اكتفى الذهبي بذكر كلام ابن عبد البر السابق بدون تحليق " ٢ "
ولكن الحافظ ابن حجر قد علق على ذلك فقال : قال أبو موسى
في الذيل : ذكره ابن شاهين ، وعبدان في الصحابة ، لكن قال ابن
شاهين : هو تابعي أدرك الجاهلية .

ثم ذكر ابن حجر غير واحد من عدة من التابعين . " ٣ "

والذى يدوم من خلال كلام العلماء : أنه تابعي ، بدليل كثرة
الناقلين لذلك من أثبت ابن حجر النقل عنهم ، وبدليل أن الحافظ
ابن عبد البر أيضا لم يجزم بكونه صحابيا ، بل ذكر ذلك بصيغة
التمريض كما سبق .

١١ — ومن تلك المآخذ على الحافظ ابن عبد البر في كتبه : عدة عبد الرحمن

بن معقل صاحب الدثنية من الصحابة . " ٤ "

ولكن الحافظ ابن عبد البر قد رجع عن ذلك في موضع آخر من التمهيد
نفسه لما ذكر حديث عبد الرحمن في سوءه عن أحفاد الأرض فقال :
" وهو حديث ضعيف ، واسناده ليس بالقائم عند أهل العلم ، قال :
وهو يدور على أبي محمد رجل مجهول ، وهو حديث لا يصح عندهم ،
وعبد الرحمن بن معقل لا يعرف الا بهذا الحديث . " ٥ "

-
- (١) الاستيعاب ٢٨٢ : ١
 - (٢) تجريد أسماء الصحابة ١٠١ : ١
 - (٣) الإصابة ٣٦٩ : ١
 - (٤) انظر : التمهيد لابن عبد البر ١٦١ : ١
 - (٥) التمهيد لابن عبد البر ١٦٢ : ١

قال : ولا تصح صحبته ، وانما ذكرت هذا الحديث ، والذي قبله ليوقف عليهما ولرواية الناس لهما ، ولتبيين الملة فيهما ١٠ هـ "١" . وكما ذكره في الاستيعاب بدون تعليق عليه أهو صحابي أم لا "٢" . وقال عنه ابن حجر : " قال ابن حبان له صحبة "٣" . وأما الذهبي فقد ذكره ولكن بدون تعليق عليه بشيء "٤" .

فعلى ما تقدم يرجح كونه من التابعين ، حيث أن الحافظ ابن عبد البر قد جزم بكونه لا يعرف ، وضعف الحديث بسببه ، ومعلوم أن الصحابي لا تضر جهالة لأنهم كلهم عدول ، بل جزم بنفي الصحبة عنه كما سبق بمعدائياتها له ، فيكون كلاه السابق في اثبات الصحبة له قبل تمام المصرفة به .

١٢ — ومن ذلك أى تلك المآخذ : ذكره أزهر بن قيس من جملة الصحابة الذين رويوا عن النبي صلى الله عليه وسلم . "٥"

ويعلق ابن حجر على من جمعه من الصحابة ويوضح سبب وهمهم جميعاً فقال : " ذكره البغوي وابن شاهين وابن عبد البر وأبو موسى في الصحابة ، قال : وتبعهم ابن الأثير ، ومن بعده ، قال : وهو وهم لم ينتبه له أحد فيما علمت ، ثم قال بمعد سياقه لكلامهم : وقد تم الوهم عليهم فيه جميعاً ، وسببه أن الاسناد الذي ساقه البغوي سقط منه والد أزهر واسم الصحابي .

قال : وفقى اسم أبيه ، فتركيب هذه الترجمة من اسم أزهر ومن اسم والد أزهر ومن اسم الصحابي ولا وجود لذلك في الخارج "٦"

-
- (١) المصدر السابق ١: ١٦٢
 - (٢) الاستيعاب ٢: ٨٥٣
 - (٣) الإصابة ٢: ٤٢٢
 - (٤) تجريد أسماء الصحابة ١: ٣٨٣
 - (٥) الاستيعاب ١: ٧٤
 - (٦) الإصابة ١: ١١٩

الى أن قال : وايضاح ذلك أن حريز بن عثمان انما روى الحديث المذكور عن أزهر بن راشد ، وقيل : ابن عبد الله الهوزني عن عصمة بن قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم " ١ " .

قال : وضع بهذا أن أزهر بن قيس لا وجود له في الخارج ، قال : والمجب ان ابن عبد البر أخرج الحديث المذكور في ترجمة عصمة بن قيس على الصواب ، " ٢ " وأخرجه هنا على الوهم " ٣ " . ويظهر من النقل التي أثبتها الحافظ ابن حجر رجحان ما ذهب اليه بلا نزاع وأن أزهر لم يكن من الصحابة .

١٣ — وما أخذ على الحافظ ابن عبد البر قوله على جبير بن الحويرث : " في صحبته نظر " . " ٤ " .

ويعلق ابن حجر عليه مينا حالة هذا الرجل وقد ذكره في القسم الأول من كتابه الاصابة ايذانا بصحبته قائلا : " قتل أبوه يوم الفتح ، ثم قال : قال : ابن سعد : أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورآه ، ولم يرو عنه ، وروى عن أبي بكر وغيره " ثم ذكر الحافظ ابن حجر : حضوره ليوم اليرموك ، " ٥ " .

وقال ابن حجر : " ومن يكن يوم اليرموك رجلا يكون يوم الفتح ميوا فلا مانع من عده في الصحابة " " ٦ " .

(١) الاصابة لابن حجر ١ : ١١٩

(٢) الاستيعاب ٣ : ١٠٦٩

(٣) الاصابة لابن حجر ١ : ١١٩

(٤) الاستيعاب ١ : ٢٣٤

(٥) اليرموك : واد في الجنوب الشرقي من الشام كانت فيه معركة بين المسلمين والروم في خلافة أبي بكر الصديق سنة ١٣ ، اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء لـ محمد الخضرى بك ٥٨ ، وانظر : الاستيعاب لابن عبد البر ١ : ٦٤ قال : وكانت يوم الاثنين لخمس مئتين من رجب سنة ١٥ " .

(٦) الاصابة ١ : ٢٢٥

قلت : و يترجح كلام الحافظ ابن حجر ، وخاصة عندما نرجع الى المدة بين فتح مكة وبين غزوة اليرموك ، فنجد أن مقدارها خمس سنوات لأن تلك المدة تؤهل له لأن يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة قد صرح هو بنفسه أنه كان حاضرا اليرموك ويسمع أصوات الحديد فيه ، ولا يحضر الحرب غالبا الا من بلغ أوقار سنن الرشد من الرجال ، وقد أثبت له الذهبي : الرواية " ١٠ " .

هذا ولقد جزم ابن حجر أيضا في كتابه تمجيل المنفعة : بأنه صاحب " ٢ " .

فيكون تردد الحافظ ابن عبد البر في الجزم بصحته لعدم معرفته به معرفة تامة ، ولذلك استعمل كلمة فيه نظر الدالة على الشك فيه

١٤ — ومن تلك المآخذ المتوجهة الى الحافظ ابن عبد البر : قولمان جزى بن معاوية عم الأحنف بن قيس لا تصح له صحة " ٣ " .

وقد تبع الذهبي الحافظ ابن عبد البر فيما قاله عن هذا الرجل " ٤ " . وأما الحافظ ابن حجر فانه قد ذكره ونسبه الى أن قال بعد كلام ابن عبد البر عنه وهو أنه كان عاملا لمصر بن الخطاب رضى الله عنه على الأهواز — قلت : وقد تقدم غير مرة أنهم كانوا لا يؤثرون في ذلك الزمان الا الصحابة " ٥ " .

ويدولى أن الراجح هو ما ذهب اليه ابن عبد البر لأن ما احتج به الحافظ ابن حجر ليس بحجة قوية بدليل أن على بن أبى طالب رضى الله عنه كان قاضيه شريحا التابعى ، ولا فرق في المعنى بين القضاء وولاية تلك الجهات في زمنهم ، فلا مانع اذا من أن يوليه

(١) تجريد أسماء الصحابة ١ : ٨٣

(٢) تمجيل المنفعة ٤٨

(٣) الاستيعاب ١ : ٢٧٤

(٤) تجريد أسماء الصحابة ١ : ٨٩

(٥) الاصابة لابن حجر ١ : ٢٣٤

عمر الأهواز اذا وجد فيه الأهلية لذلك وهو تابعي .

١٥ — ومن جملة من نقّش الحافظ في حكمه عليهم في كتابه الاستيعاب : عمارة بن شبيب السبائي حيث قال عنه : مذكور في الصحابة " ١ "

والرجوع الى الاصابة نجد الحافظ ابن حجر يقول عنه : هو بفتح المعجمة وموحدتين السبائي بفتح المهملة والموحدة وهمزة مقصورة ، ويقال له : عمار ، يقال له صحبة ، وقال : قال : ابن حبان فسي ثقاته : من زعم أن له صحبة فقد وهم " ٢ "

ويقول الحافظ عنه في مكان آخر : " مختلف في صحبته ، قال : وقال ابن السكن : له صحبة ، كما ذكر عن الترمذي أنه قال : لا نعرف له سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم ، ويضى الحافظ ابن حجر في الاصابة يورد الحجج والأقوال من كل أحد عن هذا الرجل فيذكر أن البخاري قد ذكره في الصحابة " ٣ "

قلت : ويظهر لي ألا مؤاخذه على الحافظ ابن عبد البر ههنا لأنه لم يجزم بكونه صحابيا ، بل حكى نسبه الى الصحبة بصيغة التمرسّض ، ولعل ذلك كان منه لكثرة الخلاف في صحبته بين العلماء ، ولا يمكن ترجيح شيء إلا بدليل واضح لا غموض فيه .

١٦ — ومن جملة من نقّش عليهم الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب : أمية جد عمرو بن عثمان الثقفي حيث ذكر روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم ، " ٤ " ولكن ابن حجر هنا بعد إيراد السلام ابن عبد البر السابق يقول : " وهو وهم فقد روى الترمذي الحديث

(١) الاستيعاب ٣ : ١١٤٣

(٢) راجع تقريب التهذيب لابن حجر ٢ : ٥٠

(٣) الاصابة لابن حجر ٢ : ٥١٥

(٤) الاستيعاب ١ : ١٠٦ — ١٠٧

المذكور .^١ من طريق كثير بن زياد عن عمرو بن عثمان^٢ بن يعلى بن مرة عن أبيه عن جده الحديث الى أن قال ابن حجر وصحابه يعلى بن مرة لا أمية ، قال : غير أن الطبراني رواه في معجمه فقال عن عمرو بن عثمان بن يعلى بن أمية عن أبيه عن جده ، فقال : وهو وهم في ذكر أمية ، بل الصواب مرة .^٣

وقد وافق الذهبي ابن حجر في جملة الحديث ليعلى بن مرة^٤ ويدولى أن الراجع ما ذهبوا اليه ، بدليل أن الحافظ ابن عبد البر لم يجزم بصحته مع أنه واهم في ذلك حيث أن الصحيح هو أن جد عمر أو عمرو : هو مرة لا أمية .

قلت : وغير ذلك من تلك المآخذ التي أشار إليها ابن حجر وغيره والتي لا يمكن حصرها في مثل هذه المجالة ، والتي أيضا لا يمكن أن يصح اعتبارها مأخذ على الحافظ ، بل يجاب عن الكثير منها كما سبق في هذه الأمثلة السابقة للمآخذ عليه ، فلذا اكتفى بها كنموذج لتلك التعميمات .

(١) تحفة الأخوذى ٢ : ٤٥٨ ، والحديث هو ما رواه الترمذى قال : حدثنا يحيى بن موسى أخبرنا شعبة بن سوار أخبرنا عمرو بن الرماح عن كثير بن زياد عن عمرو بن عثمان بن يعلى بن مرة عن أبيه عن جده أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ، فانتبهوا الى مضيق فحضرت الصلاة فمطروا ، السماء من فوقهم ، والبلية من أسفل منهم فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على راحلته وأقام فتقدم على راحلته فصلى بهم يومئذ ، أيما يجعل السجود أخفض من الركوع .

(٢) في الترمذى عمرو بن مرة ٢ : ٤٥٨ من تحفة الأخوذى

(٣) الاصابة لابن حجر ١ : ١٣١

(٤) تجريد أسماء الصحابة للذهبي ١ : ٣٠

المبحث الثامن عشر

ذريته

لقد بحثت عن ذرية الحافظ ابن عبد البر في المراجع المعتبرة ،
التي تحدثت عنه بالتفصيل ، فلم أجد بأحد نسب إليه شيئاً من الذرية الا ابناً
واحداً بنتاً واحدة ولم يصرحوا باسمها ولا بميلادها ، وانما ذكروا ابنها
فعلمناها من خلا له ، فلذلك الواجب أن أبدأ بابنه من الصلب ، ثم بسبطه
المشار إليه .

فابنه : هو : عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر
النمرى ، ^١ روى عن أبيه وعن أبي سعيد الجعفي وأبي العباس المهدوي ،
وغيرهم . ^٢

ثناء العلماء عليه :

قال الضبي : " أبو محمد من أهل الأدب البارع والبلاغة الدائمة ،
والتقدم في العلم ، والذكاء . قال : وقد دون الناس رسائله أنشدت له :

لا تكثرن تأملاً واحبس * عليك عنان طرفك
فلربما أرسلته فرماك * في ميدان حثفك " ^٣

وقال عنه ابن سعيد ناقلاً عن القلاوذي : بحر البيان الزاخر ، وفخر
الأوائل والأواخر ، ومن شعره قوله ٠٠٠٠ وذكر بيتيه السابق الذكر ، وأبيات

-
- (١) الصلة لابن بشكوال ١ : ٢٧٠ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٦ : ٦٩
منخبة الملتبس للضبي ٣٤١ ، والمغرب في حلى المغرب ٢ : ٤٠٢ —
٤٠٣ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣١٦
(٢) الصلة لابن بشكوال ١ : ٢٧٠
(٣) منخبة الملتبس ٣٤١ ، وجذوة المقتبس ٢٤٩ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٦٩ ،
ونفع الطيب للمقرئ ٥ : ٢٤٦ ، وقال : وأمسك . بدل : واحبس —
وشذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣١٦

له في رجل مات مجزوما ، "١"

وقال عنه ابن الأبار في أختاب الكتاب ، بعد أن ساق أنه كان مع المعتضد عباد بن محمد الأمير باشييلية بالأندلس وكان كاتبه ، فحصل بينهم بعض ما يحصل بين الناس ، فهم به المعتضد ليقتله ، ثم دخل عليه أبو عمر والده فشفعه فيه المعتضد . "٢"

يقول عنه بعد ذلك ناقلا عن ابن بسام : " لما شأى أبو محمد بالأندلس الحلبة "٣" وتبجح صدر الرتبة ، تهادته الأفاق ، وامتدت إليه الأغناق ، فغازبه قدح عباد ، بمد طول خصام ، والتفاف زحام "٤"

قلت : ويضئ ابن الأبار في ذكر ما وقع بينه وبين عباد وكيف تخلص منه الى أن قال : " وجعل أبو محمد بعد ذلك — أى بعد نجاته من عباد — ينتقل في الدول كالبدور يترك منزلا عن منزل ، وقد جمع التالد الى الطارف وكتب عن أكثر ملوك الطوائف "٥"

الى غير ذلك من المدح الذي أضافه على أبي محمد عبدالله بن يوسف بن عبدالبر ، فقد أكثر العلماء من مدحه ، ولكن أكتفى بهذه الإشارة حيث أن القصد التعريف به ولو بطريقة مختصرة ، هذا ولم أقف على ميلاده عند من بحثوا عن ترجمته .

وفاته :

قال ابن بشكوال : " مات بعد الخمسين وأربعمائة ، ثم قال بعد

(١) المغرب في حلى المغرب ٢ : ٤٠٣

(٢) أختاب الكتاب ٢٢٠

(٣) شأى الحلبة : سبق الخيل المجموعة للسباق

(٤) أختاب الكتاب ٢٢١

(٥) نفس المصدر السابق ٢٢٢ ، وانظر : الحلل السندسية لشكيب أرسلان

ذلك ، قال لى بعض أصحابنا : توفى سنة ٤٥٨ هـ "١"

وأما سبطه :

فهو : أبو محمد عبدالله بن على بن احمد اللخمي ، كان من الفقهاء الذين جمعوا بين معرفة الفقه والحديث ، فكان محدثا وفقهيا في آن واحد . وقد روى عنه من التلاميذ محمد بن عبدالرحيم وغيره . "٢"
وكانت وفاته في سنة ٥٣٢ هـ .

المبحث التاسع عشر

وفاته

تكاد المصادر الأندلسية ، وغيرها أن تجمع على أن الحافظ ابن عبدالبر قد توفى سنة ٤٦٣ هـ ، إلا من شذ عن ذلك لأسباب قد سبق ايضاحها في مبحث ميلاده .

يقول ابن خلكان : وتوفى الحافظ أبو عمر المذكور في آخر يوم من شهر ربيع الآخر سنة ٤٦٣ هـ بمدينة شاطبة من شرق الأندلس قال : وقد تقدم في ترجمة الخطيب أبي بكر احمد بن على بن ثابت البغدادي الحافظ أنه كان حافظ المشرق ، وابن عبدالبر حافظ المغرب ، وماتا في سنة واحدة وهما امامان في هذا الفن . "٣"

-
- (١) الصلة لابن بشكوال ١ : ٢٢٠ ، وراجع شذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣١٦ ، وخفية الملتص للضبي ٣٤١ وقال : " مات قبل أبيه بعد ٤٥٠ بدانية . ووفيات الأعيان ٦ : ٦٩ وقال : قيل : أنه مات سنة ٤٨٠ هـ ، ولكن هذا لا يتفق مع كونه مات قبل أبيه .
- (٢) خفية الملتص للضبي ٣٣٦ ، ومدرسة الحديث بالأندلس لصالح رضا ٢٣٤
- (٣) وفيات الأعيان لابن خلكان ٦ : ٦٩ ، والديباج لابن فرحون ٣٥٨ هـ والرسالة المستطرفة للكتاني ١٤ و ٤٥ — ٤٦

وقال ابن بشكوال : جلى عن وطنه ومنشئه قرطبة فكان فى الفسرب مدة ثم تحول الى شرق الأندلس ، وسكن منه دانيه ولنسية وشاطية . وسها توفي رحمه الله فى ربيع الآخر ودفن يوم الجمعة لصلاة المصر من سنة ٤٦٣ صلى عليه صاحبنا أبو الحسن طاهر بن مغز المافرى " ١ " .

وقال الذهبى : مات أبو عمر ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة ٤٦٣ قال : واستكمل خمسا وتسعين سنة وخمسة أيام " ٢ " .

ومن هنا ندرك أن وفاة الحافظ لا محالة كانت فى سنة ٤٦٣ وأن ما قيل من أن وفاته كانت سنة ٤٦٠ غير صحيح وهو ما ذهب اليه الحميدى " ٣ " وتابعه على ذلك الضبى صاحب البغية " ٤ " وقد كان هذا الخطأ من الحميدى فى تحديد وفاة شيخه بسبب قد سبق أن أوضحته فى باب ميلاد الحافظ ابن عبد البر حيث كان الحميدى أيضا قد خالف الجمهور فى ذلك هنالك .

وأحسن ما يقال فى ذلك أن الحميدى قد كتب جذوة المقتبس له فى المراق بميدا عن مصادر الأندلسيين فأرقعه ذلك فى كثير من السهو والغلط ، وأكبر شاهد فى هذا الكلام أنه قال عن الحافظ ابن عبد البر هنا ما نصه : " وقد لقيناه ، وكتب لنا بخطه فى فهرسة مسموعاته ، مجيزا لنا بجميع ذلك كله وتركته حيا وقت خروجى من الأندلس سنة ٤٤٨ قال : ثم بلفنسى وفاته وأخبرنى أبو الحسن على بن احمد العابدى أنه مات سنة ٤٦٠ بشاطية من الأندلس " ٥ " .

(١) الصلة لابن بشكوال ٢ : ٦٤٢ ، والاشارات الى بيان اسماء البيهات للنووى ٣٢ : ١ و مرآة الجنان لليافعى ٨٩ : ٣ ، واللباب لابن الأثير ٢ : ٢٥٣

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ١١٣٠ ، وترتيب المدارك للقاضى عياض ٣ و ٤ : ٨١٠ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣١٤

(٣) جذوة المقتبس للحميدى ٣٤٦

(٤) بغية الملتبس للضبى ٤٧٦

(٥) جذوة المقتبس للحميدى ٣٤٦

فعلی ما تقدم يتضح رجحان وفاة الحافظ في سنة ٤٦٣ كما
أن ما قاله الحميدى ولو كان من أكبر تلاميذ ابن عبد البر مرجح وذلك
للاسباب السابقة الذكر .

آخر الباب الأول من هذه الرسالة ، فالى الباب الثانى
منها .

الباب الثاني

ابن عبد البر

محدثا واحدا

عن كل ما يتعلق بالحديث

وهذا الباب الثاني سيشمل بموج الله الفصول الرئيسية التالية :

الفصل الأول :

ابن عبد البر وعلم الحديث (المصطلح)

الفصل الثاني :

ابن عبد البر وعلم تاريخ رجال الحديث وما يتعلق به

الفصل الثالث :

ابن عبد البر ونماذج من فقهه في الحديث

الفصل الرابع :

بيان لكثير من آرائه ، واختياراته في فن الحديث وما يتعلق به

الفصل الأول

ابن عبد البر وعلوم الحديث

وهذا الفصل قد اشتمل على نماذج من الأبحاث التي تطرق لها
الحافظ ابن عبد البر في مصطلح الحديث ، وأجرا بعض المقارنات الخاطفة
بين آرائه وآراء غيره من أهل المصطلح ، وتلك الأبحاث هي :

- | | |
|------------|---|
| الأول | : : المرسل |
| الثاني | : : المنقطع |
| الثالث | : : التدليس |
| الرابع | : : المرفوع |
| الخامس | : : الموقف |
| السادس | : : المتصل |
| السابع | : : المسند |
| الثامن | : : الممنوع |
| التاسع | : : المؤنن |
| العاشر | : : العرض على الشيخ والفرق بين حدثنا وأخبرنا وماذا
يقال في المرض |
| الحادي عشر | : : المناولة |
| الثاني عشر | : : الاجازة |
| الثالث عشر | : : رواية الحديث بالمعنى |
| الرابع عشر | : : رأيه في كتابة الحديث منما وبإباحة |
| الخامس عشر | : : حكم زيادة الثقة |
| السادس عشر | : : حكم خبر الواحد عنده |
| السابع عشر | : : كلامه في التحسين وجمعه بين الصحة والتحسين
أحيانا كالترمذي في ذلك |
| الثامن عشر | : : يطلق الحسن ويريد به حسن المعنى لا الحسن
المصطلح عليه |
| التاسع عشر | : : رأيه في الأحاديث التي ترد موقوفة وهي لا تدرك بالرأى |

المشرون : التمديل في رايه :

أ - الصحابة كلهم عدول

ب - رايه في تعديل من عدا الصحابة من العلماء

ج - بيان الحديث الذي استدل به الحافظ

على عدالة الرواة ، والكلام عليه .

لا شك أن الحافظ ابن عبد البر قد أسهم اسهاما كبيرا في التمرير
بقواعد المصطلح ، وفي البحث عنها ، فلم يخل كتاب من كتبه تقريرا من الكلام
على مصطلح الحديث ، ولا تكاد تجد كتابا من الكتب المؤلفة في مصطلح
الحديث بعد الحافظ يخلو من النقل عنه ، ومن الاشارة به ،^١ فلذا
رايت أن اخصر لكلامه على هذا الباب فصلا من رسالتي لكي يظهر مقدار ما
أسداه الحافظ الى علوم الحديث من الخدمة المشكورة ، وما أبداه من الآراء فسي
ذلك ، والآراء التي صارت مسار أخذ ورد بين العلماء بعده . رحمه الله .

البحث الأول

المرسل عنه

يقول : " فان هذا الاسم أرقموه باجماع على حديث التابعي الكبير
عن النبي صلى الله عليه وسلم " ^٢ ويستطرد في ذكر بقية الأقوال التي
تعتبر كل التابعين سواء في ذلك ، ويضرب لذلك أمثلة الى أن قال : فهذا
هو المرسل عند أهل العلم . " ^٣ وقد اختصر الحافظ في تعريفه للمرسل

(١) ارجع مثلا الى : تدريب الراوي للسيوطي ١ : ١٩٨ ، وفتح المغيـث
للسخاوي ١ : ١٣٣ - ١٣٤ و ١ : ١٥٦ ، و ١ : ١٣٦ ، ومقدمة ابن
الصلاح مع التقييد والايضاح ٧٦ ، والمقدمة لابن الصلاح أيضا
٥٦ وشرح نخبة الفكر لابن حجر ٣٠ وفتح المغيـث
للمعراقي ١ : ٥٧ و ١ : ٧٨ و ١ : ٦٦ ، والباعث الحثيث لابن كثير
٤٤ و ٤٥

(٢) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ١٩

(٣) نفس المصدر السابق ٢١

على تعريف المحدثين له الذين يخصونه بمرسل التابعي^١ بينما يذهب الخطيب البغدادي والنووي الى غير هذا المذهب فيجعلان اسم المرسل يشمل كل منقطع على طريقة الفقهاء^٢.

وهناك كثير من العلماء اختصروا في تعريفهم للمرسل على مجرد ذكر الأقوال التي قيلت في ذلك بدون أن يصرحوا بأرائهم^٣.

الاحتجاج بالمرسل :

لم يصرح الحافظ هنا بمذهبه تصريحاً قاطعاً بل ذكر مذاهب العلماء وفصل في مذهب المالكية فذكر أن المرسل عندهم مثل المسند في الاحتجاج به بشرط أن يكون عن ثقة^٤. هذا هو رأي جمهور المالكية حسب اعتقاده هو ، ثم ذكر طوائف منهم ، تذهب كل منها الى رأي آخر من ذلك أنه ذكر عن بعضهم أنهم يرون المرسل أولى من المسند قال : واعتلوا بأن من أسند لك فقد أحالك ومن أرسل فقد كفاك^٥. كما ذكر عن بعضهم أن المسند الذي اتفق عليه الجميع أولى من المرسل ، إلا أن المرسل أيضاً يجب به العمل^٦.

هذا ملخص تلك الأقوال التي أوردها الحافظ عن المالكية ، ثم ذكر مذهب الأحناف وأنهم لا يرون المرسل إلا بما يردون به المسند^٧.

ومع أن ذكر الحافظ تلك الأقوال للمالكية وغيرهم صرح بمذهبه الجمهور الذين يميل الى قولهم دائماً في الترجيع فقال :

(١) انظر في تعريف المرسل في كتابي "شرح نخبه الفكر لابن حجر ١٧" و"الكفاية للخطيب البغدادي ٤٧" والمجموع شرح المذهب للنووي ١ : ٦٩

(١) أرجع مثلاً : الى شرح نخبة الفكر لابن حجر ١٧

(٢) راجع مثلاً : الكفاية للخطيب البغدادي ٤٧ ، والمجموع شرح المذهب للنووي ١ : ٦٩

(٣) راجع مثلاً : السخاوي في شرح الفية المراقى ١ : ١٢٨-١٢٩ ، ومقدمة ابن الصلاح ٤٧-٤٩

(٤) مقدمة التمهيد ٢ (٥) نفس المصدر السابق ٣

(٦) نفس المصدر ٥ (٧) نفس المصدر ٥

"وقالت : سائر أهل الفقه ، وجماعة أصحاب الحديث في كل الأمصار فيما علمت : الانقطاع في الأثر علة تمنع من وجوب العمل ، وسواء عارضه خبر متصل أم لا . " ١ "

وهذا هو الذي يدوأن الحافظ ابن عبد البر يختاره " ٢ " وهو قول جماهير العلماء أهل الحديث وغيرهم " ٣ " ، وقال البخاري بعد أن حكى جميع الأقوال في الاحتجاج بالمرسل وعده قال ما نصه : " والجملـة فالمشهور من أهل الحديث خاصة القول بعدم صحته ، بل هو قول جمهور الشافعية ، واختاره إسماعيل القاضي وابن عبد البر وغيرهما من المالكية والقاضي أبي بكر الباقلاني ، وجماعة كثيرين من أئمة الأصول . " ٤ "

فعلى ما تقدم نجد أكثر العلماء مع الحافظ ابن عبد البر على ما قرره في تعريف المرسل ، والاحتجاج به ، إلا ما كان من تعريف الخطيب ومن وافقه ، فانهم وسعوا مجاله حتى شمل كل منقطع كما تقدم .

(١) مقدمة التمهيد لابن عبد البر .

(٢) مقدمة التمهيد ١٦

(٣) مقدمة صحيح مسلم ١ : ١٣٢ ، وقال النووي : هو المعروف من مذاهب المحدثين وهو قول الشافعي وجماعة من المحدثين ، شرح النووي على مسلم ١ : ١٣٢ ، وشرح نخبة الفكر لابن حجر — ١٧ ، وتقريب النووي وتدريب الراوي ١ : ١٩٨ ، ومقدمة ابن الصلاح مع شرحه التقييد والايضاح للمصراقي ٧٣ قال : وما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه ، هو الذي استقر عليه آراء جماهير حفاظ الحديث ونقاد الأثر ، وقد تداولوه في تصانيفهم ٠٠٠ وفتح المفيت للمصراقي ١ : ٦٩ ، وفتح المفيت للسخاوي ١ : ١٣٣

(٤) فتح المفيت للسخاوي ١ : ١٣٦

المبحث الثاني

المنقطع

قال أبو عمر ابن عبد البر في تعريفه : المنقطع عندى كل ما لا يتصل سواء كان يعزى الى النبي صلى الله عليه وسلم ، أو الى غيره " ١ " ثم ضرب لذلك أمثلة تدل على أنه لا يتقيد بتعريف العلماء المتأخرين الذين يخصون المنقطع بما انقطع منه واحد أو أكثر بشرط عدم التوالى ، فهو قد عرفه بما يشمل : المعلق والممض والمرسل ، وكل انقطاع فى السند ، والرجوع الى أقوال العلماء الآخرين يتضح من يوافق ابن عبد البر ومن يخالفه فى هذا التعريف .

قال الحاكم : النوع التاسع من هذا العلم معرفة المنقطع من الحديث قال : وهو غير المرسل ، وقل ما يوجد فى الحفاظ من يميز بينهما ، ثم مثل له بثلاثة أمثلة توافق تعريف الجمهور له . " ٢ "

وقال ابن حجر معرفا الانقطاع بغير تعريف الحافظ ابن عبد البر : " فان كان السقط باثنين غير متوالين فى موضعين مثلا فهو المنقطع وكذا ان سقط واحد فقط أو أكثر من اثنين لكنه بشرط عدم التوالى " " ٣ "

وأما ابن الصلاح فقد ذكر المذاهب فى تعريفه ، وكاد أن يميل الى القسم الرابع من تلك الأقسام التى ذكرها ، وهو أن المنقطع : مثل المرسل وكلاهما يشملان كل ما لا يتصل قال : وهذا المذهب أقرب صار اليه طوائف من الفقهاء وغيرهم . وهو الذى ذكره الحافظ أبو بكر الخطيب ، قال إلا أن أكثر ما يوصف بالارسل من حيث الاستعمال ما رواه التابعى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأكثر ما يوصف بالانقطاع ما رواه من دون التابعين عن الصحابة مثل مالك عن ابن عمر ونحو ذلك " ٤ " .

-
- (١) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ٢١ — ٢٣
 - (٢) علوم الحديث للحاكم ٢٧ — ٢٨
 - (٣) شرح نخبة الفكر ١٨
 - (٤) مقدمة ابن الصلاح مع التقييد والايضاح ٨٠

وقال ابن الصلاح أيضا في ضمن حكايته لتلك الأقوال وذكر أن منها :
أن المنقطع ما روى عن التابعي أو من دونه موقوفا عليه من قوله وفعله ، قال
ابن الصلاح : " وهذا بعيد والله أعلم " .^١

وقد تكلم السخاوي على المنقطع وقرر أقوال أهل المصطلح فيه وذكر
أن مذهب البرديجي السابق ، قريب من مذهب ابن عبد البر في المنقطع .^٢

وقال النووي : الصحيح الذي ذهب إليه الفقهاء والخطيب وابن
عبد البر وغيرهم من المحدثين أن المنقطع ما لم يتصل أسناده على أي وجه
كان انقطاعه ، " .^٣

قلت : ما قاله النووي من نسبة هذا القول إلى المحدثين ليس بسديد ،
بل الجمهور وعامة العلماء على ما سبق أن قررناه ، وهو ما قاله ابن حجر —
والسيوطي والمراقبي وغيرهم من أهل هذا الفن وذلك يكون ما حكاه كلا من
ابن عبد البر والخطيب والبرديجي غير مذهب الجمهور .^٤ المختار الذي
استقر عليه التعريف أخيرا .

المبحث الثالث

التدليس

يقول الحافظ ابن عبد البر في تعريف التدليس : " فهو أن يحدث
الرجل عن الرجل قد لقيه ، وأدرك زمانه ، وأخذ عنه وسمع منه ، وحديث عنه
بما لم يسمع منه ، وإنما سمعه من غيره عنه ممن ترضى حاله أولا ترضى على أن
الأغلب في ذلك أن لو كانت حاله مرضية لذكره ، وقد يكون لأنه استصغره ،
قال : هذا هو التدليس عند جماعتهم ، لا اختلاف بينهم في ذلك " .^٥

(١) مقدمة ابن الصلاح مع التقييد والايضاح ٨١ وهذا القول المشار إليه :
هو لأبي بكر أحمد بن هارون البرديجي المتوفى سنة ٣٠١ هـ انظر فتح
المفhit للسخاوي ١ : ١٥٩

(٢) فتح المفhit للسخاوي ١ : ١٥٠ (٣) تقريب النواوي مع شرحها تدريب
الراوي ١ : ٢٠٧ (٤) ارجع مثلا إلى : تدريب الراوي للسيوطي

١ : ٢٠٨ وفتح المفhit للمراقبي شرح الفته ١ : ٧٥ والباعث الحثيث
لابن كثير ٥٠ — ٥١ (٥) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ١ : ١٧ و ٢٧

وزيد الحافظ ابن عبد البر في ايضاح رأيه في التدليس فيقول :
 " والامثل في هذا الباب : اعتبار حال المحدث ، فان كان لا يأخذ
 الا عن ثقة وهو في نفسه ثقة ، وجب قبول حديثه مرسله وسنده
 قال : وكذلك من عرف بالتدليس المجتمع عليه ، وكان من السامعين في
 الاخذ عن كل أحد لم يحتج بشئ ، ما رواه ، حتى يقول : أخبرنا ،
 وسمعت ، هذا اذا كان عدلا ثقة في نفسه ، وان كان ممن لا يروى الا عن
 ثقة ، استغنى عن توقيفه ، ولم يسأل عن تدليسه . " ^١ الى غير ذلك من
 كلام ابن عبد البر عن التدليس وأقوال أهل المصطلح فيه ان أنه قد أطلال
 في ذكر كلامهم وكرر الكلام كثيرا في هذا الباب .

ولا يخفى هنا أنه قد مشى في تعريف التدليس على ما هو المختار
 عند العلماء ، يقول الخطيب في تعريفه للتدليس في ضمن تقسيمات ذكرها :
 الضرب الأول : تدليس الحديث الذي لم يسمعه الراوى من دلسه
 عنه بروايته اياه على وجه يوهم أنه سمعه منه ويعدل عن البيان لذلك . " ^٢

ولا يخفى هنا موافقة الخطيب لابن عبد البر في التعريف السابق
 للتدليس ، وكذلك ابن الصلاح على نفس التعريف . " ^٣ ثم ذكر ابن الصلاح
 التفصيل الذي أشار اليه ابن عبد البر في قبول قول المدلس اذا كان ثقة
 ولا يروى الا عن الثقات ، قال : " وما رواه بلفظ مبين الاتصال نحو حدثنا
 وأخبرنا وأشهاها فهو مقبول محتج به ، قال : وفي الصحيحين وغيرهما من
 الكتب المعتبرة من هذا الضرب كثير جدا . " ^٤

(١) نفس المصدر السابق ١٧ : ١ و ٢٨ : ١ ، فقد قال في هذا الموضع :
 بأن العلماء ذموا التدليس اذا كان عن غير ثقة ، واذا كان عن لم
 يسمع منه ، وخصصوا فيما عدا ذلك كما تقدم عنه ، والجواب : أن التدليس
 ممنوع الا أن يكون شيئا يسيرا صدر عن ثقة لا يروى الا عن الثقات —
 فهذا يحتمل عندهم .

(٢) الكفاية للخطيب البغدادي ٥٠٨

(٣) مقدمة لابن الصلاح ٦٦

(٤) نفس المصدر السابق ٦٧

وقد أورد الحاكم كثيرا من الأقسام للتدليس وضرب لكل قسم أمثلة وتكاد تلك الأقسام أن ترجع الى شئ واحد هو ما سبق أن قرره ابن عبد البر وغيره ممن ذكرت كلامهم في تعريف التدليس^١.

وفي تدريب الراوى أن أبا بكر البزار قال : من كان يدلمر عن الثقات كان تدليسه عند أهل العلم مقبولا ،^٢ وهذا الذى ذكره البزار هو اختيار ابن عبد البر كما سبق ، ولقد قسم ابن حجر المدلسين الى أقسام عدة ، من ناحية الاحتجاج بما روه ، ولخص ذلك فى رسالة مفيدة له هى : طبقات المدلسين^٣.

وهى جديرة بالمراجعة ، مع صفر حجمها .

المبحث الرابع

المرفوع

لم يخصص له الحافظ ابن عبد البر بابا معينا ، بل تكلم عليه فى نهاية تعريفه للموقوف فقال : " والانتطاع يدخل المرفوع وغير المرفوع ، ثم ذكر تعريف المشهور للمرفوع عند العلماء " . ثم قال : وقال آخرون : المرفوع والمسند سواهما شئ واحد ، والانتطاع يدخل عليهما جميعا والاتصال " ٤ "

وهذا التعريف الذى ذكره عن البعض هو الذى يختاره ويميل اليه وهو كما لا يخفى غير تعريف الجمهور للمرفوع .

-
- (١) ارجع مثلا الى : معرفة علوم الحديث للحاكم ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٧
 - (٢) تدريب الراوى للسيوطى ٢٢٩ : ١
 - (٣) طبقات المدلسين لابن حجر ٢ و ٤ و ٨ و ١٣ - ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢
 - (٤) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ٢٥ : ١

قال الخطيب مقررًا تعريف الجمهور للمرفوع : " هو : ما أخبر فيه الصحابي عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم أو فعله " .^١

وقال الحافظ ابن حجر : " فالقسم الأول مما تقدم ذكره من الأقسام الثلاثة ، وهو ما تنتهي إليه غاية الاسناد : هو المرفوع سواء كان ذلك الانتهاً باسناد متصل أم لا " .^٢

وبالرجوع الى التعريف الذى سجله العلماء للمرفوع أمثال النووي وابن حجر وابن الصلاح والسيوطى والعراقى وغيرهم يعلم أن ما قاله ابن عبد البر لم يكن بالتعريف الذى استقر عليه الأمر أخيراً .

المبحث الخامس

الموقوف

وقال الحافظ معرّفًا بالموقوف هو : " ما وقف على صاحب ، ولم يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم ضرب أمثلة توضح ذلك كمادته " .^٣

ومنا والحق يقال : أن الحافظ قد عرف الموقوف بالتعريف المشهور عند العلماء ، يقول الحاكم أبو عبد الله : فأما الموقوف على الصحابة فإنه قل ما يخفى على أهل العلم ، قال : وشرحه : أن يروى الحديث عن الصحابى من غير ارسال ولا افعال فاذا بلغ الصحابى قال : انه كان يقول : كذا وكذا^٤

- (١) الكفاية للخطيب البغدادي ٥٨
- (٢) شرح نخبة الفكر لابن حجر ٣٠ ، وراجع أيضا : فتح المغيـث شرح الألفية كلاهما للعراقي ٥٦:١ ومقدمة ابن الصلاح ٤١ ، ومقدمة شرح مسلم للنووي ٢٩:١ ، وفتح المغيـث للسخاوي ٩٨:١ ، وانظر : تقريب النواوي وشرحه تدريب الراوي للسيوطي ١٨٣:١ - ١٨٤ ، والمنهج الحديث في علوم الحديث قسم مصطلح الحديث للدكتور محمد محمد السماحي ٨ - ٩
- (٣) الاستذكار لابن عبد البر ١٦٥:٢ ، ومقدمة التمهيد له أيضا ٢٥:١
- (٤) معرفة علوم الحديث للحاكم ١٩ - ٢١

ويقول ابن حجر : الموقوف هو : ما انتهى الى الصحابي . " ١ "

هذا وقد تواردت أقوال العلماء في تعريفه بمثل ما عرفه به الحافظ
ابن عبد البر فلذلك لا حاجة الى ذكر تلك الأقوال . " ٢ "

المبحث السادس

المتصل

ويقول الحافظ ابن عبد البر في تعريفه للمتصل : " وأما المتصل جملة
فمثل مالك عن نافع ، ثم يستطرد في ذكر الأمثلة المختلفة في ذلك
فيقول : مرفوعا أو موقوفا ، ثم قال : " وإنما سمي متصلا لأن بعضهم صحت
مجالسته ولقاؤه لمن بعده في الاسناد ، وصح سماعه منه . " ٣ "

قلت : لقد اتضح أن مذهب الحافظ في التعريف بالمتصل هو : أنه
ما كان متصلا الى منتهاه أيا كان منتهاه سواء كان الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم أو الى الصحابي أو التابعي ، بشرط سماع بعضهم من بعض واتصال
ذلك السند بدون انقطاع .

وهذا هو التعريف الذي استقر عليه الأمر ، ورضيه الجميع . يقول
النووي : " المتصل ويسمى الموصول : وهو ما اتصل اسناده مرفوعا كان ،

(١) شرح نخبة الفكر لابن حجر ٣٠ ، وراجع : جامع الأصول مسن
أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لابن الأثير ١ : ٦٥

(٢) انظر مثلا : فتح المغيث للعراقي ١ : ٥٨ ، وقال : وان استعملت
الموقوف فيما جاء عن التابعين فمن بعدهم فقيده بهم فقل : موقوف
على عطاء أو علي بن طاوس الخ فتح المغيث ١ : ٥٩ وارجع أيضا الى
مقدمة ابن الصلاح ٤١ - ٤٢ والكفاية للخطيب البغدادي ٥٨ ،
وتقريب النواوي مع شرحه تدريب الراوي ١ : ١٨٤ - ١٨٥ ، ومقدمة
شرح مسلم للنووي ١ : ٢٩ و ٣٠ والمنهج الحديث في علوم الحديث
قسم المصطلح للدكتور محمد محمد السماحي ٩

(٣) انظر الى : مقدمة التمهيد للحافظ ابن عبد البر ١ : ٢٣ و ٢٤

أو موقوفاً "على من كان" ^١ ويقول العراقي بعد حكايته لتعريف الجمهور السابق عن ابن عبد البربان : أقوال التابعين لم ير العلماء إطلاق المتصل عليها ، ثم قال في الشرح : وإنما يمتنع اسم المتصل في المقطوع - أقوال التابعين - في حالة الإطلاق ، أما مع التقييد فجائز وواقع في كلامهم ^٢

وقال ابن الصلاح : ومطلقه - يعنى المتصل - يقع على المرفوع والموقوف وهو الذى اتصل اسناده ، فكان كل واحد من رواته قد سمعه ممن فوقه حتى ينتهى الى مفتهاه ، ثم ضرب له الأمثلة ^٣

المبحث العاشر

المسند

وعرف ابن عبد البر المسند قائلًا : وأما المسند فهو ما رفع الى النبى صلى الله عليه وسلم قال : فالمتصل من المسند مثل مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم وذكر أمثلة كثيرة الى أن قال : والمنقطع من المسند مثل : وأورد الأمثلة التى سبق أن مثل بها للمنقطع من المسند فى باب المنقطع ، وقد خالف عامة أهل المصطلح الحافظ ابن عبد البر فى هذا التعريف لأن هذا التعريف الذى ذكره هو تعريف المرفوع عند العلماء وليس بتعريف للمسند عندهم ،

قال الخطيب البغدادي فى تعريفه للمسند :

" وصفهم الحديث بأنه مسند : يريدون أن اسناده متصل بين رايه وبين من اسند عنه ، قال : الا أن أكثر استعملهم هذه العبارة فيما اسند عنه

- (١) تقريب النواوى مع شرحه تدريب الراوى ١ : ١٨٣
- (٢) فتح المغيـث شرح الألفية كلاً عاماً للعراقى ١ : ٥٨
- (٣) مقدمة ابن الصلاح ٤٠ ، وراجع لهذا التعريف الراجع الكتب الآتية :
اجتناء الشرفى مصطلح أهل الأثر لعبد المحسن العباد ١٦ وشرح نخبة الفكر لابن حجر ٩ والمنهج الحديث فى علوم الحديث قسم مصطلح الحديث للسماحى ٢٥٦ - ٢٥٧
- (٤) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ١ : ٢١ و ٢٢

النبي صلى الله عليه وسلم " ١ "

وقال ابن حجر في تعريفه للمسند عند عامة أهل الحديث :
" والمسند في قول أهل الحديث ، هذا حديث مسند هو : مرفوع صحابي
بسند ظاهره الاتصال ، الى أن قال :
وأبعد ابن عبد البر حيث قال : المسند المرفوع ولم يتعرض للأسناد ، فإنه
يصدق على المرسل ، والمفضل والمنقطع إذا كان المتن مرفوعا ولا قائل به " ٢ "
قلت : وما قاله ابن حجر وعامة أهل هذا الشأن هو الراجح .

المبحث الثامن

المعنعن

قال الحافظ ابن عبد البر في بداية كلامه على الحديث المعنعن : اعلم
وفقك الله أني تأملت أقاويل أئمة أهل الحديث ، ونظرت في كتب من اشترط
الصحيح في النقل منهم ومن لم يشترطه ، فوجدتهم أجمعوا على قبول الاسناد
المعنعن ، لا خلاف بينهم في ذلك إذا جمع شروطا ثلاثة هي :

- ١ - عدالة المحدثين في أحوالهم .
 - ٢ - لقاء بعضهم بعضا مجالسة ومشاهدة .
 - ٣ - أن يكونوا برا من التدليس .
- ثم جعل يورد الأمثلة للخبر المعنعن " ٣ "

-
- (١) الكفاية للخطيب البغدادي ٥٨ ، وأرجع الى : فتح المغيبيات
للعمراقي ٥٧ : ١ والباعث الحثيث لابن كثير ٤٤ ، ومعرفة علوم الحديث
للحاكم ١٧ وخص المسند بالمتصل الى النبي صلى الله عليه وسلم .
وفتح المغيبيات للمصاوي ١٠٠ : ١ ونقل ما يقوى مذهب الحاكم .
 - (٢) شرح نخبة الفكر لابن حجر ٣٠ و ٣١ .
 - (٣) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ١٢ : ١ و ١٣ : ١ .

هذا ما قرره الحافظ في الحديث المعلن ولكنه في الواقع ترك الإشارة الى قولين آخرين : أولهما القول بالاكفاء بمجرد المعاصرة ، وهو ما نصره مسلم بن الحجاج في مقدمة صحيحه ، ورد ردا قاسيا على من خالفه . "١"

وثانيهما : القول بأن الخبر المعلن مطيح مطلقا لاحتمال الانقطاع ، ولكن قال النووي : بأن هذا مذهب مردود باجماع السلف . "٢"

قلت : ولقد بالغ ابن الصلاح في رد هذا القول الأخير التي ردها النووي ، فقال ابن الصلاح بعد حكايتهما : والصحيح الذي عليه العمل أنه من قبل الاسناد المتصل ، قال : وإلى هذا ذهب الجماهير من أئمة الحديث وغيرهم . . . ثم ذكر أن ذلك بالشروط "٣" وهي نفس الشروط التي ذكرها ابن عبد البر .

ومن خلال ما تقدم باستثناء رأي مسلم استطيع أن أجزم بأن الحافظ ابن عبد البر : قد وافق الجمهور في رأيه هذا ، الذي هو قبول المعلن بشروطه المتقدمة .

المبحث التاسع

المؤنس

يقول ابن عبد البر في تقريره لحكم (أن) عند العلماء :

" واختلفوا في معنى (أن) هل هي بمعنى (عن) محمولة على الاتصال بالشروط التي ذكرناها في المعلن حتى يتبين انقطاعها ؟ أو هي محمولة على الانقطاع حتى يعرف صحة اتصالها ؟ ثم ذكر الأمثلة لذلك . . . إلى أن قال :

- (١) مقدمة صحيح مسلم ١: ١٣٠
 - (٢) شرح مسلم للنووي ١: ١٢٨
 - (٣) مقدمة ابن الصلاح ٥٦ وراجع : شرح نخبة الفكر لابن حجر ٣٥ و ٣٦
- فقد ذكر الأقوال ثم اختار اشتراط ثبوت اللقي ، ومقدمة شرح مسلم للنووي ١: ١٢٧ و ١٢٨ وتقريب النواوي مع شرحه التدريب ١: ٢١٤ و ٢١٥ ، وفتح المغيث للعراقي ١: ٧٧ و ٧٨ (٤) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ١: ٢٦

"فجمهور أهل العلم على أن (عن) و (أن) سواء ، وأن الاعتبار ليس بالحروف ، وإنما هو باللقاء ، والمجالسة والسماع والمشاهدة فإذا كان سماع بعضهم من بعض صحيحا ، كان حديث بعضهم عن بعض أبدا بأى لفظ ورد محمولا على الاتصال حتى تتبين فيه علة الانقطاع .

ثم ذكر الحافظ أن القول الثانى الذى تخالف مذهب الجمهور ، وهى للبرديجى "١" وقال بعد حكايتها : " هذا عندى لا معنى له ، لأجماعهم على أن الاسناد المتصل بالصحابى ، سواء قال فيه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ، أو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك سواء عند العلماء والله أعلم " . "٢"

وقال النووى : قال أحمد بن حنبل وجماعة : لا تلتحق " أن " وشبهها بعن ، بل يكون منقطعا حتى يتبين السماع ، قال : وقال الجمهور " أن " كعن ومطلقه محمول على السماع بالشرط المتقدم "٣"

قلت : ويتضح من خلال ما تقدم أن الحافظ قد وافق الجمهور فى رأيه الخاص (بأن) وأن ما حكاه عن الجمهور على حقيقته أنه قول الجمهور ، وأن البرديجى ومن وافقه قد اختاروا غير ما عليه معظم العلماء .

المبحث العاشر

باب فى العرض على العالم ، وقول الطالب فى ذلك
أخبرنا وحدثنا واختلافهم فى ذلك

لم يصرح الحافظ ابن عبد البر ، بصريح رأيه فى هذه المسألة ، ولكنه ذكر

- (١) هو أبو بكر أحمد بن هارون
- (٢) انظر : مقدمة التمهيد للحافظ ابن عبد البر ١ : ٢٦ والاستذكار له أيضا ١ : ٢٧٠ وراجع أيضا الى فتح المغيث للسخاوى ١ : ١٥٩ ، قال : ويتأكد التسمية بين أن وعن بأن لغة بنى تميم ابدال العين من الهمزة .
- (٣) تقريب النواوى مع شرحه تدريب الراوى ١ : ٢١٧

ففيها رأى الطحاوى ولم يعلق عليه ، وهو ما يدل على اختياره لذلك رأى ، فقال : قال الطحاوى : اختلف أهل العلم فى الرجل يقرأ على العالم ويقر له العالم به ، كيف يقول : فيه ، أخبرنا أو حدثنا ؟ قال : فقالت طائفة منهم : لا فرق بين أخبرنا وحدثنا ، وله أن يقول : أخبرنا وحدثنا " ١ " ثم نقل الحافظ ابن عبد البر أن مالكا رحمه الله قال : لمن قرأ عليه الموطأ فسأله ماذا يقولون ؟ فقال لهم : ان شئتم فقولوا : حدثنا ، وان شئتم فقولوا : أخبرنا ، وان شئتم فقولوا : حدثنى وأخبرنى ، وان شئتم فقولوا : سمعنا ، ثم ذكر الحافظ ابن عبد البر عن الطحاوى أنه قال بعد القول الأخير التى فيها الفرق ، وغيره من الأقوال : ولما اختلفوا نظرنا فيما اختلفوا فيه فلم نجد بين الحديث وبين الخبر فى كتاب الله ، ولا فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (لعله فرقا) ثم أخذ يورد الأمثلة من الآيات والأحاديث لمذهب اليه ، " ٢ " وينقل ابن عبد البر فى مكان آخر عن الطحاوى قوله :

" وسواء عندنا القراءة على العالم وقراءة العالم ، ولكل واحد ممن سمع بشئ من ذلك أن يقول : حدثنا أو أخبرنا ، " ٣ " وقال القاضى عياض : ولا خلاف أنه يجوز فى هذا أن يقول السامع منه : حدثنا ، أو أخبرنا ، وأنابنا وسمعت فلانا يقول ، وقال لنا فلان ، وذكر لنا فلان . ثم تطرق القاضى عياض لمسألة التفاوت بين القراءة على الشيخ والقراءة من الشيخ على الطالب ، فذكر أن أهل المدينة سوا بينهما ، وحكى عن البعض أن قراءة الشيخ على الطالب أعلى " ٤ " المراتب ، ثم تطرق لبقية الكلام عن تلك المذاهب التى سبقت الإشارة الى بعضها " ٥ " وقال ابن الصلاح بعد كلام كثير فى هذا الباب : قلت : الفرق بينهما - أى بين السماع والعرض على الشيخ - صار هو الشائع الغالب على أهل الحديث ، قال : والاحتجاج لذلك من حيث اللغة عناء وتكلف ، وخير ما يقال " ٦ "

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ : ٢١٤

(٢) نفس المصدر السابق ٢ : ٢١٥ ، وانظر : الى التمهيد لابن عبد البر أيضا ١ : ٣٩٢ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ : ٢١٦

(٤) اللامع للقاضى عياض ٦٩

(٥) نفس المصدر السابق ٧١ و ٧٣

(٦) مقدمة ابن الصلاح ١٢٤

فيه : انه اصطلاح منهم أرادوا به التمييز بين النوعين ، قال : ثم خصص النوع الأول بقول حدثنا لقوة اشعاره بالنطق والمشافهة "١".

وذكر ابن الاثير مذاهب العلماء في هذه المسألة ثم ينقل عن يحيى بن سعيد "٢" انه قال : أخبرنا وحدثنا واحد ، قال ابن الاثير : وهو الصحيح من حيث اللغة "٣".

والمختار التسمية بينهما الا أن يكون الفرق بينهما قصد منه الفرق اصطلاحا فلا بأس بذلك .

المبحث الحادى عشر

المناولة

ساق الحافظ ابن عبد البر الاسناد الى عبد الله بن عمر "٤" قال : كنت أرى الزهرى يأتيه الرجل بالكتاب لم يقرأه عليه ، ولم يقرأ عليه ، فيقال له : أرويه عنك ؟ قال : نعم "٥" قال أبو عمر : هذا معناه أنه كان يعرف

(١) مقدمة ابن الصلاح ١٢٤

(٢) هو : يحيى بن سعيد بن فروخ - بفتح الفاء وتشديد الراء المضمومة وسكون الواو ثم المعجمة - التميمى أبو سعيد القطان البصرى ، ثقة متقن حافظ امام قدوة من كبار التاسعة توفى سنة ١٩٨ وله سنة ٧٨ . انظر : تقريب التهذيب لابن حجر ٣٤٨:٢

(٣) جامع الاصول لابن الاثير الجزى ٣٩:١ ، والكفاية للخطيب البغدادى ٤٣٨

(٤) هو : عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، العمرى المدنى أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، كان من سادات المدينة المنورة واشراف قرىش فضلا وطما وعبادة وشرقا وحفظا واتقاناً . مات سنة ١٤٧ ، تهذيب التهذيب لابن حجر ٣٨:٧ - ٤٠ . هو تقريب التهذيب له أيضا ٥٣٧:١ .

(٥) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢١٨:٢

الكتاب بعينه ، ويعرف ثقة صاحبه ، ويعرف أنه من حديثه ، وهذه هي :
المناولة .

ثم يوضح الحافظ ابن عبد البر المناولة عند العلماء ، وهو ما يراه
صوابا ، فيروى بسنده الى الأوزاعي ^١ " أنه سئل عن الصيغة التي تقال
في المناولة ، فقال له السائل : أقول : أخبرنا ؟ قال : ان كنت
حدثك ، فقل : حدثنا ، فقلت : أقول : أخبرنا ؟ قال : لا . قلت :
فكيف أقول ؟ قال : قل عن أبي عمرو أو قال : أبو عمرو . ^٢ "

لقد أقر ابن عبد البر هذا الكلام كما سبق ، وهو ما عليه عامة أهل
الأثر . ^٣ "

- (١) هو : عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي الشامي الامام العلم ، أبو عمرو ،
كان ثقة مأمونا فاضلا خيرا كثير الحديث والعلم والفقه ، من السابعة
مات سنة ١٥٧ تقريبا التهذيب لابن حجر ١ : ٤٩٣
- (٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ : ٢١٨ و ٢١٩
- (٣) الكفاية للخطيب البغدادي ٤٧٢ ، وجامع الأصول لابن الأثير
١ : ٤٣ وقال : يشترط في المناولة البراءة من الغلط ، والتصحيح ،
والتزام شروط رواية الحديث ، قال : فبهذه الشروط تخرج من العهدة
وحيث يجوز للراوى أن يقول : حدثنا وأخبرنا مناولة وعرضا ، وأنبأنا
مطلقا باصطلاح المحدثين " جامع الأصول لابن الأثير ١ : ٤٤
ومعرفة علوم الحديث للحاكم ٢٥٦ - ٢٥٧ - قال : وبيان العرض
- وهو المناولة أن يكون الراوى حافظا متقنا فيقدم المستفيد اليه جزءا أو
أكثر من ذلك فيتأوله ، فيتأمل الراوى حديثه فإذا أخبره وعرف أنه من
حديثه قال للمستفيد : قد وقعت على ما ناولتني ، وعرفت الأحاديث كلها
وهذه رواياتي عن شيوخى فحدث بها عنى . . . وابن الصلاح فى
مقدمته ١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٩ فقد فصل فى باب المناولة وأطال
البحث وبين مذاهب العلماء فى ذلك ، ورجح من ذلك المناولة المقرنة
بالاجازة . . . والاماع للقاضى عماض وافق فيه أيضا الجمهور على ما سبق

المبحث الثاني عشر

الاجازة

تناول الحافظ ابن عبد البر الاجازة ، ففصل الكلام فيها ، واشترط لها الشروط التي لا تقبل في رايه الا بها ، فقال : " اختلف العلماء في الاجازة فأجازها قوم " ١ " وكرهها آخرون " ٢ " قال : وفيما ذكرنا في هذا الباب دليل على جوازها ، اذا كان الشيء الذي أجيز معينا أو معلوما محفوظا ، مضبوطا ، وكان الذي يتأوله علما بطرق هذا الشأن ، وان لم يكن ذلك على ما وصفت لم يؤمن أن يحدث الذي أجيز له عن الشيخ بما ليس من حديثه ، أو ينقص من اسناده الرجل والرجلين من أول اسناد الديوان فقد ، " ٣ " رأيت قوما وقعوا في مثل هذا ، وما أظن الذين كرهوا الاجازة كرهوها الا لهذا والله أعلم الى أن قال : قال أبو عمر : تلخيص هذا الباب أن الاجازة لا تجوز الا لما هرب بالصناعة حاذي بها ، يعرف كيف يتأولها ، ويكون في شيء معين معروف لا يشكك اسناده ، قال : فهذا هو الصحيح من القول في ذلك " ٤ "

- ثم قال : والأصل عندهم في ذلك - أي في قبول المناولة - من الأثر اعتماد عمال النبي صلى الله عليه وسلم في البلاد على كتبه ، ٧٩ و ٨٠ و ٨١ ، وفتح المغيـث للعراقي ٣ : ٢ ، وما بعده ، وابن حجر في شرح نخبة الفكر ٣٦ وقال : واشترطوا في صحة الرواية بالمناولة اقترانها بالأذن بالرواية . قال : وهي اذا حصل هذا الشرط أرفع أنواع الاجازة لما فيها من التعمين والتشخيص ، ثم بعد ذلك ذكر تعريفها عند أهل الأثر .
- (١) مثل شعبة بن الحجاج ومالك والباجي والزهرى والجمهور كما قال الخطيب الذين قبلوها أكثر ، الكفاية ٤٤٦
 - (٢) وحكى عن الشافعى وبعض أهل الظاهر
 - (٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ : ٢١٩
 - (٤) نفس المصدر السابق ٢ : ٢٢٠

وذكر عياض كثيرا من أقسامها ورجح جواز العمل بها مطلقا بخلاف ابن عبد البر ،^١ وحكى القاضي أخيرا أن مالكا قد اشترط نفس الشروط التى اشترطها ابن عبد البر لقبول الاجازة .^٢

وزيادة فى توضيح أفكار أهل الأثر فى هذه المسألة ، ومقارنة أقوالهم بقول الحافظ ابن عبد البر : انتقل الى ابن الأثير فاذا هو قد عرف الاجازة بالجمهور وقال بعد ذلك : بوجوب الاحتياط عند الرواية بالاجازة .^٣

ثم قال بعد تعريفها : وهذا تسليط من الشيخ للراوى على أن يقول : حدثنا ، وأخبرنا اجازة أو انبأنا على اصطلاح المحدثين كما سبق ، ويقدها بالمشافهة ، أو بالكتابة ، أو بالرسالة .^٤

وتكلم النووي فى التقريب له على الاجازة وقسمها أقساما عدة وبالرجوع اليها يتضح جواز العمل بها عند الجمهور كما سبق أن قرره ابن عبد البر بالشروط بخلاف البعض كما سبق .^٥

وقال ابن الصلاح بعد سرد الأقوال فى الاجازة أجائزة هى أم لا ؟ :
” ثم ان الذى استقر عليه العمل وقال به جماهير أهل العلم من أهل الحديث وغيرهم : القول بتجويز الاجازة ، وإباحة الرواية بها ” .^٦

ويمضى الحافظ ابن الصلاح فى ضمن كلامه على الاجازة فنراه يضعف بعض الأقسام المتأخرة التى سوغها البعض ، وردها ابن الصلاح وذلك لكونها بدون شروط الجمهور التى ذكروها لقبول الاجازة .^٧

-
- (١) الالمام للقاضى عياض ٩١
 - (٢) نفس المصدر السابق ٩٥
 - (٣) جامع الأصول من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ١ : ٤١
 - (٤) نفس المصدر السابق ١ : ٤٢
 - (٥) تقريب النواوى مع شرحه تدريب الراوى ٢ : ٢٩ وما بعده
 - (٦) ابن الصلاح فى مقدمته ١٣٥
 - (٧) نفس المصدر السابق ١٣٧

قلت : وما تقدم يتضح أن الحافظ ابن عبد البر قد مشى فى هذه المسألة على ما هو المختار ، وما هو الاحتياط فى هذه المسألة . وذلك هو الذى يهدى ورجحانه لضعف ما عداه .

المبحث الثالث عشر

رواية الحديث بالمعنى

لم يخصص الحافظ ابن عبد البر باباً لرواية الحديث بالمعنى ، ولكنه ذكر فى باب الأمر بإصلاح اللحن والخطأ فى الحديث ، وتتبع الفاظه ومعانيه ، أن هناك طائفة تجوز رواية الحديث بالمعنى ، وأخرى تشدد فى التزام لفظ الحديث ، وذكر كلام الطائفتين " ١ " ثم بعد حكاية كلام الطائفتين المذكورتين مال الى الجواز ، واستصوبه " ٢ " .

ويبدولى والله أعلم أن الحافظ ابن عبد البر لم يكن ليغفل الشروط فى ذلك أعنى فى جواز الرواية بالمعنى ، فان كان يريد أن الرواية بالمعنى هكذا بدون شرط جائزة ، فليس الأمر كذلك ، بل لجواز الرواية بالمعنى شروط ذكرها العلماء . قال عياض : " لا خلاف أن الجاهل والمبتدئ ومن لم يمهرفى العلم ولا تقدم فى معرفة تقديم الألفاظ ، وترتيب الجمل ، وفهم المعانى ، أن لا يكتب ولا يروى ولا يحكى حديثاً الا على اللفظ الذى سمعه ، وأنه حرام عليه التعبير بغير لفظه المسموع ، اذ جميع ما يفعل من ذلك تحكم بالجهالة ، وتصرف على غير حقيقة فى أصول الشريعة وتقول على الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ما لم يحط به علماً " ٣ .

-
- (١) ارجع مثلاً الى : جامع بيان العلم وفضله له ٩٤ : ١ ، و ٩٥ : ١ ،
و ٩٦ : ١ ، و ٩٧ : ١
(٢) نفس المصدر السابق ٩٨ : ١
(٣) الالمام للقاضى عياض ١٧٤

وذكر القاضي عياض تفاصيل المسألة ، فيذكر اختلاف العلماء في ذلك .
فقال : فأجازها جمهورهم - أي الرواية بالمعنى - أن كان ذلك من مشتغل
بالعلم ناقد لوجه تصرف الألفاظ والعلم بمعانيها قال : ومنعـه
آخرون - أي حتى للعالم الطاهر - وشددوا فيه من المحدثين والفقهاء . . . " ١ "

وقال العراقي مثل ما سبق عن القاضي عياض ، قال : لا يجوز لمن
لا يعلم مدلول الألفاظ ومقاصدها وما يحيل معانيها أن يروى ما سمعه بالمعنى
دون اللفظ بخلاف ، بل يتقيد بلفظ الشيخ ، فإن كان عالماً بذلك جازت له
الرواية بالمعنى عند أكثر أهل الحديث والفقه والأصول ، قال : ومنع بعض أهل
الحديث والفقه مطلقاً " ٢ "

قلت : من خلال ما سبق ندرك أن ما ذهب إليه الحافظ ابن عبد البر
في اختياره : هو الصواب لا محالة ، بالشروط التي سطرها العلماء لذلك .

المبحث الرابع عشر

كتابة الحديث منعاً وإباحة

ذكر الحافظ ابن عبد البر " الأحاديث والآثار الواردة في هذه المسألة
منعاً وإباحة ، ثم قال مشيراً إلى الرأي الذي يراه صواباً : " قال أبو عمر :
من ذكرنا قوله في هذا الباب - باب المنع من الكتابة - فإنما ذهب في ذلك
مذهب العرب ، لأنهم كانوا مطبوعين على الحفظ مخصوصين بذلك . . . " ٣ "
إلى أن قال : " وليس أحد اليوم على هذا - أي على تلك الذاكرة - ، قال :
ولولا الكتاب لضاع كثير من العلم ، قال : وقد أرخص رسول الله صلى الله عليه

(١) نفس المصدر السابق ١٧٨

(٢) فتح المغيث للعراقي ٤٩ : ٣ وأرجع إلى : تقريب النواوي وشرحـه
تدريب الراوي ٢ : ٩٨ ، و ٢ : ٩٩ ، والكفاية للخطيب البغدادي
٣٠٠

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١ : ٨٣

عليه وسلم في كتاب العلم "١" ورخص العلماء وحمدوا ذلك ، ونحن ذاكره
بعد هذا بعون الله "٢" ثم ذكر الحج على جواز كتابة العلم . "٣"

قلت : ومن هنا نعلم أن الحافظ ابن عبد البر يذهب في هذه المسألة
مذهب الجمهور الذين يرون المنع مقدما ثم نسخ باباحة الكتابة ، وذلك هو
الراجح عند العلماء ، وهو الحق ، قال النووي : اختلف السلف في كتابة
الحديث فكرهها طائفة ، وأباحها طائفة ، ثم أجمعوا على جوازها ، "٤"
وقال السيوطي : " فزال الخلاف " . "٥"

وقال العراقي بعد حكايته للقولين في ذلك : المنع والاباحة في زمن
الصحابة والتابعين . قال : " ثم اجمع المسلمون على جوازها ، وزال ذلك
الخلاف " "٦" وغير ذلك من أقوال أهل الأثر التي لا تكاد تختلف مع ما سبق .

المبحث الخامس عشر

زيادة الثقة

قال الحافظ ابن عبد البر مقروا حكم زيادة الثقة : " انما تقبل الزيادة
من الحافظ اذا ثبتت عنه ، وكان أحفظ وأتقن ممن قصر ، أو مثله في الحفظ ،
لأنه كأنه حديث آخر مستأنف ، قال : وأما اذا كانت الزيادة من غير حافظ
ولا متقن فانها لا يلتفت اليها " . "٧"

-
- (١) في قوله صلى الله عليه وسلم : اكتبوا لأبي شاه في خطبته يوم فتح مكة .
جامع بيان العلم لابن عبد البر ١ : ٨٤
 - (٢) جامع بيان العلم ١ : ٨٤
 - (٣) نفس المصدر المذكور ٨٤ - ٩٣
 - (٤) تقريب النواوي مع شرحه تدريب الراوي ٢ : ٦٥
 - (٥) تدريب الراوي ٢ : ٦٥
 - (٦) فتح المغيث للعراقي ٣ : ١٧
 - (٧) التمهيد لابن عبد البر ٣ : ٣٠٦ ، والتمهيد أيضا له ١ : ١٧٨

ويقول في ضمن كلامه أيضا على زيادة الثقة : " زيادة مثل مالك مقبولة ، قال : وتفسيره لمجمل غيره أولى ما أخذ به " . " ١ "

والواقع أن الحافظ ابن عبد البر قد اختار في هذه المسألة مذهب الحفاظ الذي ذهب إليه عامة العلماء المعبرين : أمثال الخطيب البغدادي " ٢ " ، والحاكم أبي عبد الله ، " ٣ " والعراقي ، " ٤ " والنووي والسيوطي ، " ٥ " - والترمذي ، " ٦ " وابن الصلاح ، إلا أنه قسمها ثلاثة أقسام : قسمان مقبولان وقسم مردود " ٧ " ويقول ابن الأثير : إذا انفرد الثقة بزيادة في الحديث عن جماعة النقلة فإنه تقبل منه زيادته عند الأكثر ، سواء كانت الزيادة من حيث اللفظ أو من حيث المعنى ، لأنه لو انفرد بنقل حديث عن جميع الحفاظ قبل ، فكذلك الزيادة . " ٨ "

وقد سرد ابن الأثير هنا بعض الأسباب التي تجعل الثقة ينفرد بمثل هذه الزيادة دون غيره ، وأن من ذلك عدم استحالة وقوع ذلك .

وقال ابن حزم : " وزيادة العدل واجب قبولها ولا يحل تركها زيادة العدل " . " ٩ "

وراجع كلام السخاوي فقد ذكر الأقوال ورجح ما عليه الجمهور الذين تقدم النقل عنهم . " ١٠ "

-
- (١) نفس المصدر السابق ١ : ٣٨٧ و ٢ : ١٣٥
 - (٢) الكفاية للخطيب البغدادي ٥٩٧
 - (٣) معرفة علوم الحديث للحاكم ١٣٠ وما بعده
 - (٤) فتح المغيث للعراقي ١ : ١٠٠
 - (٥) تقريب النواوي مع شرحه تدريب الراوي ١ : ٢٤٥
 - (٦) تحفة الأخوذى شرح الترمذي ١ : ٥٢٤
 - (٧) مقدمة ابن الصلاح ١١٢ و ١١٣
 - (٨) جامع الأصول لابن الأثير ١ : ٥٦
 - (٩) المحلى لابن حزم ٣ : ٢٢٢
 - (١٠) فتح المغيث للسخاوي ١ : ٢٠٠ وارجع إلى الجزء الثالث من التمهيد لابن عبد البر المخطوط في مكتبة السعودية بالرياض قال فيه : " لأن زيادة الحافظ مقبولة ، حكمها حكم الحديث نفسه ولو لم يجز به غيره
- ص ٣٣ .

المبحث السادس عشر

خبر الآحاد

لا شك أن الحافظ ابن عبد البر قد خص خبر الآحاد باهتمام فاق كل اهتمامه بغيره ، من الأبحاث المتقدمة ، فلذلك جعل يقرر حكمه عند العلماء في أكثر كتبه ، ولم يكتف بذلك ، بل خصه بتأليف منفرد ، فألف فيه رسالة مشهورة عند العلماء المتقدمين هي : " كتاب الشواهد في إثبات خبر الواحد " ، إلا أن هذه الرسالة لم أظفر بها ولم أسمع بها في مكان من الأمكنة مع بحثي عنها وسؤالي المتكرر عن وجودها .

ومن جملة كلامه المشار إليه على هذه المسألة قوله في تقسيم السنة :
" الضرب الثاني من السنة خبر الآحاد الثقات الأثبات المتصل الأسناد ، قال : " فهذا يوجب العمل عند جماعة علماء الأمة الذين هم الحجة والقُدوة " قال : ومنهم من يقول : أنه يوجب العلم والعمل جميعا " ^١ " ومضى الحافظ ابن عبد البر في بيانه لهذه المسألة فيقول : وأجمع أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار فيما علمت ، على قبول خبر الواحد العدل ، وإيجاب العمل به ، إذا ثبت ولم ينسخه غيره ، من أثر ، أو إجماع " ^٢ ، قال : على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا ، قال : إلا الخوارج وطوائف من أهل البدع ، شرذمة لا تعد خلافا " ^٣ .

وتابع الحافظ البحث يذكر الأدلة على قبول خبر الآحاد والحجج على ذلك " ^٤ " إلى أن قال : واختلف أصحابنا وغيرهم في خبر المعدل

-
- (١) ارجع مثلا إلى : جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ : ٤٢ ، والتمهيد له أيضا ١ : ١١٦ ، والاستذكار له أيضا ١ : ٤٨ ومخطوطة التمهيد له أيضا التي بمكتبة السعودية بالرياض ١٣ و ٣٤ و ٥١٣
 - (٢) والصحيح عند العلماء : أن الإجماع لا ينسخ ولا ينسخ
 - (٣) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ١ : ٢
 - (٤) مقدمة التمهيد ١ : ٣

هل يوجب العلم والعمل جميعا ، أم يوجب العمل دون العلم ؟ قال :
والذى عليه أكثر أهل العلم منهم : أنه يوجب العمل دون العلم ، "١"

قال : وهو قول الشافعى ، وجهاً أهل الفقه والنظر ، ولا يوجب العلم عندهم "٢" إلا ما شهد به على الله ، وقطع العذر بمجيئه قطعاً ولا خلاف فيه . "٣" ثم ذكر قول الآخرين فقال : " وقال قوم كثير لعلمه كثيرون - من أهل الأثر وبعض أهل النظر : أنه يوجب العلم الظاهر "٤" والعمل جميعاً "٥" "

ومعد أن أورد الحافظ ابن عبد البر أقوال العلماء ، صرح بمذهبه الذى يعمل اليه ويختاره من بين تلك المذاهب فى خبر الأحاد فقال :

" الذى نقول به : أنه يوجب العمل دون العلم ، كشهادة الشاهدين والأربعة سواء ، قال : وعلى ذلك أكثر أهل الفقه والأثر ، وكلهم يدين بخبر الواحد العدل فى الاعتقادات ، ومعادى ويؤلى عليها * وجعلها شراً وديننا فى معتقده "٦"

قلت : فى هذه المسألة يتضح فى اختيار الحافظ ابن عبد البر أنه يذهب مذهب النظار ، والمتكلمين الذين يرون عدم إفادة خبر الأحاد اليقين ، وهكذا أيضاً ذهب كثير من العلماء ، إلا أن الذى ييدور رجحانه هو القول بأن ما صح من تلك الأخبار لرواية العدل الضابطين له من غير شذوذ ولا علة وطلقة الأمة بالقول ، وخاصة ما رواه أحد الشيخين أو اتفاقاً عليه يفيد العلم .

-
- (١) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ١ : ٧
 - (٢) مقدمة التمهيد ١ : ٧
 - (٣) نفس المصدر السابق ١ : ٧
 - (٤) قلت : وهو العلم الحاصل بالاستدلال
 - (٥) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ١ : ٨
 - (٦) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ١ : ٨ ، والاستدكار له أيضاً ٢ : ١٧٨ و

قلت : يبدو أن هذا هو الراجح وأشار كثير من العلماء الى ذلك فقال
الجويني فيما نقله الدكتور الحسيني : انه قال : لو حلف رجل بطلاق زوجته
أن مافى البخارى ومسلم مما حكم بصحته من قول النبى صلى الله عليه وسلم
لما الزمته الطلاق ولا الحنث فيه لاجتماع علماء المسلمين على صحتها " ١ "

وهكذا الخطيب البغدادي في كتابه الفقيه والمتفقه يقول : " وخبر
الاحاد ما انحط عن حد التواتر ، وهو ضربان مسند ومرسل ، قال : فأما
المسند فضريان : أحدهما يوجب العلم وهو على أوجه : " فذكر تلك الأوجه
..... الى أن قال : ومنها خبر الواحد الذي تلقته الأمة بالقبول فيقطع
بصدقه ، سواء عمل به الكل أو عمل به البعض أو كله البعض ، قال : فهذه
الأخبار توجب العمل ويقع بها العلم استدلالا " ٢ "

وقد أورد الخطيب البغدادي بعد الكلام السابق كثيرا من الحجج
الدامنة لكل من يرون عدم العمل بخبر الاحاد ، وهى جد يرة بالمراجعة
والتأمل " ٣ "

ويقول ابن الصلاح مقرا افادة الخبر الصحيح للعلم وخاصة اذا تلقته
الأمة بالقبول ، قال بعد سياقه لأقسام الاحاديث :

" وأعلاه الأول ، وهو الذى يقول فيه أهمل الحديث : صحيح
متفق عليه ، قال : يطلقون ذلك ويعنون به اتفاق البخارى ومسلم لا اتفاق
الأمة عليه ، قال : لكن اتفاق الأمة عليه لازم من ذلك ، وحاصل معه ، لا اتفاق
الأمة على تلقى ما اتفقا عليه بالقبول " قال : " وهذا القسم جميعه مقطوع
بصحته ، والعلم اليقيني النظرى واقع به " ٤ "

(١) الامام البخارى محدثا وفقهيا للدكتور الفاضل الحسيني عبد المجيد

هاشم ١٤١

(٢) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ١ : ٩٦ قلت ولا يخفى أن الخطيب
نفسه قد نفى فى الكفاية له : افادة خبر الاحاد لليقين فقال : " وأما خبر
الاحاد : فهو ما قصر عن صفة التواتر ولم يقطع به العلم ، وأن روته الجماعة "
الكفاية ٥٠

(٣) الفقيه والمتفقه ١ : ٩٦ - ١٠٣ (٤) مقدمة بن الصلاح ٢٤ و ٢٥

وقال ابن حجر : وقد يقع فيها أى فى أخبار الأحاد : ما يفيد العلم النظرى بالقرائن ، على المختار ، خلافاً لمن أبى ذلك . . . ثم ذكر الحافظ ابن حجر أن الخلاف هنا لفظى لأن من أجاز إطلاق العلم هنا قيده بالعلم النظرى ومن أبى من إطلاق العلم قيد العلم باليقينى " ١ "

وقال الشوكانى فى ضمن كلامه على خبر الأحاد : قال أحمد بن حنبل أن خبر الأحاد يفيد بنفسه العلم . " ٢ " ثم بعد حكايته للأقوال فى خبر الواحد قال : وأعلم أن الخلاف الذى ذكرناه فى أول هذا البحث من إفادة خبر الأحاد الظن أو العلم مقيد بما إذا كان خبر واحد لم ينضم إليه ما يقويه ، وأما إذا انضم إليه ما يقويه أو كان مشهوراً أو مستفيضاً فلا يجرى فيه الخلاف المذكور .

قال : ولا نزاع فى أن خبر الواحد إذا وقع الاجماع على العمل بمقتضاه فانه يفيد العلم ، لأن الاجماع عليه قد صيره من المعلوم صدقه ، قال : وهكذا خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول فكانوا بين عامل به ، ومتأول ، " ٣ "

قلت : ومن أراد أن يرى هذه المسألة واضحة المعالم بتوضيح الأقوال وبيان مناهج الناس فيها فليرجع الى الحافظ ابن حزم فقد قال فصل فى هل يوجب خبر الواحد العدل العلم مع العمل أو العمل دون العلم ، ثم ذكر عن الحسين " ٤ " بن على الكرابيسى وغيره أنه قال : بايجاب الخبر الواحد العلم والعمل معاً أى دون أى شرط ، إلا أن يكون عن عدل عن مثله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : وهذا نقول . . . ثم بين بقية الأقوال بالأدلة بما لا يدع مجالاً للنزاع .

-
- (١) شرح نخبة الفكر لابن حجر ١١
 - (٢) ارشاد الفحول للشوكانى ٤٨
 - (٣) نفس المصدر السابق ٤٩
 - (٤) هو الحسين بن على بن يزيد البغدادى صاحب الامام الشافعى وأشهر تلاميذه ، بحضور مجلسه ، والكراييسى : نسبة الى الكراييس وهمسى الثياب الخليطة واحدها كرايس ، وهو لفظ فارسى معرب ، وكان يبيعها فنسب اليها . توفى سنة ٢٤٥ وقيل : ٢٤٨ ، الطبقات لابن السبكى ١ : ٢٥١ ، والأحكام لابن حزم ١ : ١٣٤
 - (٥) الأحكام فى أصول الأحكام لابن حزم ١ : ١٠٧

وما تقدم يتضح أن هذه المسألة فيها ثلاثة أقوال رئيسية :

- ١ - إيجاب خبر الواحد العمل دون العلم
- ٢ - إيجابه العلم والعمل معا ، وخاصة إذا تلقته الأمة بالقبول •
- ٣ - القول بعدم إيجابه لا للعلم ولا للعمل •

المبحث السابع عشر

كلامه في التحسين وجمعه بين الصحة والتحسين أحيانا

كالترمذي في ذلك

الذي يبدو أن الحافظ ابن عبد البر لم يكن قد حد الحسن كتحديد غيره له ، ولذلك نراه قد تركه بدون أن يعقد له بابا خاصا به ، وإنما ذكره في بعض العبارات الخاطفة من كتبه •

فقد قال علي حديث أخرجه مسلم في صحيحه ، أن أم سلمة قالت : حضت وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعة في الخيمة ، فانسلت فأخذت ثياب حيضتي ، الحديث " ١ " (هذا حديث حسن صحيح ثابت) " ٢ "

قلت : ولا يخفى أن هذا لاصطلاح لم يكن شائعا بين العلماء ، أهل الاصطلاح وخاصة بعد تحديد العلوم ، وتعيين الاصطلاحات الخاصة بهما ، اللهم الا الاطام الترمذي الذي اشتهر بهذا ، فأكثر من استعماله وعرف به " ٣ " .

- (١) شرح النووي على صحيح مسلم ٢ : ٢٠٦
- (٢) التمهيد لابن عبد البر ٣ : ١٦٥
- (٣) أرجع مثلا الى : تحفة الأخوذى بشرح جامع الترمذي ٤ : ٦٦ ، و ٤ : ٦٩ ، و ٤ : ٧٣ ، و ٤ : ٧٦ ، و ٤ : ٧٩ ، و ٤ : ٨١ ، و ٤ : ٨٣ ، و ٤ : ٨٧ ، و ٤ : ٨٨ ، و ٤ : ٩٤ ، و ٤ : ٩٥ ، و ١٠ : ١٨٢ ، و ١٠ : ١٨٥ ، و ١٠ : ١٨٦ ، و ١٠ : ١٩١ ، و ١٠ : ١٩٤ ، و ٨ : ١٢٦ ، و ٨ : ١٣٠ ، وغير ذلك كثير •

ولا يخفى على من عرف كتب المصطلح اختصاص الحافظ الترمذى بهذا الاصطلاح^١.

وربما يكون الحافظ ابن عبد البر سالما من اعتراضنا عليه فى استعماله لهذا الاصطلاح ، وذلك اذا كان يجرى فيه على ما كان عليه بعض المتقدمين من اطلاقهم على الصحيح اسم الحسن . أحيانا قاصدين بذلك أن كل صحيح فهو حسن ولا عكس ، قال العراقى مقررًا ذلك فى بعض ردوده : " لأن وجود الدرجة العليا وهى الحفظ والاتقان ، لا ينافى وجود الدنيا كالصدق ، فيصح أن يقال : حسن باعتبار الصفة الدنيا ، صحيح باعتبار الصفة العليا الى أن قال : " وهذا موجود فى كلام المتقدمين " .^٢

المبحث الثامن عشر

يطلق الحسن ويريد به حسن المعنى ، لا الحسن المصطلح عليه

وكما سبقت الإشارة الى بعضه ، فان الحافظ ابن عبد البر لم يستقر عنده تعريف تام للحسن ، بل درج فى كتبه على اطلاق الحسن فى مواضع لم تكن مشهورة بذلك فهو مثلا كما تقدم ، وكما يتضح بمراجعة مؤلفاته :

- ١ - يجمع بين الصحة والحسن فى حديث واحد .^٣
- ٢ - يطلق على كثير من الأحاديث اصطلاح الحسن المشهور ، وهى كذلك أعنى على نفس الاصطلاح الذى استقر عليه الأمر - وهو أن الحسن يشترط فيه ما يشترط فى الصحيح الا قوة الضبط فهو يتسامح فيه فيقبل من قل

(١) فتح المغيـث للعراقى ١ : ٥١ ، والتدريب للسيوطى ١ : ١٦١ و ١٣ : ١
من فتح المغيـث للسخاوى ، وغير هذه الكتب
(٢) فتح المغيـث للعراقى ١ : ٥٢ ، وفتح المغيـث للسخاوى ١ : ٨٩ و ٩٠
(٣) انظر مثلا : التمهيد لابن عبد البر ١ : ١٦٥

ضبطه . "١"

٣ - ومع كثرة اطلاقه للحسن كالجمهور الا أنه أيضا جرى على اطلاق الحسن على أحاديث كثيرة يريد بذلك حسن المعنى ، لا الحسن المصطلح عليه المشهور . "٢"

والفارق بين الحافظ ابن عبد البر في اطلاقه هذا ، وبين أكثر العلماء من أهل هذا الشأن أنهم اذا أرادوا ذلك الاطلاق : قيدوه فقالوا مثلا : هذا حديث حسن المعنى ، أو حديث جيد المعنى مع ضعف فيه الخ . وأما الحافظ فقد ترك ذلك القيد ، ولا يخفى ما في ذلك ، من مخالفة الاصطلاح المتبع .

المبحث التاسع عشر

رأى الحافظ في الأحاديث التي ترد موقوفة وهي لا تدرك بالرأى والأحاديث التي يقول فيها الصحابي كانوا يومئذ بكذا أو من السنة كذا . . . :

لا شك أن الحافظ ابن عبد البر قد أكثر الكلام على هذه المسألة في كتبه ، الا أن كلامه ورد مشتتا في مواضع لا يمكن حصره فيها ، الا أن يضرب المثال فيتضح المقصود من ذلك ، وهو : بيان مجرد رأيه .

١ - فقد قال في حديث رواه مالك في الموطأ بسنده عن أبي هريرة أنه قال :
لولا أن يشق على أمته لأمرهم بالسواك مع كل وضوء . "٣"

(١) انظر مثلا الى كتبه : التمهيد : ٣ : ١٤٣ ، و ٣ : ١٦٩ ، والاستذكار له أيضا : ٢ : ٣٠٨ ، و ٢ : ١٢ : ٣ ، والاستيعاب للحافظ أيضا : ١ : ٤٩ ، و ١٧٠ ، و ١٧٥ ، و جامع بيان العلم وفضله له أيضا : ٢ : ٢٢٣ ، والقصد والامم للحافظ ابن عبد البر أيضا : ١١ .

(٢) انظر مثلا الى : التمهيد للحافظ : ١ : ٢٢١ قال هناك على أحاديث معينة : " ومن أحسنها وكلها حسن " والتمهيد أيضا : ١ : ٢٢٨ ، و ١ : ٢٣٣ ، والاستيعاب للحافظ أيضا : ١ : ٩٨ ، و ٢٢٥ ، و ٢٤٦ ، و ٢٥٣ ، و ٢ : ٧١٥ .

(٣) الموطأ للإمام مالك مع تنوير الحوالك للسيوطي ١ : ٨٥ .

قال الحافظ ابن عبد البر معلقا على هذا الحديث : " وهذا يدخل في المسند عند جميعهم " ^١ " وقصد من ذلك الى أن مثل هذا لا يدرك بالرأى :

٢ - ويزيد المسألة وضوحا فيقول في موضع آخر على حديث مالك أنه بلغه أن سعيد بن المسيب قال : " يقال : لا يخرج أحد من المسجد بعد النداء الا أحد يريد الرجوع اليه ، الا منافق " .

قال ابن عبد البر معلقا على هذا الحديث : " وهذا لا يقال من جهة الرأي ولا يكون الا توقيفا ... " ^٢ "

٣ - وقال معلقا على أثر مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن عبد الملك بن مروان أمر الحجاج على المسلمين في الحج ، وأمره أن يتأسى بعبد الله بن عمر فقال له ابن عمر يوم عرفه ان كنت تريد السنة فقم الآن الى الخطبة والصلاة " ^٣ "

قال ابن عبد البر : وهذا الحديث يدخل عندهم في المسند لقوله فيه : ان كنت تريد السنة ، لا يختلفون في ذلك ، لأنه اذا اطلق صاحب ذكر السنة فالمراد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وكذلك اذا اطلقها غيره مالم تضاف الى صاحبها كقولهم سنة العمرين وما أشبه ذلك . " ^٤ "

ومضى الحافظ في ايضاح رأيه في هذه المسألة ، ومبينا ما يراه صوابا في ذلك " ^٥ " .

-
- (١) التقصى لحديث الموطأ لابن عبد البر ١٢٦
 - (٢) نفس المصدر السابق ٢٤٤
 - (٣) الموطأ مع شرحه تنوير الحوالك للسيوطي ١ : ٣٥٤
 - (٤) التقصى للحافظ ابن عبد البر ١٤١ ، والاستذكار للحافظ أيضا ٢ : ٢٠٣
 - (٥) انظر مثلا : التمهيد له ١ : ٣٢٢ ، و ٢ : ١٩٠ ، والاستذكار له أيضا ١ : ٣٤٥ و ٢ : ٧٤ ، و ٢ : ١١٩ ، والتقصى للحافظ أيضا ٢٣٣ و ٢٤١ ، و ٢١١ ، و ٢٠١ ، و ١٨٥ ، و جامع بيان العلم وفضله أيضا ١ : ٤٠

والحق أن الحافظ ابن عبد البر قد اختار في هذه المسألة مذهب جمهور المحدثين ، الذين يعدون هذا من المسند حيث أنهم يعلمون أن الأمر هو محمد صلى الله عليه وسلم ، والسنة إذا أطلقت بدون قيد فلا يمكن أن يفهم المسلم منها إلا سنته صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو الراجح الذي لا يتجه سواء ، فلذلك نرى أهل الاصطلاح على ذلك المذهب .^١

وقال الحاكم : النوع السادس من هذا العلم معرفة الأسانيد التي لا يذكر سندها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .^٢ وذكر الأمثلة بأسانيدها ثم قال الحاكم بعد ذلك مقرا بالحكم في ذلك : " هذا باب كبير يطول ذكره - بالأسانيد فمن ذلك ما ذكرنا ، ومنه قول الصحابي المعروف بالصحة : " أمرنا أن نفعل كذا " ونهينا عن كذا وكذا " وكنا نؤمر بكذا " وكنا ننهي عن كذا ، وكنا نفعل كذا " " وكنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا " وكنا لا نرى بأسا بكذا ، وكان يقال : كذا وكذا " وقول " الصحابي " من السنة كذا ، وأشباه ما ذكرناه ؛ انظر قالة الصحابي المعروف بالصحة ، فهو حديث مسند ، وكل ذلك مخرج في المسانيد .^٣

المبحث العشرون

التعديل : عند ابن عبد البر

- أ - الصحابة كلهم عدول .
- ب - رأيه في تعديل من عدا الصحابة من العلماء .
- ج - بيان الحديث الذي استدل به الحافظ على عدالة الرواة والكلام عليه .

(١) ارجع مثالا الى : فتح المغيث للعراقي ١ : ٦٠ ، قال بعد حكاية الا

الاقوال فيه : وكلاهما في الصحيح هو من نوع المرفوع والمسند عند أصحاب الحديث ، قال : وهو الصحيح ، وقول أكثر أهل العلم ...

(٢) معرفة علوم الحديث للحاكم ٢١

(٣) معرفة علوم الحديث للحاكم ٢٢

١ - الصحابة كلهم عدول :

ذهب الحافظ ابن عبد البر الى ما عليه عامة جماهير المسلمين سلفا وخلفا ، من الاجماع على عد القاصحاب بدون استثناء أحد منهم ، وذلك لتثاء الله جل وعلا عليهم ، ولتعديل رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ، وقد أوضح الحافظ ذلك في مقدمة كتابه الاستيعاب بما لا يدع مجالا للنزاع ، "١" وأشار اليه في بعض كتبه اشارة خاطفة فقال في ضمن كلامه على حديث اختلف على صحابه :

" وهذا مما ليس يقدم في الحديث لأن رواية الصحابة بعضهم عن بعض ، ورفعهم ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم سواء عند العلما ، لأن جميعهم مقبول الحديث ، مأمون على ما جاء به بتثاء الله عليهم "٢"

قلت : وهذا كما اشرت سابقا هو الحق الذي لا يجوز سواء ، وهو الذي قرره أهل هذا الفن ، وادعوه تصانيفهم "٣"

ب - رأيه في تعديل من عدا الصحابة من العلما :

لا شك أن رأى الحافظ في التعديل قد صار له صدى عظيم عند العلما ، فلذلك كان من رأى أن أخص هذا البحث بمزيد من البيان والتوضيح ، لكي نتبين الصواب من غيره ، قدر الطاقة ، فلا بد أولا من استطلاع ذلك الرأى ، ثم النظر في آراء غيره ، ثم بعد ذلك مناقشة دليله الذي استند اليه في المسألة .

فقد قال : " وكل حاميل علم معروف العناية به ، فهو عدل محمول في أمره أبدا على العدالة ، حتى تتبين جرحته في حاله ، أو في كثرة غلطه " قال : لقوله صلى الله عليه وسلم الحديث . . . "٤"

(١) انظر مثلا : مقدمة الاستيعاب له ١ : ١ و ٢ ، و ٣ و ٤ ، و

٥ وما بعد ذلك مثل ١ : ١٩

(٢) التمهيد للحافظ ابن عبد البر ٣ : ١٨١

(٣) انظر مقدمة ابن الصلاح ٢٦٤ ، وتقريب النواوى مع شرحه للسيوطى ٢ : ٢١٤ والكفاية للخطيب ٥٨٥ وفتح المغيث للعراقى ٤ : ٣٥ ، وفتح المغيث للسخاوى ٣ : ١٠٠ (٤) مقدمة التمهيد للحافظ ابن عبد البر ١ : ٢٨

ثم ينتقل بنا الحافظ ابن عبد البر الى موضع آخر لتوضيح رأيه أكثر فأكثر ، فيقول فى باب حكم قول العلماء بعضهم فى بعض " بعد ذكره لكثير مما وقع من ذلك " ١ قال : " هذا باب قد غلط فيه كثير من الناس وضلت به نابتة جاهلة ، لا تدرى ما عليها فى ذلك . قال : والصحيح فى هذا الباب أن من صحت عدالته ، وثبتت فى العلم أمانته ، وبانست ثقته وعنايته بالعلم ، لم يلتفت فيه الى قول أحد ، الا أن يأتى فسى جرحته ببينة عادلة تصح بها جرحته ، على طريق الشهادات ، والعمل فيها من المشاهدة والمعينة لذلك بما يوجب قوله من جهة الفقه والنظر .

قال : وأما من لم تثبت أمانته ولا عرفت عدالته ، ولا صحت لعدم الحفظ والاتقان روايته ، فانه ينظر فيه الى ما اتفق أهل العلم عليه ، ويجتهد فى قبول ما جاء به على حسب ما يورث النظر اليه ، والدليل قال : على أنه لا يقبل فيمن اتخذه جمهور من جماهير المسلمين اماما فى الدين قول احد من الطاعنين " ٢

وهذا مجمل رأيه ، وتفصيله ، ولا يخفى أنه يسلم له فى كثير من التفصيل الذى ذكره ، ولكن يجب أن يناقش فى بعض النقاط هى :

١ - اجماله فى عدم النظر الى جرح توجه الى من قد ثبتت عدالته باشتهاره بطلب العلم وتشديده فى اثبات جرحته بعد ذلك .

٢ - استدلاله بالحديث الذى ذهب الى معناه ، مع أن للعلماء فيه كلاما كثيرا لم يذكره ههنا كعادته ، ومن هنا لابد من الرجوع الى أهل هذه الصنعة لى يتضح مدى موافقتهم للحافظ ، أو مخالفتهم له فيما ذهب اليه هنا .

(١) جامع بيان العلم وفضله له ٢ : ١٨٤ ، و ٢ : ١٨٥

(٢) نفس المصدر السابق ٢ : ١٨٦

قال الخطيب البغدادي بعد كلام كثير عن أقسام العدالة ومناقشة الموضوع : " باب في المحدث المشهور بالعدالة والثقة والأمانة لا يحتاج إلى تزكية المعدل " ثم ذكر من ينطبق عليهم ذلك ، قال : ومن جرى مجراهم في نهاية الذكر ، واستقامة الأمر ، والاشتهار بالصدق والبصيرة والفهم لا يسأل عن عدالتهم ، وإنما يسأل عن عدالة من كان في عداد المجهولين ، أو أشكل أمره على الطالبين . . . " ١ "

وقال النووي في تقريره : " ثبت العدالة بتنصيب عدلين عليها ، أو بالاستفاضة قال : فمن اشتهرت عدالتها بين أهل العلم ، وشاع الثناء عليه بها ، كفي فيها ، قال بعد أن ضرب الأمثلة لذلك " ٢ " : وتوسع ابن عبد البر فقال : كل حامل . . . علم الحديث قال النووي : وقوله هذا غير مرضي " ٣ " وقال ابن كثير : " لو صح ما ذكره من الحديث كان ما ذهب إليه قويا ، ولكن في صحته نظر قوي " ٤ .

ومن خلال ما تقدم يتضح أن الحافظ ابن عبد البر قد أخذ في هذه المسألة مذهباً لم يوافق عليه أكثر العلماء من أهل هذا الشأن ، فهم لا يكتفون بمجرد اشتهار الطلب والمواظبة عليه ، بل لابد مع ذلك من تزكية ، أو اشتهار الثناء واستفاضة عنه ، مثل مالك وأحمد بن حنبل وشعبة ، وأما من كان دون أولئك فلا ، حتى أن ابن الصلاح ذكر أجماع العلماء على ذلك كما سبق قريباً . . " ٥ "

-
- (١) الكفاية للخطيب البغدادي ١٤٧
 - (٢) تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ١ : ٣٠١
 - (٣) نفس المصدر السابق ١ : ٣٠٢ ، وأرجع إلى : ابن الصلاح في مقدمته ٩٥ . . . وقال قبل ذلك : أجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلاً ، ضابطاً لما يرويه . . . الخ ٩٤
 - (٤) الباعث الحثيث لابن كثير ٩٤
 - (٥) مقدمة ابن الصلاح ٩٤ ، وانظر : مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥٥

قلت : ولكن مع ذلك قد وافق بعض العلماء الحافظ ابن عبد البر على ما ذهب اليه منهم ابن المواقى^١ وغيره ، ككلمين سيد الناس^٢ والذهبي ، قال الأنصارى ، قال الذهبي :

“انه حق — أى ما ذهب اليه ابن عبد البر — قال : ولا يدخل فيه المستور ، فانه غير مشهور بالمناية بالعلم ، فكل من اشتهر بين الحفاظ بأنه من أصحاب الحديث ، وأنه معروف بالمناية بهذا الشأن ، ثم كشفوا عن أخباره فما وجدوا فيه تثبتا ، ولا اتفق لهم علم بأن أحدا وثقه ، فهذا الذى غناه الحافظ بأنه يكون مقبول الحديث ، السى أن يلح فيه جرح ” ... ”^٣

قلت : ومعد ما سبق يتضح رجحان ما ذهب اليه أكثر العلماء من اشتراط التزكية ، وعدم الاكتفاء بمجرد الطلب المحض .

فالى الحديث الذى استدل به الحافظ ابن عبد البر لما ذهب اليه ..

جـ — بيان الحديث الذى استدل به الحافظ على عدالة الرواة ، والكلام عليه :

لا شك أن الحديث الذى استدل به الحافظ ابن عبد البر قد ورد بطرق متعددة ، وأورده كثير من العلماء فى تصانيفهم ، والذى يهمنى هنا : ايراد الطرق التى ورد بها عند العلماء من أهل هذا الشأن وايضاح كلامهم على تلك الطرق ، ثم بيان ما يدور راجحا ان شاء الله فقد ورد بما يلى من الطرق :

(١) تدريب الراوى للسيوطى ١ : ٣٠٢ هـ وابن المواقى هو : الحافظ أبو عبد الله محمد بن الامام يحيى تلميذ ابن القطان ، وكان من جلة هذا الفن تعقب كتاب بيان الوهم والايهام لابن القطان ، وكانت وفاته سنة ٧٢١ هـ تدريب الراوى ١ : ١٤٥ — ١٤٦

(٢) هو الشيخ فتح الدين بن سيد الناس ، أبو الفتح محمد بن محمد اليممرى المصرى الأندلسى الشافعى المتوفى سنة ٧٣٤ هـ تدريب الراوى ١ : ٤٨

(٣) فتح الباقي على الفية المراقى مع التبصرة والتذكرة للأنصارى ١ : ٢٩٩

- ١ — طريق ابراهيم بن عبدالرحمن العذرى من مرسله "١"
- ٢ — عن طريق، أبى هريرة رضى الله عنه .
- ٣ — عن طريق أبى امامة الباهلى رضى الله عنه .
- ٤ — عن طريق عبدالله بن مسعود رضى الله عنه .
- ٥ — عن طريق عبدالله بن عمر رضى الله عنهما .
- ٦ — عن طريق عبدالله بن عمرو رضى الله عنه .
- ٧ — عن طريق على بن أبى طالب رضى الله عنه .
- ٨ — عن طريق أسامة بن زيد رضى الله عنهما .
- ٩ — عن طريق جابر بن سمرة ، ولكن لم أقف عليه .
- ١٠ — عن طريق ابن عباس رضى الله عنهما .
- ١١ — عن طريق معاذ رضى الله عنه . "٢"

هذا عددا وصل الى من تلك الطرق ، وأما تعداد الأسانيد الى
هو لا ، والطرق الموصلة اليهم ، فكثيرة جدا ، فلذلك سأحاول الإشارة
الى تلك الطرق فى هذا البحث ان شاء الله .

- ١ — طريق ابراهيم بن عبدالرحمن العذرى ، وقد كان مرسلا لهذا الحديث
ففيه قد أخرجه ابن عبدالبر ، وابن عدى ، والخطيب البغدادى
وابن أبى حاتم ، والمقلى ، كلهم بالفاظ متقاربة ، وكان أكثر تلك
الطرق عن معان بن رفاعه السلاى "٣" عن ابراهيم المذكور ، ومضها

(١) هو : ابراهيم بن عبدالرحمن العذرى ، من التابعين قال عنه
الذهبي : تابعى مقل ، ما علمته واهيا ، أرسل حديث يحمل هذا
العلم الحديث . الميزان للذهبي ١ : ٤٥ ، والاصابة لابن حجر
المسقلانى ١ : ١١٧

(٢) فتح المفيت للسخاوى ١ : ٢٧٦

(٣) هو : معان — بضم الميم وفتح المعين — بن رفاعه السلاى ، قال
المقلى : وقال يحيى بن معين : وكان ضعيفا ، وقال الذهبي : انه
ليس بعمدة ، قال : ولا سيما أتى بواحد لا يدري من هو ، وقال
السيوطى : ضعفه ابن معين وأبو حاتم وابن حبان وابن عدى
والجوزجاني ، قال : وثقه ابن المدينى وأحمد ، وقال عنه

عن الوليد بن مسلم ^١ عن ابراهيم .

وكذلك كانت تلك الطرق كلها تنتهي من عند ابراهيم عن النبي صلى الله عليه وسلم الا بعض منها يقول فيه ابراهيم المذكور : حدثنا الثقة من أشياخنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الحديث .

فأولا : طرق ابن عبد البر :

أورد الحافظ ابن عبد البر ثلاث طرق لهذا الحديث عن طريق معان عن ابراهيم عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والفاظها واحدة ، وهي انه قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين " . ^٢

أورد هذه الطرق دون أى تعليق عليها ، من جهة أسانيدها .

ثانيا : طرق مرسل ابراهيم المذرى عند ابن عدى :

لقد أخرج ابن عدى خمس طرق ، لمرسل ابراهيم الا أن اثنتين منها قد أسندهما ابراهيم الى الثقة عنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثالثة الأخرى جاءت مرسله بالفاظ متقاربة قال فيها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه كذب الجاهلين ، وانتحال المبطلين ، وافتراء الغالين " . ^٣

ابن حجر : الثامن لـين الحديث كثير الارسال ، من السابعة
تقريب التهذيب لابن حجر ٢ : ٢٥٨ ، وتدريب الراوى للسيوطى ١ : ٣٠٣ ، وميزان الاعتدال للذهبي ١ : ٤٥ ، والضملاء للمقيلسى مخطوط ٢١٧

(١) هو : الوليد بن مسلم القرشى مولا هم أبوالمعباس الدمشقى ، ثقة ، ولكنه كثير التدليس والتسوية ، وهومن الطبقة الثامنة ، روى له الجماعة تقريب التهذيب ٢ : ٣٣٦

(٢) مقدمة التمهيد للحافظ ابن عبد البر ١ : ٥٨ و ١ : ٥٩

(٣) الكامل لابن عدى مصور ٤٦ — ٤٧ و ٤٨ — ٤٩

وأما الاسنادان الآخران لحديث ابراهيم عند ابن عدى
فأحدهما يقول فيه ابراهيم المذكور : حدثنا الثقة من أشياخنا قال :
قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه .

وأما الثانى فيقول فيه حدثنى الثقة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : نحوه " .
وكلا الاسنادين الأخيرين عن الوليد بن مسلم عن ابراهيم عن الثقة
عن النبى صلى الله عليه وسلم . " ١ "

ثالثا : طرق هذا الحديث وأغنى مرسل ابراهيم عند الخطيب البغدادي :

وهى طريقة واحدة وهى لسمان عن ابراهيم بن عبد الرحمن المذرى
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يرث هذا العلم من
كل خلف عدوله " . " ٢ "

رابعا : طرق هذا الحديث عند ابن أبى حاتم :

وقد أورد ابن أبى حاتم من حديث ابراهيم المذرى طريقين :
أحد الطريقين باللفظ المتقدم .
وثانيهما : عن معان بن رفاعة عن ابراهيم المذرى قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم " ليحمل هذا العلم من كل خلف
عدوله ينفون عنه تحريف الزنايين وانتحال البهليلين وتأويل
الجاهلين " ٣ "
بلام الأُسْر .

خامسا : طريقته عند المعقلى :

وقد روى المعقلى حديث ابراهيم المذرى المرسل بطريقة واحدة
باللفظ السابق لمعظم العلماء . " ٤ "

-
- (١) نفس المصدر السابق ٤٨ و ٤٩
(٢) شرف اصحاب الحديث للخطيب البغدادي ١٦
(٣) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم القسم الأول من المجلد الأول ١٧
(٤) الضمفاء للمعقلى مصور بمكتبة الحرم المكي ٢١٧

٢ — ذكر طرق حديث أبي هريرة :

وأما رواية أبي هريرة لحديث يحمل هذا العلم الحديث ، فـ قد
أخرجها كل من الحافظ ابن عبد البر وابن عدى والخطيب البغدادي .

فأولا : ساق ابن عبد البر مسنده الى عبد الله بن عمرو وأبي هريرة
أنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث باللفظ
المتقدم من مرسل ابراهيم المذري " ١ " .

ثانيا : طرق ابن عدى التى روى بها حديث أبي هريرة ، فـ قد
رواه بثلاث طرق بنفس اللفظ السابق عن المرسل المتقدم ، وأشار
ابن عدى فى الطريقة الأولى منها بأنه لم يوهذا الحديث لمروان
القرارى — أحد رواة — بهذا الاسناد الا من تلك الطريق التى
أوردها ، ويقول على الرواية الثالثة : وهذا الحديث لا يرويه غير
مسلمة بن على — من رجال السند — " ٢ " .

ثالثا : طريقة الخطيب البغدادي التى أخرج بها حديث أبي هريرة
وهى طريقة واحدة أخرج بسنده الى أبي هريرة رضى الله عنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث كما تقدم " ٣ " .

٣ — طرق حديث أبي أمانة الباهلى :

وهو مخرج عند الحافظ ابن عبد البر ، وابن عدى فى الكامل

فأولا : طريقه عند ابن عبد البر ، هى طريقة واحدة ، قال : وروى
عن أبي أمانة عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله سواء " ٤ " .

-
- (١) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ١ : ٥٩
 - (٢) الكامل لابن عدى مصور بمكتبة الحرم المكى ١ : ٤٦ و ١ : ٤٧
 - (٣) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ١٦
 - (٤) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ١ : ٥٩

ثانياً : طريقة ابن عدى التى أخرج منها حديث أبى أمانة الباهلى
وهى طريقة واحدة ، ساق سنده الى أبى أمانة الباهلى قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث " ١ " .

٤ — طرق حديث ابن مسعود رضى الله عنه ، وهو عند الخطيب البغدادى
وقد ساق الخطيب الى عبدالله بن مسعود السند ، قال : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " يوث هذا العلم من كل خلف
عدوله " . " ٢ "

٥ — طرق حديث عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما ، وقد أورده ابن عدى
بطريقة واحدة بسنده قال : عن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله
ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين " .
قال ابن عدى : وهذا الحديث بهذا الاسناد لا أعلم يرويه عن غير
خالد بن عمرو " ٣ "

٦ — طرق حديث عبدالله بن عمرو رضى الله عنه .
وهذا الحديث لم أظفر بمن ذكره ، إلا ابن عبد البر حيث ذكره مقروناً
بأبى هريرة كما تقدم " ٤ " .

٧ — طرق حديث على بن أبى طالب ، وقد أخرجه ابن عدى فى كامله
بطريقة واحدة ، ساق سنده الى على رضى الله عنه ، قال :
عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الحديث بتمامه " ٥ " .

-
- (١) الكامل لابن عدى ٤٨ و ٤٩
 - (٢) كتاب شرف اصحاب الحديث للخطيب البغدادى ١٦
 - (٣) الكامل لابن عدى ٢ : ٤٦
 - (٤) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ١ : ٥٩
 - (٥) الكامل لابن عدى ٢ : ٤٦

٨ — طرق حديث أسامة بن زيد رضى الله عنهما :
لقد ذكر له الخطيب طريقة واحدة رواها بسنده الى أسامة أنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الحديث بمثابة " ١٠٠٠٠٠ " ١

قلت : هذا ما يتعلق بطرق هذا الحديث واختلاف الفاظها ،
فلذلك ينبغي فى نظرى البحث عن كلام العلماء على هذه الطرق
المديدة ، من تصحيح وتوضيح حتى يتسنى الحكم بمد ذلك
ان شاء الله ، فالحكم على الشئ فرع عن تصويره كما هو القاعسة
الأصلية ، فالى كلام العلماء على هذا الحديث ٠٠٠٠

كلام أهل الحديث على هذا الحديث وما يتعلق به :

- أ — ذكر من صححه أو حسنه من أهل هذا الشأن .
- ب — ذكر من ضعفه أو وصفه بالوضع .

أ — أولاً من صححه أو حسنه :

- ١ — أحمد بن حنبل روى الخطيب بسنده عن مهنا ^٢ بن يحيى قال سألت : أحمد ٠٠٠ عنه وقلت : له كأنه كلام موضوع قال : لا هو صحيح ، فقلت له ممن أنت سمعته قال : من غير واحد ٠٠٠٠ ^٣

-
- (١) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ١٦
 - (٢) هو : مهنا بن يحيى الشامي ، صاحب الامام أحمد ، روى عن بقية بن الوليد وعن كبار العلماء ، قال الذهبي ناقلاً عن الأزدي : انه منكر الحديث ، قال : وقال الدارقطني : ثقة نبيل ، الميزان للذهبي ١٩٧ : ٤

- (٣) كتاب شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ١٧ ، وتدريب الراوى للسيوطي ١ : ٣٠٣ ، فتح المفتي للسخاوي ١ : ٢٧٦ ،

٢ — نقل السخاوى عن المسكوى^١ عن أبى موسى عيسى بن صبح^٢ تصحيحه .^٣

٣ — أبو عبد الله السيد محمد بن إبراهيم الوزير اليماني قال :
 " واختلفوا فى صحة اسناده وارساله ، ثم قال : قال العقيلي
 الاسناد أولى ، وقال ابن القطان : الارسال أولى . ثم قال :
 " والقوى صحة الحديث كما ذهب الى ذلك امام أهل الحديث
 احمد بن حنبل والعلامة أبو عمر بن عبد البر — قلت : ولكن هذا
 يخالف ما ذكره عنه السخاوى من تضعيفه له — . الى أن قال :
 قلت : الظاهر صحته أحسنه فانما علل بالارسال ، والاختلاف فى
 ممان ، قال : وأما الارسال فقد ارتفع بقول ابن عدى ان الثقات
 روه عن إبراهيم بن عبد الرحمن الثقة .^٤ مع شهادة تلك
 الطرق المتقدمة لاسناده ، قال : وان كان زين الدين ضعفها ،
 فالضعيف يستشهد به ، قال : وقد تكثر الطرق الضعيفة فيقوى
 المتن على حسب ذلك الضعف ، فى القلة والكثرة . الى أن
 قال : والتلحين لا يقتضى رد الحديث ، بل يسقطه من مرتبة الصحة
 ويجوز أن يكون حسنا لا سيما وهو من قبيل الجرح المطلق
 وهو مردود مع التوثيق الراجع الخ^٥
 قلت : وجعل الوزير اليماني يورد الحجج والمبرجات التى يراها
 دليلا على صحة هذا الحديث أحسنه .^٦

(١) هو الحسن بن رشيق الامام المحدث ، مسند بلده ، أبو محمد المسكوى
 المصرى المعدل ، ولد سنة ٢٨٣ ومات سنة ٣٧٠ ، تذكرة الحفاظ
 للذهبي ٣ : ٩٥٩

(٢) يقول عنه السخاوى بأنه : ليس بعمدة ، وهو من كبار المعتزلة ، فتح
 المفيث ١ : ٢٧٦

(٣) فتح المنيث للسخاوى ١ : ٢٧٦

(٤) الروض الباسم لمحمد بن إبراهيم الوزير ٢١

(٥) نفس المصدر السابق ٢١

(٦) ارجع مثلا الى : المصدر السابق ٢١ و ٢٢٢ و ٢٣

ب — " ذكر من ضعفه أو وصفه بالوضع " :

١ — المصراقي فقد ناقش المسألة وحاول بادر الامكان أن يدلل على ضعفه ، فقال :

" يحمل حكمه فيه الرفع على الخبر والجزم على إرادته لا الأمر ، وعلى تقدير كونه مرفوعا فهو خبر أريد به الأمر ، بدليل ما رواه أبوحاتم في بعض طرق هذا الحديث ليحمل هذا الملم الحديث ٠٠٠ قال : بلام الأمر ، على أنه لو لم يسرد ما يخلصه للأمر لما جاز حمله على الخبر ، لوجود جماعة من أهل العلم غير ثقات ، قال : ولا يجوز الخلف في خبر الصادق .

قال : فيعين حمله على الأمر على تقدير صحته ، قال : وهذا مما يوهن استدلال ابن عبد البر به لأنه إذا كان الأمر فلا حجة فيه .

قال : ومع هذا فالحديث أيضا غير صحيح لأن أشهر طرق الحديث رواية معان بن رفاعه ، ثم ذكر من رواه كما سبق ثم نقل عن العقيلي ما سيأتي أنه قال : لا يعرف إلا به^١ .

قال : وهذا إما مرسل أو معضل ، قال : وإبراهيم هذا الذي أرسله لا يعرف بشيء من العلم غير هذا ، قال — أبو الحسن ابن القطان ٠٠٠٠ إلى أن قال : وقد روى هذا الحديث متصلا فذكر بعض الطرق السابقة ثم قال :

وكلها ضعيفة لا يثبت منها شيء وليس فيها شيء يقوى المرسل المذكور .^٢

٢ — وقال ابن الصلاح : وتوسع ابن عبد البر الحافظ فقال ٠٠٠٠

(١) التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح ، للمصراقي ١٣٨

(٢) نفس المصدر السابق ١٣٩

الى أن قال : وفيما قاله اتساع غير موصى^١ وقال ابن كثير معلقا على كلام ابن عبد البر في تعديل الرواة :

٣ — قلت : لو صح ما ذكره من الحديث لكان ما ذهب اليه قويا ، ولكن في صحته نظر قوي ، والأغلب عدم صحته . والله أعلم .^٢

٤ — وقال السيوطي بعد حكايته عن ابن عبد البر :

والحديث من الطريق الذي أورده مرسل أو معضل وإبراهيم هو الذي أرسله قال فيه ابن القطان : لا نعرفه البتة .^٣ ثم ذكر ما سبق عن العراقي الى أن قال : قال ابن القطان معلقا على تصحيح الإمام أحمد له : وخفى على أحمد من أمره ما علمه غيره ، ثم ذكر من أخرجه . . . الى أن قال السيوطي : ثم على تقدير ثبوته إنما يصح الاستدلال به لو كان خبرا ثم ذكر بقية ما سبق عن العراقي الى أن قال : " ومعناه أنه : أمر للثقات بحمل العلم لأن العلم إنما يقبل عنهم " .^٤

٥ — ابن حجر المصقلاني قال في ضمن كلامه على إبراهيم بن عبد الرحمن المذري الذي أرسل هذا الحديث : وأورده أبو نعيم ثم قال وهكذا رواه الوليد عن معاذ ، ورواه محمد بن سليمان بن أبي كريمة عن معاذ عن أبي عثمان عن أسامة . ولا يثبت^٥ وقال : وقد أورد ابن عدي هذا الحديث من طرق كثيرة كلها ضعيفة .^٦

(١) مقدمة ابن الصلاح ٩٥

(٢) الباعث الحثيث لابن كثير ٩٤

(٣) تدريب الراوي للسيوطي ١ : ٣٠٢

(٤) نفس المصدر السابق ١ : ٣٠٣

(٥) الإصابة لابن حجر ١ : ١١٧

(٦) نفس المصدر السابق ١ : ١١٨

٦ — المقيلى قال بعد أن ساق مرسل إبراهيم المذرى : " وقد رواه قوم مرفوعا من جهة لا يثبت " . " ١ "

٧ — الهيثمى يقول على حديث أبى هريرة وعبدالله بن عمرو الذى سبق أن ذكرته عن الحافظ ابن عبد البر : قال فيه : " رواه البزار وفيه عمرو بن خالد القرشى كذبه يحيى بن معين واحمد بن حنبل ونسبه الى الوضع " . " ٢ "

٨ — السخاوى قال :

" قد خولف ابن عبد البر لكون الحديث مع كثرة طرقه ضعيفا ثم نقل عن كل من العراقى وابن عبد البر تضعيفه " ٣ " ثم قال : قال الدارقطنى : انه لا يصح مرفوعا ، يعنى مسندا ، ونقل كلام ابن حجر السابق ثم قال : وحكم عليه غيره بالوضع ، ثم ذكر كثيرا مما سبق عن غيره ، ثم قال : وان قال : العلائى فى حديث أسامة منها انه حسن غرب ٠٠٠٠ قال : وحديث أسامة لمخصوصه قال فيه أبو نعيم : انه لا يثبت ٠٠٠٠ " ٤ " وأورد السخاوى بعض ما قد يشهد له من كلام العلماء وقواعدهم المطلقة ، ثم قال : ومع هذه الاحتمالات فلا يسوغ الاحتجاج به ٠٠٠٠٠٠ " ٥ "

٩ — احمد محمد شاكر ، ذكر جميع من رواه من الصحابة ، ورواية إبراهيم التى أرسلها ، ثم قال : وكلها ضعيفة لا يثبت منها شئ ، يقوى المرسل المذكور ٠٠٠٠٠ " ٦ "

(١) الضعفاء للمقيلى ٢١٧

(٢) مجمع الزوائد للهيثمى ١ : ١٤٠

(٣) فتح المغيث للسخاوى ١ : ٢٧٥ قلت : وقد اطلعت على رواية ابن عبد البر لهذا الحديث فى مقدمة تمهيديه كما سبق ، ولم أظفر بأى كلام له على هذا الحديث ، فليعلم ذلك

(٤) فتح المغيث للسخاوى ١ : ٢٧٦

(٥) نفس المصدر السابق ١ : ٢٧٧

(٦) تعليق احمد محمد شاكر على الباعث الحثيث ٩٤

١٠- الدكتور محمد محمد السماحي ، لقد ذكر كثيرا ما يدل فيه من التضعيف ولم يعلق عليه شيئا ، وهو ما يدل على اقراره لذلك الكلام^١

قلت : هذا ما يتعلق بالكلام على هذا الحديث ، تصحيحا وتحسينا ، أو تضعيفا ووضعيا ، ولو لا سبق كبار العلماء الى تضعيف هذه الطرق^٢ لما ترددت في الحكم بتحسين هذا الحديث لتمدد رواياته ولكثرتها ، ولكنني أكاد أجزم بأنه : له أصل ، وخاصة عندما رأيت بعض طرقه عند ابن عدي وقد سكت عنها مع تمليقه على الطرق الأخرى منها .

ولا يخفى أن تلك الطرق التي يسكت عليها الحافظ ابن عدي قد أسندها الى شاة بعد ابراهيم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم^٣ فيحتمل احتمالا قويا أن تلك الثقة المبهمة كانت صاحبا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يضر جهالة الصحابي كما لا يخفى ، فإذا كان الأمر كذلك ، فقد ارتفع تضعيف الحديث بالارسال ، وينظر بعد ذلك في طرق الحديث التي وردت مرفوعة ، وقد سبق الحكم عليها جميعا بالضعف ، إلا أن الضعف ليس كله بدرجة واحدة ، ومن المعلوم أن — ضعف تلك الطرق ليس بشديد ، وخاصة بعضها منها ، ولذلك سبق كلام بعض العلماء في تصحيح الحديث أو تحسينه ، إلا أن السدي أراه أنا وأميل اليه أن :

هذا الحديث ضعيف ولكن ضعفه ليس بشديد ، ولذلك يمكن أن يكتب للاستشهاد به ، والاعتضاد بمعناه ، كما يمكن أن يوثق الى درجة الحسن لغيره بمجرد ورود طرق له تماثل الطرق السابقة ، في عدم ضعفها ضعفا شديدا . هذا ما ظهر لي والله أعلم .

(١) المنهاج الحديث في علوم الحديث قسم الرواية ٦١-٦٢

(٢) ارجع مثلا الى : الاصابة لابن حجر ١ : ١١٨ والضعفاء للمقبلي ٢١٢ ، وفتح المنيث للسخاوي ١ : ٢٧٥ والتقييد والايضاح — للمراتي شرح مقدمة ابن الصلاح ١٣٩

(٣) الكامل لابن عدي ١ : ٤٨ — ٤٩

الفصل الثانى

ابن عبد البر وعلم تاريخ رجال الحديث وما يتعلق به

وهذا الفصل يتضمن الأبحاث التالية :

- المبحث الأول : ابن عبد البر يصب أخطاء بعض المحدثين ،
ومضى المؤرخين ويرد عليهم
- المبحث الثانى : ابن عبد البر يصحح الأحاديث
- المبحث الثالث : ابن عبد البر يضعف كثيرا من الأحاديث

فالمبحث الأول سيشمل بعون الله :

- ١ — أمثلة يصحح فيها الحافظ أخطاء بعض من تقدمه ، فى بعض الوقائع
- ٢ — ثم ردوده على أفراد من أعيان العلماء مثل :
 - أ — رده على مالك بن أنس
 - ب — رده على أبى حنيفة
 - ج — رده على محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة
 - د — رده على الزهرى
 - هـ — ثم ذكر كثير من أرقام صفحات من كتبه خطأ فيها وصب
وهى تدل على عمقه ومهارته فى هذا الموضوع .

١ — أمثلة يصح فيها الحافظ ابن عبد البر إخطاء بعض من تقدمه
في بعض الوقائع :

لا شك أن الحافظ ابن عبد البر قد كثرت منه الردود ، والتعليقات
كثرة هائلة على كثيرين من تقدمه ، وذلك لما يتصف به من حرية
الفكر وسعة الاطلاع ، فقد حاول رحمه الله اظهار الحق الذي يراه
صوابا ، دون أن يداهن أحدا أيا كان في ابداء ما يراه حقا ، أو يقلده
في رأيه ، الخاص به دون أن يكون للحافظ هو بنفسه رأى في تلك
الواقعة ، وهذا ما يدل دلالة واضحة على استقلاله التام في رأيه ،
ودورانه مع النص أينما دار .

وهذا أول أن ذكر تلك الأمثلة المشار اليها :

أولا :

قال عن علي رضي الله عنه وخديجة رضي الله عنها : ولم يذكرهما
ابن مسعود ولا مجاهد — أي في أول من أسلم — قال : وهما
أول من أسلم عند أكثر أهل العلم ، ثم علل سبقهما إلى الاسلام
فقال : " لأنهما في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن في
بيته كان في جوارعه ، قال : ومع ذلك فأنهما لم يظهر إلى قريش
منهما ذلك فلم يؤذيا " . " ١ "

وتصدقا لما ذهب إليه ابن عبد البر نجد ابن اسحاق يقول قبل
الحافظ : " وآمنت به خديجة بنت خويلد ، وصدقت بما جاءه من
الله . . . وكانت أول من آمن بالله ورسوله " . " ٢ " ثم قال ابن اسحاق :
ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تعالى : علي بن أبي طالب " ٣ "
قلت : ولا يخفى رجحان هذا ، وهو لا يتجه سواء .

(١) الدرر في اختصار المفازي والسير لابن عبد البر ٤٤

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٤٠

(٣) نفس المصدر السابق ١ : ٢٤٥

ثانياً : ورد فى بعض الأخبار ^١ " أن أبا موسى الأشعرى رضى الله عنه من جملة المهاجرين الى أرض الحبشة ، ولكن الحافظ ابن عبد البر قد أبى ذلك ، قائلا : " ليس الأمر كذلك ، ولكنه خرج فى طائفة من قومه مهاجرا من بلده باليمن يريد المدينة — المنورة — ، فركبوا البحر فمرضهم الريح بالسفينة التى كانوا فيها الى أرض الحبشة ، فأقام هنالك حتى تدم مع جعفر بن أبى طالب " . ^٢

ونقل الحافظ ابن حجر القولين فى ذلك ثم قال مشيراً الى رجحان القول بأنه لم يهاجر : وهذا أصح " . ^٣

ويدولى رجحان قول الحافظ ابن عبد البر وذلك لكونه معـه زيادة علم لم تكن مع ابن اسحاق فى السيرة .

ثالثاً : غزوة بنى المصطلق :

اختلف فى وقت هذه الغزاة : فقيل : كانت قبل الخندق وقريظة ، وقيل كانت بعد ذلك ، قال ابن عبد البر مشيراً الى صحة السراى الأخير : " وهو الصواب ان شاء الله " . ^٤

ويقول ابن اسحاق بأن وقتها فى شعبان سنة ست بينما كانت الخندق فى ذى القعدة سنة خمس . ^٥

وذكر البخارى القولين معا ولم يرجح أحدهما . ^٦

والراجع ما ذهب اليه ابن عبد البر وابن اسحاق

-
- (١) منهم ابن هشام فى السيرة ، قال : من رحل الى الحبشة من بنى عبد شمس ٠٠٠ أبو موسى الأشعرى ، واسمه : عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة ، السيرة لابن هشام ٣٢٤ : ١
 - (٢) الدرر فى اختصار المفازى والسير لابن عبد البر ٥٤
 - (٣) تهذيب التهذيب لابن حجر ٥ : ٣٦٢
 - (٤) الدرر فى اختصار المفازى والسير لابن عبد البر ٢٠١
 - (٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٩
 - (٦) صحيح البخارى ٥ : ١٤٧

رابعاً : رده على واقعة تاريخية وقعت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت في غزوة بني المصطلق يقول فيها الحافظ ابن عبد البر : ورواية من روى ان سعد بن معاذ راجع سعد بن عباد : وهم خطأ ، وانما تراجع في ذلك سعد بن عباد مع أسيد بن حضير ثم قال : كذلك ذكر ابن اسحاق عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله وغيره ^١ قال الحافظ ابن عبد البر : وهو الصحيح ، لأن سعد بن معاذ مات في منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني قريظة لا يختلفون في ذلك ، ولم يدرك غزوة المريسيع ولا حضرها . ^٣

وفي صحيح البخاري القولين مما فقد ذكر أن الذي تكلم أولاً في ذلك اليوم في غزوة بني المصطلق لما طلب الرسول صلى الله عليه وسلم أحدا يمدده من رجل يقع في عرض أهله ، وأنه لا يعلم عن أهله إلا خيراً : هو سعد بن معاذ ، ولكن بعد أن تكلم أولاً ورد عليه سعد بن عباد تكلم أسيد بن حضير . ^٤

واذا نظرنا الى تاريخ الفزوتين يترجع كلام الحافظ ابن عبد البر ، حيث أن غزوة بني المصطلق كانت على الراجح في سنة ست من الهجرة بينما كانت غزوة بني قريظة في السنة الخامسة .

خامساً : قال ابن عبد البر في جملة ردوده وتصحيحاته لما يراه خطأ ، قال : في غزوة خيبر : " الصحيح في أرض خيبر أنها كانت غنوة كلها مغلها عليها " ^٥ قال : وأما من قال ان خيبر كان بعضها

-
- (١) راجع السيرة لابن هشام ٢٠ : ٣٠٠ وقد صرح بان الذي قام أولاً يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم هو أسيد بن حضير ، كما صرح به ابن عبد البر
 - (٢) الدرر في اختصار المفازي والسير لابن عبد البر ٢٠٢ ، وغزوة المريسيع : هي غزوة بني المصطلق .
 - (٣) نفس المصدر السابق ٢٠٣
 - (٤) صحيح البخاري ٥ : ١٥٢
 - (٥) الدرر في اختصار المفازي والسير ٢١٤

صلحا والبعض الآخر غنوة ، قال : بأن من قال هذا فقد وهم "١"
وظلت ، وإنما دخلت عليه الشبهة بالحصنين اللذين أسلمهما أهلها
لحقن دمائهم "٢" فلما لم يكن هذان الحصنان مغنومين ظن أن ذلك
صلح "٣"

ولا يخفى ما فى هذه الخزوة من الخلاف بين العلماء ، ولكن ابن
اسحاق قد روى ما عساه أن يكون فيه فضا لذلك النزاع حيث قال :
" وحدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك فلما رأوا رسول الله
صلى الله "٤" عليه وسلم ، والجيش ، قالوا : محمد والخميس معه -
أى الجيش - فادبروا هربا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
الله أكبر خربت خير "٥" قلت : فهذه الرواية ترجح ما اختاره
الحافظ ابن عبد البر من كون خير ففتح غنوة ، وهذا هو الأرجح
أن شاء الله .

٢ - ثم من جملة ردوده الموجهة الى كثيرين ممن كان قبله : ردوده على
أفراد من أعيان العلماء ، مثل :

١ - مالك بن أنس رحمه الله "٦" قال الحافظ ابن عبد البر : وقد روى
عن مالك أنه قال : ليس فى صلاة كسوف القمر سنة ، ولا صلاة ،
فيها الا لمن شاء .

قال أبو عمر فى ردده على الامام مالك فى ذلك : " وهذا شئ لم
يقله أحد من العلماء غيره ، وسائر العلماء يرون صلاة كسوف القمر
سنة كل على مذهبه "٧"

-
- (١) والقاتل لذلك هو موسى بن عقبة فى سيرته
 - (٢) والحصنان هما : الوطيح والسلالم . من حصون خير
 - (٣) الدرر فى اختصار المغازى والسير ١١٥
 - (٤) السيرة لابن هشام ٢ : ٣٢٩
 - (٥) نفس المصدر السابق ٢ : ٣٣٠
 - (٦) وانظر بعض ردوده ابن عبد البر على مالك بن أنس فى : الاستذكار لابن
عبد البر ٢ : ٥١ ، و ٢ : ٥٧ ، و ٢ : ١٣٤ ، و ٢ : ١٣٧ ، والتقصى
لابن عبد البر أيضا ١٤٩
 - (٧) التمهيد لابن عبد البر ٣ : ٣١٧

قلت : هذا من أكبر الأدلة على تحرر فكر الحافظ ابن عبد البر حيث لم تمنعه العاطفة المذهبية التي تحجم الكثورين عن إيضاح الحقائق الثابتة بالكتاب والسنة ، قلت : لم تمنعه تلك العاطفة هنا ، فتحول بينه وبين اظهار الحقيقة الثابتة بنصوص الشريعة ، وان كان المردود عليه من أكبر الناس في نظر الحافظ ابن عبد البر فجزاه الله خير الجزاء على اظهار الحق ولو كان مرا .

والواقع أن ما ذهب اليه الحافظ هنا هو الذي وردت به الأحاديث والرجوع الى كتب السنة الثابتة يتضح ذلك . " ١ "

ب - رده على الامام أبي حنيفة رحمه الله ، قال الحافظ في ذلك : " قال أبو حنيفة : لا يدخل وقت العصر حتى يصير ظل كل شيء مثله ، قال أبو عمر في رده لذلك : فخالف الآثار ، وجماعة العلماء في ذلك ، وجعل وقت الظهر الى أن يصير ظل كل شيء مثله ، وجعل بينهما واسطة ليست منهما ، قال : وهذا لم يقله أحد " . " ٢ "

ولا أتردد هنا أدنى تردد في موافقة الحافظ ابن عبد البر فيما ذهب اليه ، وذلك للأحاديث التي وردت في تحديد دخول أول وقت العصر بأن يصير ظل كل شيء مثله . " ٣ "

وذلك هو الراجح بلا نزاع .

ج - رد الحافظ ابن عبد البر على محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ، في قوله :

-
- (١) انظر مثلاً : الى صحيح البخارى فقد روى البخارى بسنده عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عندما صلى في كسوف الشمس " ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتوهما فصلوا وادعوا " الحديث وصحيح مسلم مع شرح النووي ٦ : ٢٠٨
- (٢) التمهيد لابن عبد البر ٣ : ٢٨٠
- (٣) انظر مثلاً : صحيح مسلم مع شرحه للنووى ٥ : ١٠٧ و ٥ : ١٠٨ وما بعده ، وبلوغ المرام لابن حجر ٤٢ والنسائي في سننه ١ : ٢٠١ وقد صرح بأن أول وقت العصر حين كان في كل شيء مثله .

" ان النائم اذا قام أكثر من يوم وليلة ، فلا قضاء عليه ، " ١ " قال الحافظ في الرد عليه : لا أعلم أحدا قال هذا القول في النائم غيمس محمد بن الحسن ، فان صح هذا عنه فهو خلاف السنة ، لانه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها اذا ذكرها " . " ٢ "

قلت : ولا يخفى صحة ما ذهب اليه الحافظ ابن عبد البر للحديث المذكور . ولما في ذلك الحديث من العموم الذي يشمل صلاة واحدة وصلاة أيام متعددة وقد أشار النووي الى ذلك في شرح الحديث السابق ، وأما ما يعتقد من دفع المشقة ، فمردود بقياس هذه المسألة بقضاء الصوم وغيره .

د - رده على الزمهرى ، ذكر الحافظ حديث الوضوء مما مست النار " ٣ " والحديث الآخر الذي فيه عدم الوضوء مما مست النار ، ثم قال الحافظ في بداية رده :
" وكان ابن شهاب رحمه الله " ٥ " قد عرف الوجهين جميعا في ذلك قال : وروى الحديثين المتعارضين في هذا الباب ، وكان يذهب الى أن قوله صلى الله عليه وسلم توضوا مما غيرت النار ، ناسخ لفعله المذكور - وهو ترك الوضوء مما غيرت النار - قال الحافظ ضمن رده على الزمهرى :
" وهذا مما غلط فيه الزمهرى مع سعة علمه ، وقد ناظره أصحابه في ذلك ،

-
- (١) التمهيد لابن عبد البر ٢٨٩:٣ والمغنى لابن قدامة ١: ٤٠٠ و ٤٠١: ٤
 - (٢) التمهيد لابن عبد البر ٢٨٩:٣ وصحيح مسلم مع شرحه للنووى ١٨٣: ٥
 - (٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووى ٤٣: ٤
 - (٤) نفس المصدر السابق ٤٦: ٤ - ٤٧
 - (٥) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب المشهور ، امام - الأئمة ، وكنيته أبو بكر ، الفقيه الحافظ متفق على جلالته ، روى له الجماعة توفي سنة ١٢٥ هـ تقريب التهذيب لابن حجر ٢: ٢٠٧ ، وتهذيب التهذيب له أيضا ٩: ٤٤٥

فقالوا : كيف يذهب الناسخ على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وهما الخلفاء الراشدون ؟

فأجابهم قائلا : أعيى الفقهاء أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه " ١ " .

والراجع هنا قول الحافظ ابن عبد البر ، بدليل الاجماع بمعد الصدر الأول على نسخ الوضوء مما مست النار ما عدا لحوم الابل " ٢ " التي وردت فيها أحاديث صحاح سهبت خلاف العلماء فيها الى اليوم ، هل هذا الاجماع يشمل لحوم الابل أم لا ؟ والذي يبدو رجحانه أن لحوم الابل مستثناة من هذا النسخ الذي اجمعت عليه الأمة ، لتلك الأحاديث الصحيحة .

هـ - ثم أخيرا ذكر كثير من أرقام صفحات من كتبه خطأ فيها وصب وهي تسدل على عبقه ومهارته في هذا الموضوع .

والحق يقال أن هذه الأرقام ما هي ولو كثرت الا مجرد مثال يدل ويرشد الى غيره ، أو بعبارة أخرى يغنى وسد عن غيره ، وذلك لأن - المتبع لكتب هذا الرجل لا يكاد يمر به من كتبه سطر أو سطران الا وفيه : اما تعقيب ، أو تعليق ، أو تصويب ، أو مناقشة للغير في دليله ، أو تخطئة لرأى ، أو دليل أخذ بهما البعض ، وهذا هو الذي حدى به الى اثبات هذه الأرقام حتى يشعر الجميع بقيمة ما أسداه هذا الرجل من خدمة مشكورة لهذا الدين الحنيف ومعالمه من أصول وآداب .

وهذا أو ان ذكر تلك الأرقام من صفحات كتبه :

-
- (١) التمهيد لابن عبد البر ٣ : ٣٣٢ ، وهناك مواضع أخرى رد فيها ابن عبد البر عليه مثل التمهيد ١ : ١٦٠ والاستذكار ٢ : ٢٣٣
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٤ : ٤٣

١ - التمهيد له في الجزء الأول تراجع الصفحات التالية :

٣١٩ : ١ ، ١٢٧ ، ١٣٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢ ، ٣٧٦ .

وفي الجزء الثاني منه تراجع الصفحات التالية :

٢ : ١٠١ ، ١٠٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٤٦ ، ٩٤ ، ١٦٩ ،

١٧٠ ، ١٠٢ ، ١٩٠ ، ١٤٤ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .

٢٤٧ ، ١٣٧ .

وفي المخطوطة من التمهيد الموجودة في مكتبة السعودية بالرياض ، والتي
هي عبارة عن الجزء الثالث من التمهيد نجد في الصفحات التالية نفس
النهج :

٥ ، ١٤ ، ١٥ ، ٣٦ ، ٥١٠ ، ٥٧٠ ، ٢٩٩ .

وفي مخطوطة التمهيد الأخرى بمكتبة الحرم المدني بالمدينة المنورة
يراجع مايلسى :

١ ، ٢ ، ٣ ، ٧ ، ١٦ ، ٤١ ، ٨٧ ، ١٠٤ ، ١١٢ ، ١١٧ .

١٣١ ، ٣٤ ، ١٤٠ .

٢ - كتابه الاستيعاب في معرفة الأصحاب :

وفي الجزء الأول منه تراجع الصفحات التالية :

١ : ٤٦ ، ٤٨ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ٩٨ ، ١٠٢ ،

١١١ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ،

١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ،

١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٧ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ٢١١ ،

٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨ ،

٢٧١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٦ ،

٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٨ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٥٤ ، ٣٦١ ،

٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٧٠ ، ٣٧٨ ، ٣٨٤ ، ٣٨٧ ، ٤٠٥ ،

٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤١٤ .

وفي الجزء الثاني من الاستيعاب يراجع مايلي :

٤١٩ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ،
٤٤٦ ، ٤٥٠ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ،
٤٨٢ ، ٤٨٥ ، ٤٩٢ ، ٤٩٥ ، ٥٠٢ ، ٥٠٧ ، ٥١١ ،
٥١٦ ، ٥٥٥ ، ٥٦١ ، ٥٦٣ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٧٠ ،
٥٧٣ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ،
٥٩٤ ، ٦٠١ ، ٦١٢ ، ٦٢١ ، ٦٢٧ ، ٦٤٢ ، ٦٤٤ ،
٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٥١ ، ٦٥٦ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٩ ،
٦٧٣ ، ٦٧٦ .

٣ - كتابه القصصى :

وفي هذا الكتاب للحافظ ابن عبد البر تراجع الصفحات التالية منه لادراك
كثيرا من تعقيباته على غيره :

٢٠١ ، ١٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٣٢ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٣٣ ،
١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، الخ

٤ - كتابه الاستذكار :

وفي هذا الكتاب أيضا يتابع الحافظ توهيماته وتعليقاته لكثير من سبقه
مع مناقشة المسائل ، وتحقيقها تحقيقا علميا يتبين منه براعة الحافظ
فى استخراج الأحكام من أصولها ، وتراجع منه الصفحات التالية من الجزء
الأول :

١١٩ ، ٢٠٧ ، ٢٣٠ ، ٢٥١ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٩٨ ،
٢٧٧ ، ٣٠٨ ، ٣٣٤ ، ٣٥٣ .

وفي الجزء الثانى منه مايلي :

١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٦٥ ، ٣٢٠ ، ١٥ ، ٣٦ ، ٤٥ ، ٤٧ ،
١٦٧ ، ١٧١ ، ٧٢ ، ٢١٣ ، ٢٢١ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ ،
٢٤١ ، ٢٤١ ، ٢٨١ ، ٢٨٦ .

المبحث الثانى

ابن عبد البر وتصحيح كثير من الأحاديث :

وفى هذا المبحث نقطتان ينبغى البحث عنهما :

- ١ - مثال لتصحيح ابن عبد البر للأحاديث .
- ٢ - إثبات لأرقام كثير من صفحات كتبه صحح فيها الأحاديث

أولا : مثال لتصحيح الأحاديث عند ابن عبد البر : عندما تنتقل الى هذا المبحث لا نجد الفرق بينه وبين المبحث الأول الذى سبق الكلام عليه ، حيث رأينا فيها قوة الحافظ فى تخطئة غيره ، والتعليق عليه قلت : فهو كذلك هنا يحكم على الأحاديث حكمه الخاص بدون أن يتردد أو يخشى تعقيا ، شأن الرجل الواثق بنفسه المطمئن الى علمه ، فيقول على حديث " النهى عن لحوم الأضاحى بعد ثلاث " ١ " وأباحة أكلها بعد ذلك وأدخاها الحديث " ٢ "

يعلق الحافظ ابن عبد البر على هذا الحديث قائلا : " وهو حديث صحيح " . " ٣ "

قلت : وفى عن القول صحة كلام ابن عبد البر فى تصحيح هذا الحديث وذلك مستفاد من رواية البخارى له ومالك فى موطئه من جملة أحاديثه المرفوعة المسندة .

- ٢ - وهنا مثال آخر لتصحيح ابن عبد البر للأحاديث ، يقول فى حديث

(١) المراد النهى عن ادخاها

(٢) البخارى ٧ : ١٣٤ ، وموطأ مالك مع شرحه الزرقانى ٣ : ٧٦-٧٧

(٣) التمهيد لابن عبد البر ٣ : ٢١٥

أم سلمة ، في صحيح مسلم رحمه الله قالت : حضرت وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخيملة "١" الحديث "٢"

ومعلق ابن عبد البر على هذا الحديث قاطلا : هذا حديث حسن صحيح ثابت "٣" وهذا الذي قاله الحافظ هو الراجح وأعنى الحكم على هذا الحديث بالصحة ، وذلك لاتفاق الشيخين على إخراجهم وأنصح كل من أراد أن يقف على حكم الحافظ ابن عبد البر على الأحاديث ، أن يرجع إلى كتابيه : التمهيد ، والتقصي ، فإنه لا يمر فيها على حديث واحد من الأحاديث التي أوردها في الكتابين بدون أن يحكم عليه قبل كل شيء بالصحة أو بالحسن أو بالضعف ، وقد شهد العلماء للحافظ ابن عبد البر بمهارته في هذا المجال كما تقدم وقال عنه المقرئ في هذا المضمار ما نصه ناقلا عن الفتح بن خاقان : صحح السند ، والمتن ، وميز المرسل من المسند ، وفرق بين الموصول والقاطع وكما الملة منه نور ساطع حصر الرواة ، وأحصى الضعفاء منهم والثقات ، وجد في تصحيح السقيم "٤"

ثانيا : اثبات لأرقام كثير من صفحات كتبه صحح فيها الأحاديث ، وأرجع إلى ما يلي :

- ١ - التمهيد له ٣ : ١٨١ ، و ٢ : ١٠٢ ، و ٢ : ١٠٦ ، و ٢ : ١٠٨ و ٢ : ١٩٠ .

-
- (١) الخيملة : بفتح الخاء المعجمة وكسر الميم ، قال النووي : قال أهل اللغة : الخيملة والخميل بحذف الهاء ، هي القطيفة ، وكل ثوب له خمل من أي شيء كان ، وقيل : هي كل الأسود من الثياب شرح النووي لصحيح مسلم ٣ : ٢٠٦
- (٢) انظر التمهيد لابن عبد البر ٣ : ١٦٥ ، وصحيح البخاري ١ : ٧٩ ، وصحيح مسلم مع شرحه النووي ٣ : ٢٠٦
- (٣) التمهيد لابن عبد البر ٣ : ١٦٥
- (٤) نفع الطيسب للمقرئ ٥ : ١٧٣

والرجوع الى مخطوطة التمهيد الموجودة في مكتبة السعودية بالرياض
نجد منهج الحافظ ابن عبد البر كما هو لم يتغير ، بل يسير على تصحيح
الأحاديث والا اهتمام ببيان درجاتها ، اهتماما متزايدا مثل :

٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ١٦٠ ، ٥٢٠ ، ٥٢٥ ، ٥٢٣
٥٥٩ ، ٤٩٠ ، ٣٢٠ ، ٣٠٦ .

وفي النسخة الأخرى من التمهيد الموجودة في مكتبة الحرم المدني
بالمدينة المنورة نرجع الى مايلي :

٥ ، ٧ ، ١٤ ، ٣٩ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٥٦ ، ٨٦ ، ٩٠ ،
١٠٢ ، ١٠٦ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٤ .

٢ - كتابه الاستذكار :

ومنهج الحافظ نهج تصحيح الأحاديث حتى في كتبه التي كان القصد
الأول من تأليفها هو : شرح الأحاديث ، واستنباط الأحكام منها ،
كهذا الكتاب ففي الجزء الأول تراجع الصفحات التالية :

٤٩ ، ٥٥ ، ٨٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ،
١٤٦ ، ١٧٦ ، ٣٤٨ ،

وفي الجزء الثاني منه :

٤٧ ، ٥٣ ، ٧٠ ، ١٠٦ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٣٤ ، ١٤٣ ،
١٥٠ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ١٩٦ ، ٢٠١ ، ٢١٧ ،
٢٩٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٦٧ ،
٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٣٠٧ ، ٣١٧ ، ٣٣١ ، ٢٢٨ .

٣ - كتابه جامع بيان العلم وفضله :

ففي الجزء الأول منه تراجع الصفحات التالية :

٢٤ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٨٩ ، ١٠٦ ، ١١٣ .

وفي الجزء الثاني منه مايلي :

١٥ ، ٦٣ ، ٩٤ ، ١١٢ ، ١٤٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ .

٤ - كتابه القصد والائتم . وفيه ما يلي من كلامه على تصحيح الأحاديث :
١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٤ .

٥ - كتابه الانبأه على قبائل الرواة . وفيه تراجع الأرقام التالية :
٤٩ ، ٥٨ ، ٦٧ ، ٧٩ ، ١٠٠ .

٦ - كتابه الاستيعاب :

وفي الجزء الأول ينظر ما يلي :

٣٧ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٩٣ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ،
٢٠٦ ، ٢٧٣ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٨٤ ، ٤٠١ .

وفي الجزء الثاني :

٤٢٨ ، ٥٣٨ ، ٥٩٣ ، ٦٠٤ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ .

المبحث الثالث من الفصل الثاني

ابن عبد البر يضعف كثيرا من الأحاديث

وفي هذا المبحث شيطان مهمان :

- ١ - أمثلة يضعف فيها بعض الأحاديث .
- ٢ - الإشارة إلى أرقام صفحات كثيرة من كتبه ، يضعف فيها الأحاديث وهي تدل على عمق اطلاعه في هذا الفن .

فأولا : الأمثلة :

مما لا شك فيه أن الحافظ ابن عبد البر قد حاز خصل السوق في معرفة الحديث النبوي على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، وكما سبق في البحثين المتقدمين ، فقد ميز بين الصحيح ، والسقيم وبين علل الأحاديث بأنواعها ،

وأوصل الطرق المقطوعة في أحيان كثيرة كما يسهل انقطاع طرق يظن أولاً بأنها متصلة ، شأن العالم المتبحر في هذا الفن ، فلا عجب إذا أن نرى كتبهم قد امتلأت بذكر علل الأحاديث ، وبالحكم عليها بالضعف إن دعت الضرورة إلى ذلك . فيها هو يقول في حديث :

١ - جابر بن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن استقبال القبلة واستدبارها بالببول ، والغائط ، قال : ثم رأيته بعد ذلك يستقبل القبلة ببوله قبل موته بعام . " ١ " رواه محمد بن اسحاق عن أبان بن صالح عن مجاهد عن جابر ، . . . إلى أن قال الحافظ في تضعيفه للحديث : " وليس حديث جابر بصحيح عنه فيعرج عليه ، لأن أبان بن صالح الذي يرويه ضعيف ، وهو حديث لا يحتج بمثله " ٢ .

هكذا حكم الحافظ على هذا الحديث بالضعف تبعاً لتضعيفه لأبان . ولكن عندما نرجع إلى توثيق العلماء لأبان ، وأنه ليس الأمر على ما حكم به عليه الحافظ ، قلت : عند ذلك يرتفع هذا الحكم الذي سبق من الحافظ ابن عبد البر ، فأبان هذا هو بن صالح بن عيسى بن عبيد القرشي التيمي ، مولاهم المدني ، روى عن أنس ومجاهد ، والحسن وعطاء ، ووثقه كثير من الأئمة منهم أبو حاتم وحيى بن معين ، قال ابن حجر العسقلاني وصاحب الخلاصة : وهم ابن حزم فجبهله ، كما وهم ابن عبد البر فضعه ، من الطبقة الخامسة . مات بضعة عشرة ومائة . " ٣ .

وبناءً على توثيق الأئمة المعتبرين لأبان بن صالح راوى الحديث يترجح رد قول الحافظ بن عبد البر هنا ، فيحمل حديث جابر على أنه

-
- (١) السنن لأبي داود ٣ : ١ ، والتمهيد لابن عبد البر ١ : ٣١٠
 - (٢) التمهيد لابن عبد البر ١ : ٤١٢
 - (٣) انظر ترجمته : في تقريب التهذيب لابن حجر ١ : ٣٠ ، والخلاصة للخزرجي ١٥ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ١ : ٩٤ - ٩٥

كان في البنيان ، كما في حديث ابن عمر ، "١" وما ورد من الأحاديث الأخرى الصحاح أيضا التي فيها صريح النهي يحمل على الصحاري التي لا بنيان فيها ، وقد جمع الحافظ ابن عبد البر هو بنفسه مثل هذا الجمع في مكان آخر "٢" .

وهذا هو الراجح لأن هذا الحديث الذي ضعفه ابن عبد البر لا يقل عن درجة الحسن وقد تعاضد مع حديث ابن عمر كما ترى .

٢ - الحديث أصح كالتجويد بأبيهم اقتديتم اهتديتم " قال الحافظ معلقا على هذا الحديث ، وعلى رواية نافع له : " وهذا اسناد لا يصح ، ولا يرويه عن نافع من يحتج به ، ثم ذكر له الحافظ رواية أخرى عن جابر بن عبد الله الحديث "٣" .

ثم قال الحافظ معلقا على هذه الرواية الثانية لهذا الحديث : قال أبو عمر : هذا اسناد لا تقوم به حجة "٤" لأن الحرث بن غصين مجهول ، أي وهو راو من رواة هذا الحديث "٥" .

والحديث قال عنه الالباني : موضع ، وذكر أن أحمد بن حنبل رحمه الله قد روى عنه كفافى المنتخب لابن قدامة أنه قال : لا يصح هذا الحديث كما ذكر الالباني بعد ذلك الحكم السابق له على هذا الحديث ، أن ابن حزم قال عنه : هذه رواية ساقطة . ثم ذكر الشيخ الالباني له طرقا أخرى "٦" .

-
- (١) سنن أبي داود ٣: ١ ، قال : لقد ارتقيت : على ظهر البيت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على لبنتين مستقبل بيت المقدس لحاجته .
 - (٢) انظر: التمهيد له ٣١١: ١ - ٣١٢
 - (٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١١١: ٢
 - (٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١١١: ٢
 - (٥) هو الحرث بن غصين ، أبو وهب الثقفي حكم عليه كل من ابن عبد البر وابن حزم بالجهالة وقال عنه الالباني أيضا بأن ابن حبان ذكره في الثقات ،
 - (٦) سلسلة الأحاديث الموضوعة وأثرها في الأمة لمحمد ناصر الالباني ١: ٧٣ وما بعده .

وقد بين الشيخ الألبانى هنا حكم تلك الروايات مستمعينا بالنقول
الكثيرة عن العلماء بما لا يدع مجالاً للخوض فى ذلك ، بل يكفى من
أراد الوقوف على حكم هذا الحديث أن يرجع الى الصفحات التالية " ١ "
لكى يقف على كلام من سبقه من العلماء على هذا الحديث .

قلت : ولا يخفى أن الحكم بضعف هذا الحديث هو الراجع استنادا
الى كلام أهل هذا الفن ، ثم بعد هذه الأمثلة لتضعيف الحافظ للأحاديث
اجتزى بذكر بقية هذا المبحث وهو :

ثانياً : الإشارة الى أرقام صفحات كثيرة من كتبه يضعف فيها الأحاديث ،
فهاك تلك الأرقام المستفيضة لتتخذها كمثال يوضح لك مقدار خدمة هذا
الرجل لعلم الحديث النبوى على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

١ - كتابه الاستذكار :

١ : ٨٩ ، و ١ : ٩٦ ، و ١ : ١١٦ ، و ١ : ١٣٥ ، و ١ : ١٤٠ ،
و ١ : ١٦٢ ، و ١ : ١٩٣ ، و ١ : ٢٠١ ، و ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ،
٢٤٤ .

وفى الجزء الثانى منه يراجع ما يلى :

١٣ ، ٤٩ ، ٦٨ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١٠٩ ،
١١١ ، ١١٦ ، ١٤٣ ، ١٥٣ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،
١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٣ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٥٠ ،
٢٥٥ ، ٢٦٩ ، ٣٠٢ ، ٣١٢ ، ٢١٤ ، ٣٤٠ .

٢ - كتابه الاستيعاب :

وفى الجزء الأول منه ما يلى :

٣٢ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٩١ ،
١٠٧ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٧٠ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ،
١٩٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٨٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠٠ ، ٣١٠ ،

(١) انظر مثلاً : المصدر السابق ١ : ٧٣ ، و ٧٤ ، و ٧٥ ، و ٧٦ ،

و ٧٧ ، و ٧٨ ، و ٧٩ ، و ٨٠ .

٣٢٤ ، ٣٥١ ، ٣٥٩ ، ٣٤٠ ، ٣٦٤ ،

وفي الجزء الثاني منه الصفحات التالية :

٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٣٤ ، ٤٤٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٣ ،
٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٤٩٢ ، ٤٩٥ ، ٥٠٦ ، ٥٢٢ ، ٥٣٣ ،
٥٣٧ ، ٥٤٢ ، ٥٦٠ ، ٥٦٤ ، ٥٦٦ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٨٩ ،
٦٠١ ، ٦١١ .

٣ - كتابه التمهيد :

وفي الجزء الأول تراجع الصفحات التالية :

٣٨٩ ، ٣٢٩ ، ٣٣ ، و ٤٤ ، ٤٥ ، ٢٤٠ .
وفي الجزء الثاني منه : ٢٢ ، ١٨٤ ، ٣٠٣ ، ٣٣٥ ، ٨٢ ، ٨٣ ،
١١٤ ، ١٥٣ ، ٧٥ .

كما تراجع مايلي من الجزء الثالث منه :

١٦٢ ، ٣١١ ، ٢٩٥ ، ١٥٣ ، ٣٥٤ ، ١٥٠ ، ١٩١ ، ٢١٤ .

وفي الجزء المخطوط من التمهيد الموجود في مكتبة السعودية بالرياض تراجع
الأرقام التالية : ٨ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ١٥٢ ، ٤٥٠ ، ٥٦ ، ٥١٠ ، ٥١١ ،
٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٣٠ .

وفي نسخة من التمهيد الموجودة بالمكتبة - أغنى مكتبة الحرم المدني -
بالمدينة المنورة تراجع مايلي :

٦ ، ٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥٠ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٣١ ، ١٤٧ .

٤ - الانصاف لابن عبد البر "١"

وفي هذه الرسالة له نرجع الى مايلي لادراك كلامه على تضعيف
الاحاديث وبيان درجتها :

١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٨ ،
١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٨ ، ١٩٠ .

(١) انظر ٥ من جملة مجموعة الرسائل المنيرية لمحمد منير ٢ : ١٥٤ - ١٩٤

٥ - كتابه جامع بيان العلم وفضله :

ففى الجزء الأول منه رجعت الى الصفحات التالية فاذا نهجه هو هو
لم يتغير فى جميع كتبه . اذ الواقع أنه قد تطبع بذلك فلم يكدر
على مفارقتها . والصفحات المشار اليها هى كما يلى :

١ : ٤ ، ١٠ ، ١١ ، ٣٢ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٦٥ ،

١٤٦ ، ١٦٦ ، ١٨٩ ، ١٩٦ ، ٢٣٦ .

وفى الجزء الثانى منه ما يلى :

٨ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٣ ، ٧٤ ، ٨٩ ، ١١١ ، ٢٢٣ ، ٢٣٣ .

٦ - كتابه التلقى ، تراجع فيه الصحف التالية : ١١٠ ، ٢٣٦ ، ١٦٠ ،

٢٥٥ .

الفصل الثالث

من الباب الثاني

ابن عبد البر ومنهجه في فقه الحديث

وفيه بحث واحد هو : نماذج من شرحه للأحاديث ، واستنباطه
للاحكام الشرعية منها .

وهنا لابد من اختيار مثال لشرح المقصود من هذا الفصل ، اذ ما هو
الا مجرد مثال نكتفي به عن الاستطالة في هذا الفصل ، اذ لا سبيل هنا الى
الحصر ، ولا يتصور ذلك ، وخاصة اذا تذكرنا ان المقصود من الرسالة هو -
ابن عبد البر محدثا - فعند ذلك نعلم ان هذا الفصل لا يمكن ان يتعمد
كونه مجرد مثال لنمو الملكة الفقهية لدى الحافظ ابن عبد البر ، والا فالكتابة
عليه فقيها ينبغي في نظري ان تكون رسالة منفردة ، لما له من النواحي
المتعددة ، الداعية الى افرادها بالكتابة في ذلك المضمار .

وقد اخترت هنا ان يكون المثال المذكور هو كلامه على حديث مالك
بن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من أدرك ركعة من الصلاة
فقد أدرك الصلاة " ^١ وفي بعض الروايات فقد أدرك الصلاة ووقتها . ^٢

لقد أورد الحافظ ابن عبد البر هذا الحديث القصير في الاستذكار
ثم ذكر كماداته رواياته ، والكلام على اتصال تلك الروايات ، وبيان ما رواه مالك
من ذلك ، وما لم يكن قد رواه . ^٣ وبعد ذلك خلاص الى فقهه ، وكلام
العلماء عليه قائلا :

-
- (١) مطأ مالك مع شرحه تنوير الحوالك ١ : ٢٨
 - (٢) صحيح الامام مسلم مع شرحه للنووي ٥ : ١٠٤ - ١٠٥ ، ولم أجد هذه
الزيادة فيه . بل قال : الصلاة كلها .
 - (٣) الاستذكار لابن عبد البر ١ : ٧٧

" وقد اختلف الفقهاء في معنى هذا الحديث ، فقالت طائفة منهم :
أراد بقوله ذلك : أنه أدرك وقتها . " ١ "

قال : حكى عن داود بن علي وأصحابه قالوا : إذا أدرك الرجل من
الظهر أو العصر ركعة وقام فصلى الثلاث ركعات فقد أدرك الوقت في جماعة
وثوابه على الله تعالى .

قال الحافظ ابن عبد البر بعد هذا الكلام : " قال أبو عمر : هو لا
قوم قد جعلوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " من أدرك ركعة من الصلاة
فقد أدرك الصلاة " في معنى قوله " من أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب
الشمس فقد أدرك العصر ، ومن أدرك ركعة من الصبح قبل أن تطلع الشمس
فقد أدرك الصبح " قال : " وليس كما ظنوا لأنهما حديثان لكل واحد منهما
معنى . . . الخ

قال : " وقال آخرون : من أدرك ركعة من الصلاة في جماعة ، فقد
أدرك فضل الجماعة ، لأن صلاته صلاة جماعة في فضلها وحكمها ، قال :
واستدلوا على ذلك من أصولهم بأنه لا يعيد في جماعة من أدرك ركعة من
صلاة الجماعة .

قال الحافظ : وقال آخرون : معنى الحديث أن مدرك ركعة من
الصلاة مدرك لحكمها كله ، وهو كمن أدرك جميعها فيما يفوته من سهو الإمام
وسجوده لسبوه ، وإن لم يدركه معه ، وأنه لو أدرك وهو سافر ركعة من صلاة
المقيم لزمه حكم المقيم في الانتماء ونحو هذا من حكم الصلاة . وهذا قول مالك
وأصحابه .

ثم قال الحافظ : والحديث يقتضي عموم وظاهره أن مدرك ركعة من
صلاة الإمام مدرك للفضل والوقت والحكم إن شاء الله . وإن لم يدرك الركعة
بتمامها فلم يدرك حكم الصلاة . قال : وأما الفضل فإن الله يفضل بما يشاء
على من يشاء ، والفضل فضله يؤتيه من يشاء . ثم قال : وإذا كان السدى

ينام عن صلاته بالليل يكتب له أجر صلاته ، والذي ينوى الجهاد فيجسسه
المعذر يكتب له أجر المجاهد ، والعريض يكتب له ما كان يعمل صحيحاً ،
ومنتظر الصلاة في صلاة . فأين مدخل النظر هاهنا . " ١ "

قال : وقد وردت آثار عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فبين توضأ
فأحسن وضوءه ، ثم راح فوجد الناس قد صلوا أنه يعطيه أجر من صلاها
وحضرها " ٢ " قد ذكرناها في التمهيد ، وذكرنا هناك عن أبي هريرة وهو الذي
روى حديث من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة ، أنه قال : إذا
انتهى إلى القوم وهم قعود في صلاتهم فقد دخل في التضميف — أي مضاعفة
الثواب — وإذا انتهى إلى القوم وقد سلم الإمام ولم يفرقوا فقد دخل في
التضميف .

وقال الحافظ أيضاً : قال عطاء بن أبي رباح : وكان يقال : إذا
خرج من بيته وهو ينويهم فقد دخل في التضميف . وعن أبي وائل
وشريك : من أدرك التشهد فقد أدرك فصلها . وقال أبو سلمة — وهو راوية
هذا الحديث — من خرج من بيته قبل أن يسلم الإمام فقد أدرك .

قال ابن عبد البر مقرر رأي واختياره في شرح هذا الحديث : " وهذا
كله يؤيد أن الفضل والأجر على قدر النية ، فلا مدخل للقياس والنظر ،
وماكل يصل يتقبل منه فكيف يضاعف له ؟ والله يؤتي فضله من يشاء ، ثم
قال : وفي هذا الحديث دليل على أن من لم يدرك من الصلاة ركعة فلم
يدركها ، ولا له مدخل في حكمها من حصول سهول يدركه مع إمامه ، وانتقال
فرضه من ركعتين إلى أربع ونحو هذا ، إلا أن الفقهاء اختلفوا في معنى هذا
الدليل هاهنا . قال : فمن ذلك قولهم من أدرك ركعة من الجمعة أضاف
إليها أخرى ، ومن لم يدرك ركعة منها صلى ظهراً ، قال : هذا قول مالك
والشافعي وأصحابهما والثوري والحسن بن حي والأوزاعي وزفر بن الهذيل

(١) الاستذكار لابن عبد البر ١ : ٢٨

(٢) راجع السنن للبيهقي ١ : ٣٧٨

ومحمد بن الحسن فى الأشهر عنه والليث بن سعد وغيرهم ثم قال
وقال ابن شهاب : هى السنة . " ١ "

وقال من ضمن ذلك : قال أبو حنيفة وأبو يوسف : اذا احرم فى
الجمعة قبل سلام الامام صلى ركعتين ، روى ذلك عن ابراهيم النخعى والحكم
بن عيينه وحماة بن أبى سليمان وهو قول داود . قال : وحجتهم قوله عليه
السلام " ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأقضوا " ٢ قالوا : والذى فاتة ركعتان لا أربع

ويستطرد الحافظ ابن عبد البر فى شرح هذا الحديث كعادته فيقول
هنا : ومن ذلك أيضا اختلافهم فىمن فاتته الخطبة ، فان عطاء بن أبى رباح
وطاؤوسا ومكحولاً قالوا : من فاتته الخطبة يوم الجمعة صلى أربعاً ، قالوا : لم
تقصّر الصلاة فى يوم الجمعة الا من أجل الخطبة فمن لم يدركها صلى ظهراً . قال
الحافظ ابن عبد البر : " وهذا قول يبطل بقوله عليه السلام " من أدرك ركعة
من الصلاة فقد أدرك الصلاة " .

وذكر بسنده عن الأوزاعى أنه قال : سألت : الزهري عن رجل فاتته
خطبة الامام يوم الجمعة وأدرك الصلاة ، فقال — أبى الزهري — حدثنى أبوسامة
عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من أدرك ركعة من
الصلاة فقد أدركها " .

ويقول الحافظ من تلك الاستطرادات المتعلقة بالحديث الذى اخترناه
كامل للكلام ابن عبد البر فى فقه الأحاديث ، يقول : " وأما مسألة المسافر
يدرك ركعة من صلاة المقيم فأسعد الناس فى ذلك مالك قال : اذا لم يدرك المسافر
من صلاة الامام ركعة صلى ركعتين ، وان أدرك منها ركعة تامة بسجدة فيها صلى
أربعاً . قال : وهو قول الحسن البصرى وابراهيم النخعى وابن شهاب
الزهري وقتادة " ٣ "

(١) الاستذكار لابن عبد البر ١ : ٧٩

(٢) انظر الستن للبيهقى ٣ : ٩٣

(٣) الاستذكار لابن عبد البر ١ : ٨٠

ويقول أبو عمر : وقال الشافعي وأبو حنيفة وأصحابهما والثوري والأوزاعي وأحمد بن حنبل وأبو ثور : إذا دخل المسافر في صلاة القيم صلى أربعاً صلاةً مقيم ، وإن أدركها في التشهد ، قال : وروى ذلك عن ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين ، قال : وقال الشافعي : إذا أحرم قبل أن يسلم الإمام لزمته صلاة القيم .

قلت : وهذا : هو الذي ينبغي أن يعتمد عليه حتى يخرج الإنسان من الخلاف . ثم قال ابن عبد البر : وفي هذه المسألة قولان شاذان : أحدهما لطاوس والشمسي ، والثاني لاسحاق ابن راهويه قد ذكرتهما في التمهيد ، ويضى الحافظ في فروع هذه المسألة المتعلقة بهما فيقول من جملة ذلك : " وأما سجود السهو فقال مالك : إذا أدرك مع الإمام ركعة لزمه أن يسجد معه لسهو ، وسواء أدرك السهو أو لم يسجد ، وإن لم يدرك معه ركعة لم يلزمه السجود معه ، قال : ومذهبنا في ذلك أن سجدة السهو إن كانتا قبل السلام سجدهما معه ، وإن كانتا بعد السلام لم يسجد بهما معه ، وسجدهما إذا أتم صلاته . وهو قول الأوزاعي والليث بن سعد .

قال الحافظ ابن عبد البر : وقال الشافعي ، والكوفيون وسائر الفقهاء : من دخل مع الإمام في بعض صلاته لزمه سهو وسجد معه ، قال : وعن الشافعي أيضاً : أنه يسجد بهما بعد القضاء أيضاً . ثم قال ابن عبد البر بعد كل ما سبق من أول هذا الفصل إلى آخره ، ومشيروا إلى نهاية كلامه على هذا الحديث ، قال :

" وهذا كله في حديث من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدركها ، ومن لم يدرك منها ركعة فلم يدركها ، واستعمال الناس بهذا الحديث . . . " ١

وبعد ذلك تطرق الحافظ إلى آثار عن الصحابة تتعلق بهذا الحديث أيضاً ، وفيها أن غير واحد من الصحابة والتابعين قد صرحوا بأن

من أدرك الركعة فقد أدرك السجدة ، وأن من فاتته الركعة فقد فاتته السجدة لا محالة .^١

هذا ومعد أن أشار الحافظ الى تلك الآثار ، عاد الى بيمان معنى ادراك الركعة المذكور في الحديث الذي معنا فقال :
" معنى ادراك الركعة ها هنا أن يركع المأموم قبل أن يرفع الامام رأسه من الركوع ، قال : هذا قول مالك وأكثر العلماء ، وفيه اختلاف .

ثم قال الحافظ : روى عن أبي هريرة : " من أدرك القوم ركوعاً لا يعتد بها " . قال ابن عبد البر : وهذا قول لا نعلم أحداً قال به من فقهاء الأئمة ، وفيه وفي أسناده نظر ، وقد روى معناه عن أشهب^٢ وروى عن جماعة من التابعين ضد ذلك . قالوا : إذا أحرم الداخل والناس ركوع أجزاء ، وإن لم يدرك الركوع . قال : وهذا قال ابن أبي ليلى والليث بن سعد وزفر بن الهذيل ، قالوا : إذا كبر قبل أن يرفع الامام رأسه ركع كيف أمكنه ، واتبع الامام وكان بمنزلة التابع ، واحد بالركعة .

قال ابن عبد البر : وقد روى عن ابن أبي ليلى والليث بن سعد وزفر بن الهذيل والحسن بن زياد : أنه إذا كبر بعد رفع الامام رأسه من الركعة قبل أن يركع اعتد بها .

قال : قال الشعبي : إذا انتهيت الى الصف المؤخر ولم يعرفوا رؤوسهم وقد رفع الامام رأسه فقد أدركت ، لأن بعضهم أئمة بعض .

ومعد أن ذكر الحافظ هذه الأقوال التي اتسمت بكونها على طرفي نقيض ، خلص الى قول الجمهور المدعم بالأدلة في هذه المسألة ، فقال : قال جمهور الفقهاء : من أدرك الامام ركعاً فكبر وركع وأمكن يديه من ركبتيه قبل أن يرفع الامام رأسه من الركعة فقد أدرك الركعة ، ومن لم

(١) موطأ مالك مع شرحه تنوير الحوالك ١ : ٢٨ - ٢٩ والاستذكار -

١ : ٨١ - ٨٢

(٢) قلت : وقد قرره البخاري وذكره عن غير واحد ، واختاره في رسالته : خير الكلام في القراءة خلف الامام ٨٨ - ٩٠ الا أن الراجح صحة ادراك الركعة بلمهاوك الركوع .

يدرك ذلك فقد فاتته الركعة ، ومن فاتته الركعة فقد فاتته السجدة ،
أى لا يعتد بها ويسجد هما . قال : هذا مذهب مالك والشافعى وأبى
حنيفة وأصحابهم والثورى والأوزاعى وأبى ثور واحمد وإسحاق ، قال : وروى
ذلك عن على بن أبى طالب وابن مسعود الخ . " ١ "

ثم عاد الى ذكر بعض الأقوال المتعلقة بهذا الموضوع ، فذكر عن
عبدالله بن عمرو بن زيد بن ثابت أنها قالا : اذا أدرك القوم ركوعا فانه تجزئه
تكبيرة واحدة ، قال : وهو قول : ابراهيم وعروة وعطاء والحسن وقتادة
والحكم وميمون وجماعة ، الا أنهم يستحبون أن يكبر تكبیرتين : واحدة
للاحرام ، وثانية للركوع . وان كبر واحدة لافتتاح الصلاة أجزاء من الركعة .
قال : وعلى هذا مذهب الفقهاء بالحجاز والمراق والشام .

ثم قال الحافظ فى ضمن تقريراته لتلك المذاهب المتنوعة فى الحديث
الذى كان معنا : وقال ابن سيرين وحماد بن أبى سليمان لا يجزئه حتى
يكبر تكبیرتين : واحدة يفتح بها ، وثانية يركع بها . وقال الحافظ بعد
هاتين المقالتين : والقول الأول أصح من جهة الأثر والنظر ، لأن التكبير
لما عدا الاحرام مسنون يستحب ، قد أجمعوا أنه لا يضر سقوط التكبيرة
والتكبیرتين .

ثم يعلق الحافظ بعد ترجيحاته لما يراه صوابا ، على قول أبى هريرة
" من فاتته قراءة أم القرآن فقد فاتته خير كثير " بأن ابن وضاح وجماعة
معه قالوا : " ذلك لموضع التأمين ، والله أعلم . قال : يعنون قوله عليه
السلام : " من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه " " ٢ "

(١) الاستذكار لابن عبد البر ١ : ٨٢

(٢) نفس المصدر السابق ١ : ٨٣

قلت : هذا آخر كلام ابن عبد البر على هذا الحديث الذى اخترناه كمثل لشرح الحافظ ابن عبد البر لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم واستنباطه منها للأحكام الشرعية . وقد تبين من خلال هذا الفصل أن الحافظ ابن عبد البر قد اختار فى شرح الأحاديث أن يسلك ثلاث طرق رئيسية فى ذلك :

١ — أنه إذا أراد شرح الحديث يحاول بقدر الامكان أن يستقصى جميع طرقه وشواهد ، وكلما يمكن أن يعضد معناه ، ثم يتكلم على تلك الطرق والشواهد بما يبين صحة ذلك مهما كلفه ذلك من التطويل والاستطراد .

٢ — يهتم عند شرح أى حديث قبل ابداء رأيه ، ببيان آراء العلماء فيه ، واختلافهم فى معناه ، حتى ولو كانت أقوال بعضهم ساقطة لمخالفتها للدليل فإنه يذكرها ، ثم يعقب عليها بما تستحق من رد أو تنبيه ، ثم بعد ذلك يذكر القول الذى سار إليه معظم العلماء ، وهو الشئ الذى يكثر منه اختياره .

٣ — كثيراً ما يهتم باظهار رأيه فى شرحه للأحاديث ، كما يكثر منه استنتاج الأحكام الشرعية المتعددة فى حديث واحد أحياناً^١ . ولكنه مع ذلك يحاول دائماً ربط ذلك بأدلة تؤكده مأخذه من الحديث المتكلم فيه .

(٢) انظر التمهيد مثلاً : فى شرحه لحديث مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " مر بامرأة وهى فى محفة لها فقيل لها : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بضبعى صبي كان معها ، فقالت هذا حج يا رسول الله ؟ قال : نعم ولا أجر . التمهيد ١ : ٩٤ ، والموطأ للإمام مالك ١ : ٣٦٩ . وفى هذا الحديث حاول الحافظ ابن عبد البر أن يستخرج منه ما يمكن من الأحكام . وانظر مثلاً : التمهيد ١ : ١٠٣ ، و ١ : ١٠٤ ، و ١٠٥ ، و ١٠٦ ، و ١٠٧ ، و ١٠٨ ، و ١٠٩ ، و ١١٠ ، و ١١١ ، و ١١٢ ،

و ١١٣ هـ و ١١٤ هـ ، وراجع أيضا التمهيد في شرح الحافظ ابن
عبد البر لحديث مالك عن زيد بن أسلم ٠٠٠ أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : " من أدرك ركعة من الصبح قبل أن
تطلع الشمس فقد أدرك الصبح " ومن أدرك ركعة من العصر
قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر " .
فقد استطرد الحافظ في شرحه من صفحة ٣ : ٢٧٠ - ٣٠٠
وحاول رحمه الله ألا يدع شاردة ولا واردة مما يتعلق به إلا وتعرض
لها بالشرح أو التنبيه عليها ، ويكفى أن نعلم أن هذا الحديث
القصير قد استوعب الكلام عليه ثلاثين صفحة من كتابه التمهيد
إلى غير ذلك مما لا يمكن حصره ،
فإلى الفصل الأخير من الباب الثاني من هذه الرسالة الذي هو
نبذة من آراء ابن عبد البر في هذا الفن .

الفصل الرابع

بيان لبعض آراء الحافظ ابن عبد البر في فن الحديث ، واختياره في ذلك :

وهذا الفصل قد شمل الأبحاث التالية :

- المبحث الأول : رأيه في وجوب الأخذ بالعموم ، ولزوم السنة وتقديم النص على غيره حتى يرد المخصص .
- المبحث الثاني : في رده للأحاديث الضعيفة المعارضة بالأقوى منها في الأحكام .
- المبحث الثالث : أن الضعيف يؤخذ به في فضائل الأعمال .
- المبحث الرابع : أن رواية الأكثر ، والجمهور مقدمة على غيرها .
- المبحث الخامس : السنة إذا أطلقت إنما يراد بها سنة النبي صلى الله عليه وسلم .
- المبحث السادس : في أن عمل الأمة بالحديث الضعيف يرفعه إلى درجة الصحة ، بل قال : بأنه أقوى من مجرد الإسناد الضعيف .
- المبحث السابع : في تعليم السنن .
- المبحث الثامن : ثناؤه على رجال الحديث ، وتنويهه بهم .
- المبحث التاسع : إنكاره لحقالة منكرى السنن ، ورده الشديد عليهم .
- المبحث العاشر : تقديمه لعمل أهل مكة والمدينة على عمل غيرهم .
- المبحث الحادي عشر : في المصير إلى النسخ .
- المبحث الثاني عشر : أن لا اجتهاد إلا للعالم ، وأنه لا يكون إلا في الأصول .

ومما لا شك فيه أن للحافظ ابن عبد البر آراء كثيرة متشعبة لا يمكن حصرها ، شأنه في ذلك شأن كل رجل مستقل بنفسه واثق بها ، ولهذا أردت هنا الإشارة الى نقاط من تلك الآراء كمجرد مثال على ذلك ، وإن كان البعض من تلك الآراء في الحقيقة ليس خاصا به ، بل شاركه فيه غيره من أهل هذا الفن . إلا أن كثرة ترداده لذلك البعض حيث أصبح لا يرضى سواه جعلني أعده في جملة آرائه التي اشتهر بها ، ولا يخفى أني ذكرت بعض تلك الآراء في غير هذا الفصل وخاصة في فصل مصطلح الحديث حيث أن مكانها هناك . وهذا أولان الشروع في الإشارة الى تلك الآراء :

المبحث الأول

رأيه في وجوب الأخذ بالمعوم ، ولزوم السنة وتقديمها على غيرها حتى يرد المختص :

لقد كرس الحافظ ابن عبد البر جهده الى أقصى حد لارجاع الناس الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، كما أكثر قوله بوجوب العمل على من سمع الخطاب ، وأن يستعمله على عمومه إذا لم يطفه شيء يخصه : ^١ وقوله : " ومن حجته السنة خصته وما خالفها مطروح " ^٢ . وقوله : الحجة عند التنازع والاختلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ^٣ . وقوله في موضع آخر ذكر فيه أقوال بعض العلماء ثم قال : فانا لم نذكرهم على سبيل الحجة لأن الحجة قد لزمت بالسنة الثابتة ولا تحتاج السنة الى من يتابعها لأن من خالفها محجج بها ^٤ . وقوله معروفا بالطاعة اللازمة : " وانما الطاعة ما أمر الله به ورسوله بالتقرب بحمله الى الله تبارك اسمه " ^٥ .

(١) التمهيد لابن عبد البر ١ : ٣٠٤

(٢) نفس المصدر السابق ١ : ٣٢٥

(٣) نفس المصدر السابق ١ : ٣٢٤

(٤) نفس المصدر السابق ٢ : ١٥٣

(٥) نفس المصدر السابق ٢ : ٦٢

وقوله : الا أن الحديث المسند يوجب العمل ، وتجب به الحجة عند جميع أهل الحق والسنة . " ١ "

وقوله فى موضع آخر على أقوال لبعض العلماء مشيراً الى رأيه : وهذه الأقاويل لا دليل عليها من كتاب ولا سنة ولا اتفاق . وما خرج من هذه الأصول ومعانيها فليس يعلم . . . " ٢ "

ويضى الحافظ ابن عبد البر فى توضيح رأيه هاهنا ويان ألا بديل عن الكتاب والسنة ، وان كل شئ خالفهما فلا عبرة به ، ومؤكد حرصه الشديد على التمسك بهما . " ٣ "

وفى هذه التصريحات من ابن عبد البر ما يبين سير الحافظ على نهج أهل السنة والجماعة الذين يتمسكون بما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، دون تقليد أحد ، أو ينصبوا قول أحد مما دلا لقول الله وقول رسوله ، وذلك هو النهج المستقيم الذى ينبغى الاستمسك به ، دون ما سواه . " ٤ "

-
- (١) نفس المصدر ٢ : ١٦٣
 (٢) التمهيد لابن عبد البر ٢ : ١٨٩
 (٣) راجع الصفحات التالية من كتبه :
 جامع بيان العلم وفضله ١ : ١١٦ ، و ٢ : ٨٩ .
 ويصرح هنا أن النص ليس لأحد أن يردده ، والتمهيد له ٢ : ٢٥٥ ،
 و ٣ : ١٢١ قال : " ومن كان أسعد بالظاهر أفلح " و ٣ : ١٢٠
 قال هنا : وهذا نص فى موضع الخلاف يوجب طرح ما خالفه . و ٣ :
 ١٤٨ ، و ٣ : ٣٢٠ ، و ١ : ٢٠٣ ، وفى مخطوطة التمهيد
 الموجودة بالمكتبة بالمدينة قال : والحجة فى السنة لا فيما خالفهما " .
 ١٣٨ ، و ١٠٥ ، والاستذكار له أيضا ١ : ٢٠٢ ، و ٢ : ٩٣ ،
 و ٢ : ١٣١ ، و ٢ : ٢٥٠ ، وفى الاستذكار ١ : ٢٧٧ يقول بأن القياس
 والنظر لا يعرج عليهما مع صحة الأثر . وانظر الاستذكار أيضا ١ : ٣٤٨
 يقول : " وفى ثبوت السنة بصحيح الأثر ما يفنى عن كل نظر " .
 (٤) انظر : كلام الحافظ العلامة ابن القيم فى اعلام الموقعين ١ : ٧ - ٨
 فقد ذكر كثيراً عن العلماء فى وجوب الاستمسك بالكتاب والسنة ، من
 جملة ذلك أنه قال : " قال : الشافعى قدس الله روحه : أجمع
 المسلمون على أن من استبان له سنة رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس "

المبحث الثاني

رأيه في رد الأحاديث الضعيفة المعارضة بالأقوى منها في الأحكام :

تكلم الحافظ على هذه المسألة فبين أنه لا يمكن إصدار حكم شرعي تستحل به الحرمات ، ويحرم به ما علم حله على أصله ، إلا أن يكون ذلك بدليل يقطع المذر ، ويطمئن إليه الفتى .

قال : وكذلك إذا كان الحديث ضعيفا وفي باب أحاديث صحاح أو حسان فلا يمكن أن يصح عليه أيضا لأنه مستغنى عنه . " ١ "

قلت : وهذا أيضا ليس من آراء ابن عبد البر بانفراده ، بل هو من آراء كثيرين ممن يرفضون الحديث الضعيف في الأحكام بثبات . وهم الجمهور ولكن هناك جماعة من العلماء يذهبون إلى أن الحديث الضعيف خير من آراء الرجال فإذا لم يجدوا سواء أخذوا به لأنه أولى عندهم من آراء الرجال التي تشمل في القياس والاستنباطات التي تكون أحيانا بعيدة عن النص ، " ٢ " ولكن هذا إذا لم يكن ضعفه قويا ، بأن يكون مثلا عن كذاب أو متهم أو مجروح بجرح يسقط عدالته وما عدا هذا يعد شهودون بكثيرا ويختاره بعضهم على ما خفي مأخذه من الاستنتاجات الفقهية . " ٣ "

المبحث الثالث

رأيه في أن الضعيف يؤخذ به في فضائل الأعمال :

لا شك أن الحافظ مع تمسكه الشديد بذهب أهل الحديث الذين

- (١) انظر : التمهيد لابن عبد البر ٢ : ٢٣
- (٢) انظر مثلا : مسائل الامام احمد بن حنبل رحمه الله لأبي داود ٢٧٥ وما بعده .
- (٣) راجع مثلا : أعلام الموقعين للعلامة ابن القيم ١ : ٨١ ، قال : قال احمد : ضعيف الحديث أحب إلى من الرأي . وفي قول عن احمد رحمه الله : ضعيف الحديث أقوى من الرأي . وقال ناقلنا عن أبي حنيفة قوله : ضعيف الحديث أولى من القياس ، قال : وطى ذلك بنى مذهبه .

لا يرضون من الدليل إلا بما صح ، ونفع من كل الثواب ، قلت : مع ذلك قد مال إلى قول بعض العلماء القائلين بأخذ الخبر الضعيف في فضائل الأعمال ، وهو ما عدا العقائد ، والأحكام ، فقد كبر ذكر ذلك ، في مصنفاته وعزاه إلى العلماء

قال معلقاً على حديث روى عن مالك رحمه الله ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم " إذا كان يوم عرفه غفر الله للحاج ، وإذا كان ليلة المزدلفة غفر الله للتجار الحديث ، قال عنه ما نصه : هذا حديث غريب من حديث مالك ، وليس محفوظاً عنه إلا من هذا الوجه . . .

إلى أن قال : وأهل العلم ما زالوا يسامحون أنفسهم في رواية الرغائب والفضائل عن كل أحد ، قال : وإنما كانوا يتشددون في أحاديث الأحكام " ١ "

وهناك في موضع آخر يتجاوز الحافظ الحدود في حكايته عن العلماء القول بهذا الرأي ، إلى أن يجعله عن جماعة أهل العلم فيقول : " وأهل العلم بجماعتهم يتساهلون في الفضائل ، فيروونها عن كل ، وإنما يتشددون في أحاديث الأحكام " . " ٢ "

ثم يصح بأن ذلك هو اختياره فيقول في مكان آخر : " والفضائل تروى عن كل أحد ، والحجة من جهة الإسناد إنما تنقض في الأحكام ، وفي الحلال والحرام " . " ٣ "

قلت : وهذا كما ذكر ابن عبد البر هو مذهب كثير من العلماء منهم أحمد بن حنبل رحمه الله وغيره . " ٤ " إلا أن بعض أهل الحديث يابون ذلك ويرفضون الأحاديث الضعيفة بتاتا . " ٥ " أغنى في الفضائل وغيرها . والسدى

-
- (١) التمهيد لابن عبد البر ١: ١٢٢
 - (٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١: ٢٦
 - (٣) نزهة المصداق السابقة ١: ٣٨ و ١: ٥٣ ، وانظر : تقريب النواوي مع شرحها للتدريب ١: ٢٩٨
 - (٤) راجع : المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم ١٥٢ ، وسند بانت ، للعلامة الشيخ اسماعيل محمد الأنصاري ١٢ ، وتدريب الراوي للسيوطي ١: ٢٩٨ ، وزاد : ابن مهدي وابن المبارك
 - (٥) انظر : التدريب للسيوطي ١: ٢٩٩

يبدو أن القول الأول ، هو الأولى وخاصة إذا كان ضعف تلك الأحاديث غير شديد ، وقد قال بذلك غير واحد . " ١ "

المبحث الرابع

أن رواية الأكثر والجمهور مقدمة على غيرها :

من آراء الحافظ ابن عبد البر أن علماء هذه الأمة لا يمكن ولا يتصور أن يتواردوا أو يصيروا بجمهورهم على قول باطل . ولذلك يرى من يطالع كتبه ميله العظيم الى القول الذى عليه جمهور العلماء ، وهو ما كان يختاره فى أحيان كثيرة .

يقول فى مسألة خروج العبد من عموم بعض الأوامر كقوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله " الآية " ٢ " قال : وهو قول فقهاء الحجاز والعراق والشام والمغرب ، ومثلهم لا يجوز عليهم تحريف تأويل الكتاب البتة بحال " . " ٣ "

ويقول بأن المحدث اذا خالفته جماعة فى نقله أن القول قول الجماعة ، وأن القلب الى روايتهم أشد سكونا من رواية الواحد " . " ٤ "

ويقول فى ضمن كلامه على وجوب غسل الجنب المتيمم اذا وجد الماء ، بعد أن ذكر قولا لبعض العلماء : " وأما سائر العلماء الذين هم الحجة على من خالف جميعهم فقالوا فى الجنب اذا تيمم ثم وجد الماء : انه يلزمه الغسل لما يستقبل " . " ٥ "

قلت : ولا يخفى أن الحق لا يعرف بالرجال ، ولكن الرجال يعرفون بالحق ، فلا يلزم من كثرة القائلين بالقول أن يكون صوابا دائما ، وانما الصواب

(١) انظر : المصدر السابق ١ : ١٧٧ (٢) سورة الجمعة آية ٩
(٣) التمهيد لابن عبد البر ١ : ١٠٨ (٤) نفس المصدر السابق ١ : ٣٤٢
(٥) الاستذكار لابن عبد البر ٢ : ١٤

والحق دأبنا هو ما كان معه دليل من تلك الأقوال ولو كانت لشخص واحد " ١ "

المبحث الخامس

السنة اذا أطلقت انما يراد بها سنة النبي صلى الله عليه وسلم :

ومذهب الحافظ الى أن السنة اذا أطلقت فانما يتبادر الى الذهن قبل كل شيء ، أنها سنة النبي صلى الله عليه وسلم دون غيرها .

فيقول في موضع : " بأن السنة اذا أطلقت فهي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تضاف الى غيره ، كما قيل : سنة العمرين ونحو هذا " ٢ "

(١) قلت : ولكن هذا ما لم يجتمعوا على حكم فاذا أجمعوا عليه وجب المصير اليه لقوله صلى الله عليه وسلم " أمي لا تجتمع على ضلالة " رواه الترمذي بلفظ : " ان الله لا يجمع أمي و أو قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم - على ضلالة ، ويد الله على الجماعة . ومن شذ شذ في النار "

قال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وقال عنه صاحب التحفة وهو حديث ضعيف لكن له شواهد ، ثم ساق شواهد ، وهي كثيرة انظر تحفة الأخوذ بشرح جامع الترمذي للإمام محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ٦ : ٣٨٢ - ٣٨٧

وأخرجه البغوي أيضا في شرح السنة له بهذا اللفظ ١ : ٢١٥ ،

وأخرجه أيضا الحاكم أبو عبد الله في المستدرک باللفظ المتقدم ثم ساق له شواهد عديدة ، ثم قال : قال الحاكم فقد استقر الخلاف في استناد هذا الحديث على المعتمر بن سليمان ، وهو أحد أركان الحديث من سبعة أوجه ، لا يسعنا أن نحكم أن كلها محمولة على الخطأ بحكم الصواب لقول من قال عن المعتمر عن سليمان بن سفيان المدني عن عبد الله بن دينار ، ونحن اذا قلنا هذا القول نسبنا الراوي الى الجهة السنية فوهنا به الحديث ، ولكننا نقول : ان المعتمر بن سليمان أحد

ائمة الحديث ، وقد روى عنه هذا الحديث بأسانيد يصح بمطابقتها الحديث فلا بد من أن يكون له أصل بأحد هذه الأسانيد ٣
المستدرک على الصحيحين في الحديث للحاكم ١ : ١١٦ (٢) الاستذكار له ٢ :

ومعلق على أثر مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر أنه قال للحجاج يوم عرفة ان كنت تريد السنة فاقصر الخطبة وجعل الصلاة "١" فيقول عليه الحافظ : " وهذا الحديث يدخل عندهم في المسند لقوله فيه ان كنت تريد السنة لا يختلفون في ذلك ، لأنه اذا أطلق صاحب ذكر السنة فالمراد : سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك اذا أطلقها غيره ما لم تضاف الى صاحبها كقولهم سنة العمرين وما أشبه ذلك . " ٢ "

قلت : وهذا الكلام من الحافظ ابن عبد البر هو المتجه ، لأنه أصبح عند كل المسلمين اسم السنة علماً على سنته صلى الله عليه وسلم ، فلا يمكن أن ينصرف الى غيرها ، الا بالاضافة ، كاسم المدينة على مدينته صلى الله عليه وسلم اذا أطلقت لا يفهم منها المسلمون الا مدينته صلى الله عليه وسلم .

المبحث السادس

في أن عمل الأمة بالحديث الضعيف ، يرفعه الى درجة الصحة ، بل قال :
بأنه أقوى من مجرد الاسناد المنفرد :

نهج الحافظ ابن عبد البر هنا غير ما هو مشهور به من شدة تمسكه بالنص وطلب صحة السند في الأحكام ، فهو في ضمن كلامه على حديث مالك رحمه الله " البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته " ٣ " أخذ يورد طرقه التي ورد بها ، وتكلم عليها وحكم عليها بالضعف . " ٤ " ... الى أن قال : " وليس اسناد هذا الحديث مما تقوم به حجة عند أهل العلم بالنقل ، لأن فيه رجلين غير معروفين بحصول العلم ...

قلت : ومع هذا الحكم منه على هذا الحديث بالضعف ، قال بعده مباشرة :

- (١) موطأ مالك مع شرحه تنوير الحوالك للسيوطي ١ : ٣٥٤
- (٢) التقصي لحديث الموطأ للحافظ ابن عبد البر ١٤١
- (٣) الموطأ مع تنوير الحوالك ١ : ٤٥ ، ولوغ المرام لابن حجر ١١
- (٤) انظر مثلاً : الاستذكار له ١ : ٢٠١ - ٢٠٢

" وهذا اسناد وان لم يخرج أصحاب الصحاح فان فقهاء الأمصار وجماعة من أهل الحديث متفقون على أن ماء البحر طهر ، بل هو أصل عندهم في طهارة المياه الخالصة على النجاسات المستهلكة لها . قال : وهذا يدل على أنه حديث صحيح المعنى يتلقى بالقبول والعمل الذي هو أقوى من الاسناد المنفرد " . " ١ "

قلت : ويدولى أن هذا من مفردات الحفاظ ابن عبد البر ، التمسى لا يمكن أن يقرها أكثر العلماء ، كيف يحكم على الحديث بالضعف ؟ ثم يهود فيقول بأنه أولى من الأحاديث الصحيحة لمجرد أن أكثر العلماء أخذوا بمعناه ، مع أن الجمهور لم يظهر أنهم أخذوا به في الحقيقة ، وإنما أخذوا بأدلة أخرى صحيحة عامة مثل قوله صلى الله عليه وسلم " ان الماء طهر لا ينجسه شئ " ٢ ثم أيضا ذهب كثير من العلماء الى القول بمسألة من العلم لا يوجب أحقية تلك المقالة ما لم يجتمعا جميعا عليها ، ولا يخفى أن الاجماع لم يحصل هنا بدليل ما ذكره هو بنفسه : أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما كلاهما قد روى عنه كراهة الوضوء بماء البحر . " ٣ كما أن هذا الكلام السابق من ابن عبد البر يخالف ما صرح به غير واحد من عدم استلزام عمل العالم بالحديث صحته . " ٤ "

المبحث السابع

فى تعليم السنن :

يلتقى رأى الحفاظ فيما يتعلق بتعليم السنن ، مع آراء أهل الحديث الذين يرون السنة هى الشارحة لكتاب الله ، والمبينة لمعانيه ومجملاته ، فلاحظ فى فهم الكتاب لمن أعرض عن السنة ، أو تغافل عنها . فقد بين رأيه فى

- (١) نفس المصدر السابق ٢٠٢ : ١ ، وانظر : الاعلام لابن القيم ٢٢١ : ١ — ٢٢٢ ، حيث نقل ذلك عن الكافة
- (٢) بلوغ المرام لابن حجر ١١ ، وسنن أبى داود ١ : ١٩
- (٣) الاستذكار لابن عبد البر ١ : ٢٠٢
- (٤) انظر : تدريب الراوى مع تقريب النواوى ١ : ٣١٥

ذلك عندما تكلم في باب رتب الطلب والنصيحة في المذهب ، فبين^١ أولاً أن الواجب على طالب العلم البداية بكتاب الله حفظاً وتلاوة ثم تعلم ما يعين على فهمه من مواد عربية وغيرها .^١

ومعد ذلك قال : " ثم ينظر في السنن الماثورة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فيها يصل الطالب إلى مراد الله جل وعز في كتابه . قال : وهي تفتح له أحكام القرآن فتحة ، وفي سير رسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه على كثير من الناسخ والمنسوخ في السنن ، قال : ومن طلب السنن فليكن معوله على حديث الأئمة الثقات الحفاظ الذين جعلهم الله خزائن لحلم دينه ، وأمناء على سنن رسوله صلى الله عليه وسلم . ثم ذكر بعض أولئك الأئمة ١٠٠٠ إلى أن قال : " وانما صار مالك ومن ذكرنا معه أئمة عند الجميع لأن علم الصحابة والتابعين في أقطار الأرض انتهى إليهم لبحثهم عنه رحمهم الله ، قال : والذي يشذ عنهم يسير نذر في جنب ما عندهم . " ^٢

ويقول في ضمن كلام ذكر فيه أن بعض الأئمة المتبحرين قد أفتوا بآرائهم في مسائل خالفوا فيها الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " ليس لأحد من علماء الأمة يثبت حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرده دون ادعاء نسخ عليه بأثر مثله أو باجماع أو بعمل يجب على أصله الانقياد إليه ، أو يلحق في مسنده ، قال : ولو فعل ذلك أحد — أي لورد أحد من العلماء : الحديث الصحيح بدون أحد الأعداء السابقة وغيرها — سقطت عدالته فضلاً عن أن يتخذ اماماً ولزمه اثم الفسق " ^٣

قلت : وليس لي تعليق على رأى المافظ هنا إذ في رأى واعتقادي أن الصواب والحق هو ما ذهب إليه .

-
- (١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ : ٢٠٤ — ٢٠٥
 (٢) نفس المصدر السابق ٢ : ٢٠٥ ، وانظر مقدمة الاستيعاب للمصنف
 فقد بين فيه وجوب تعلم السنن
 (٣) نفس المصدر السابق ٢ : ١٨٢

المبحث الثامن

ثناؤه على رجال الحديث وتنويه بهم :

لقد كان رأى الحافظ ابن عبد البر فى علماء السنة المتحاملين لها
الذائدين عنها كراى بقية أهل الحق فيهم ، فقد أثنى عليهم بما هم أهل
ومنصحه طلاب العلم بالرجوع الى مصنفاتهم التى هى كنوز هذه الشريعة التى
لا تفتنى ولا تبديد ما بقيت الدنيا ، لحفظ الله لها سبحانه .

ومن جملة ثناء الحافظ ابن عبد البر وتنويهه بأولئك الأفاضل قوله :
” ومن طلب السنن فليكن معوله على حديث الأئمة الثقات الحفاظ الذين
جعلهم الله خزائن لعلم دينه ، وأمناء على سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال فى تعدادهم : كمالك ابن أنس الذى قد اتفق المسلمون طرأ
على صحة نقله ، وتفاوت حديثه وشدة توقيه وانتقاده ، ومن جرى مجراه مسن
ثقات علماء الحجاز والحراق والشام ، كشعبة بن الحجاج وسفيان الثوري ،
والأوزاعي ، وابن عيينه ، ومعر ، وسائر أصحاب ابن شهاب الثقات ، كابن
جريج وعقيل ويونس وشعيب والزبيدي والليث .

قال : وحديثه هو ” لا ” عند ابن وهب وغيره . قال : وكذلك حديث حماد
بن زيد ، وحماد بن سلمة ويحيى بن سعيد القطان ، وابن المبارك ، وأمثالهم
من أهل الثقة والأمانة ، قال : وعلى حديثهم اعتمد المصنفون للسنن
الصالح ” ١)

قلت : وهكذا ينبغي أن تكون الصلة بين العلماء ، فيعترف بعضهم
لبعض بالفضل ، ويلبوا فيما بينهم داء الحسد الذى لا يجدى شيئا ، بل لا أثر
له البتة الا فى شغل النفوس بما لا ينفعها ، بل يضرنا ، والله المستعان .

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ : ٢٠٥ ، راجع مقدمة
الاستيعاب له ١ : ١٥

قال حافظ ابن عبد البر ههنا قد نجى من ذلك الداء - المتسد - فأثنى على هؤلاء بما هم أهل له ، أسهاما منه في توطيد الثقة بنقلهم ، وذلك خلافا لكثيرين من ملاحدة المستشرقين وأذئابهم الذين يلتصقون الخيل من أولئك الأخيار ، لا لشيء إلا لضعاف ثقة شبابنا بنقلهم ، كي يدفعهم ذلك الى التحرر من مبادئ دينهم الذي رفعهم الله به ، ووعد برفع كل من تمسك به بخض النظر عن جنسه وزمانه ومكانه ، والله غالب على أمره .

المبحث التاسع

انكاره لمقالة منكرى السنن ، ورده الشديد عليهم :

تصدى الحافظ ابن عبد البر ههنا للرد على أولئك الذين يطعنون فى سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رد عليهم بما هم أهل له ، وبين سوء مذهبهم وأنهم لولا الجهل والسذاجة العميقان اللذان أصابتهم لما نطقوا بذلك ، ولما فكروا فيه ، فقال معلقا على أثر أورده عن أبى هريرة أنه قال : " لقد حدثكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر بن الخطاب لضربنى عمر بالدرة " .

يقول فى ضمن تعليقه على هذا الأثر :

" احتج من لا علم له ولا معرفة من أهل البدع وغيرهم الطائفين فى السنن بحديث أبى هريرة هذا / ^{وحديث عمر} ونحو قوله : أقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذكرنا فى هذا الباب - باب ذكر من ذم الاكثار من الحديث دون تفهيم له والمتفقه فيه من الأحاديث وغيرها ، وجعلوا ذلك ذريعة الى الزهد فى سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التى لا يوصل الى مراد كتاب الله الا بها ، والطعن على أهلها .

قال : ولا حجة فى هذا الحديث ، ولا دليل على شيء مما ذهبوا اليه . ثم بين الوجوه التى فسرت بها مقالة عمر ، وهى بعيدة عن رأيهم المشتم منها على سبيل الاختصار :

١ - أن ذلك اجتتهاد منه واختيار ، نصح به قوما لم يقرأوا القرآن فأرشدهم

(١) أنظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ : ١٤٧ - ١٤٨

الى الاقلال من كل شىء قبل حفظ القرآن •

٢ — أنه ارشاد منه رضى الله عنه ليقوم أكثرها جدا الرواية مخافة أن يجرحهم ذلك الى الوقوع فى الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم •

٣ — ومنها أن ما ورد عن عمر لم يثبت عنه بطرق صحاح ، ولو ثبت فعلا فهو مفسر بما تقدم •

٤ — أن عمر نفسه قد قبل الأحاديث ونصح الصحابة فى مسألة الرجم إلا يتهاون بها الناس محتجين بأنها ليست فى القرآن فان النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة قد رجموا ، فلا يمكن الاعتذار بنسخ الرجم من القرآن • ومن هنا يعلم أن عمر بن الخطاب لا يمكن أن يوافق أولئك المارقين من الدين الذين يتركون السنة ويتهاونون بها استخفافا بها ومن نطق بها عافانا الله والمسلمين مما ابتلاهم به آمين • "١"

المبحث العاشر

تقد. يمه لحمل أمثل مكة والمدينة على عمل فيهم :

سلك المعافذين عبد البر مسلك من سبقه من أعيان العلماء الذين يرون حجية الحمل المتوارث فى المدينة المنورة شرفها الله ، لما لها من ميسرة لم تكن لغيرها ، حيث هاجر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فاطمأنوا بها وبنوا فيها شرائع الاسلام ، ثم تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بقى فيها من بعده صحابته وهم أتقن الناس لما عليه صلى الله عليه وسلم ولما أمر به ، وكذلك مكة المكرمة مجتمع العالم الاسلامى بأسره لا بد أن يكون لها نصيب فى بقاء أهلها على الحق المبين حيث أنهم قد أصبحوا قدوة يتشبه الجميع الى وصولهم والتأسي بهم •

ومن هذا المنطلق يقول فى حديث مالك فى توارث أهل الكتاب "٢" فى

(١) انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ : ١٤٧ ، و ١٤٨ ، و ١٤٩ .
وانظر : مقدمة الاستيعاب له •

(٢) انظر : الموطأ مع تنوير الحوالك ٢ : ٥٩ — ٦١

ضمن أدلته التى يفند بها رأى منازعيه :

" وهو معمول به عند أهل المدينة ومكة " ^١ " ويقول معلقا على حديث قبول اليمين مع الشاهد فى ضمن أدلته على العمل بهذا الحديث ردا " ^٢ " على من لا يرون العمل به :

" وحسبك به عملا متوارثا بالمدينة ، وقال : بأن الشعبى قال : أهل المدينة يقولون : شهادة الشاهد ويمين الطالب " ^٣ " وقال على هذا الحديث قبل هذا الكلام عندما ذكر الخلاف فيه ثم ذكر من يقولون بما دل عليه ثم قال : وجماعة أهل الأثر ، وهو الذى لا يجوز عندى خلافه ، لتواتر الآثار عن النبى صلى الله عليه وسلم وعمل أهل المدينة به قرنا بعد قرن " ^٤ "

قلت : ولا يخفى ما للحرمين الشريفين من المزايا والصفات التى تجعل فى أكثر الأحيان قولهم أولى بالصواب ، من تلك المزايا كما هو مشاهد فى وقتنا الحاضر :

١ — اعتناء أمراء المسلمين بهما حيث يعين فيهما عادة خيرة العلماء الناطقين بالحق الذين فهموا عن الله ، وأدركوا خفيات المعانى •

٢ — توافد علماء الاسلام من كل مكان اليهما ، وكثيرا ما يقومون باظهار الحق فيهما تقريا الى الله سبحانه ، وإنكارا لما وجدوا من الباطل فيهما ، فتحلى هذا تبقى الحرمان غالبا على الحق لسهولة سماعهم له ، ولكونهما قدوة

ومن هنا يكون رأى الحافظ ابن عبد البر صوابا عندما مال الى ترجيح ما عليه أهل الحرمين فى الغالب •

(١) التمهيد لابن عبد البر ٢ : ٥٣
(٢) موطأ الامام مالك مع تنوير الحوالك ٢ : ١٩٩
(٣) التمهيد لابن عبد البر ٢ : ١٥٧
(٤) نفس المصدر السابق ٢ : ١٥٤

المبحث الحادى عشر

فى المصير الى النسخ :

من آراء الحافظ ابن عبد البر التمسك بالنص بعد وصوله اليه بقدر الممكن فلا يتصور عنده ترك النص الا فيما لا مجال معه الى الجمع ، والعمل بالنصين معا ، فلذا يقول بخصوص النسخ هنا بين حديثين ، حديث ورد فى النهى عن استقبال القبلة أو استدبارها لبول أو قائط ^١ وحديث ابن عمر الذى فيه أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم قاعدا لحاجته مستقبل بيت المقدس مستد بـسر الكعبة . ^٢ قال : فانزلنا النهى عن ذلك فى الصحارى ، والرخصة فى البيوت — أى كان هذا جمعا بينهما — ثم قال موضحا رأيه فى النسخ : لأن حديث ابن عمر فى البيوت ، ولم يصح لنا أن يجعل أحد الخبرين ناسخا للآخر لأن الناسخ يحتاج الى تاريخ ، أو دليل لا معارض له ، قال :

” ولا سبيل الى نسخ قرآن بقرآن ، أو سنة بسنة ، ما وجد الى احتمال الآيتين ، أو السنتين سبيل ... ” ^٣

قلت : ولا يخفى أن الحق هو ما ذهب اليه الحافظ ، لأن النص اذا ثبت وجب العمل به بدون اختيار لأحد من الناس ، فلا يمكن أن تبرأ ذمة الانسان المسلم من العمل به الا بما لا معارض له ، وهو ما يقطع العذر ، ويسلم له .

المبحث الثانى عشر

أن لا اجتهاد الا للعالم ، وأنه لا يكون الا فى الأصول :

ذكر الحافظ ابن عبد البر الأثر المشهور عن عبد الله بن مسعود ، قال :

(١) سنن أبى داود ٢ : ١ ، وسنن النسائى ١ : ٢٣ و ٢٤ ، وموطأ مالك مع تنوير الحوالك ١ : ١٩٩

(٢) سنن النسائى ١ : ٢٥ ، وموطأ مالك مع تنوير الحوالك للسيوطى ١ : ٢٠٠
وسنن أبى داود ٣ : ١

(٣) التمهيد لابن عبد البر ١ : ٣٠٧

أكثر الناس يوماً على عبد الله يسألونه ، فقال : " أيها الناس انه قد أتى علينا زمان ولسنا نقضى ولسنا هناك ، فمن ابتلى بقضاء بعد اليوم فليقض بما فى كتاب الله ، فان أتاه ما ليس فى كتاب الله ولم يقل فيه نبيه فليقض بما قضى به الصالحون ، فان أتاه أمر لم يقض به " ^١ " الصالحون وليس فى كتاب الله ولم يقل فيه نبيه فليجتهد رأيه ، ولا يقولن انى أرى وأخاف فان الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك أمور مشتهيات ، فدعوا ما يريكم لما لا يريكم " .

ومحد هذا الاثر مباشرة أخذ الحافظ يعلق عليه قائلا ما نصه ومبيناً رأيه فى الموضوع : قال أبو عمر : " هذا يوضح لك أن الاجتهاد لا يكون الا على أصول يضاف اليه التحليل والتحريم ، وأنه لا يجتهد الا عالم بها " ، فقال : " ومن أشكل عليه شئ " لزمه الوقوف ، ولم يجز له أن يحيل على الله قولاً فى دينه لا نظير له من أصل ولا هو فى معنى أصل ... " ^٢ " .

قلت : وهذا الاختيار من ابن عبد البر : هو الصواب الذى لا يتجه سواه ، حيث أشار فيه الى سد الباب أمام طائفتين كلاهما ذات خطر جسيم على هذه الأمة ، وقل من ينتبه لذلك الخطر العظيم :

احدهما : من ينصبون آراء الرجال أصولاً يقيسون عليها ، ويتمسكون بها ، كما يتمسكون بالنصوص من الكتاب والسنة ، بل يشددون الانكار على من خالف تلك الآراء حتى ولو كان المخالف لها متمسكاً بالنص . والله المستعان .

وثانيهما : أولئك الجهال الذين يغبطون العلماء مع فراغهم من ادراك شئ من العلم ، فتحملهم تلك الغبطة على التصدى للفتوى والتعليم ، فلا بد أن ينشأ عن ذلك أعظم الخطر حيث سيحللون حتما ما حرم الله ، أو يحرموا ما أحله ، وذلك لجهلهم ، ولرغبة المستفتين فى البت فى تلك المسائل .

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ : ٧٠ ، والفقيه والمتفقه للخطيب ،

٢٠١ : ١

(٢) جامع بيان العلم لابن عبد البر ٢ : ٧١

خاتمة البحث

أو النتيجة التي توصلت إليها من خلال هذا البحث

مما لا شك فيه أنه لا يخلو باحث من الباحثين عن تحقيق أحد الأغراض الثلاثة التالية :

- أما أن يكون مبتكرا لعلم لم يسبق إليه
- وأما أن يكون جامعا لشتات علم سبق إليه ولكن لم يسبق إلى ذلك الجمع والضم والتنسيق .
- أو يكون مختصرا لعلم من العلوم أو على الصحيح لموضوع من المواضيع سبقه غيره إليه بشئ من التطويل والتبسيط فيأتي فيختصره إلى حجم أقل من حجم الأصل .

هذا وإن غرضي هو تحقيق الجانب الثاني من الأغراض الثلاثة للتأليف فقد قصدت إلى تحقيق ما يتعلق بالمالم الأندلسي الحافظ المشهور يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي محدثا ، والذي عاش طبيعا في فترة من التاريخ فإدى بي طبيعة هذا البحث إلى النتائج الملخصة الرئيسية التالية :

- ١ — لقد استطعت من خلال كتابة هذا البحث أن اطلع اطلالة لا بأس بها على تاريخ الأندلس عموما . فكان ذلك بمثابة دافع قوي لي إلى الامام وإلى المزيد من اكتشاف تلك الكنوز التي تحوى مكاتب بلادنا نوادر منها والتي أصبحت الآن تنال للعيان من جديد بمدة طويلة من فقدان والانعدام ، فلا شك أن التاريخ الأندلسي قد أخذ يلبس فترة أتتبع زواياه ، واستلهم منه الحكم والرشاد ، واستدرك كثيرا مما فاتني من الاطلاع عليه قبل اختياري لهذا الموضوع ، حتى كدت في بعض أحيان مضت أن أتجاهل موضوعي الخاص لكي أظفر بأكبر منه ، ولولا ما ابتليت به من وجع الميرون في تلك الفترة لما وقفت دون تحقيق بغيثي ، التي تتمثل في ادراك أكبر حظ ممكن من العلم بالتاريخ الأندلسي .

ولكننى عندما أوقفنى القدر رضىت بالحكمة القائلة : ما لا يدرك كنهه
لا يترك كله ، فالتصت ما سمح به الوقت من تلك الكنوز حتى أنهيت
بعضها اطلاعا ورجعت فيه ، وقصدت الى ذلك بالمدى لا يكون
هى الوحيد مجرد رسالة من تاريخ الأندلس ثم انحرف عن ذلك وأنساه
بل يكون انشاء الله حلى منه حظا ثابتا بعد .

والواقع أنى أعبر هذه النتيجة أعلى ما توصلت اليه . اذ هى
المسبيل الى أغلب النتائج التى توصلت اليها ، فمن هنا كان اطلاعى
على الحالة السياسية والحالة العلمية وخاصة فى زمن الحافظ المبرمج عنه ،
فقد اتصلت فى الحقيقة بالتاريخ السياسى والملئ بالأندلس تلك الآونة
اتصالا مباشرا فدرست كثيرا من تاريخ الخلفاء : عبدالرحمن الناصر ، والحكم
المستنصر ابنه ، وهشام المؤيد ، والمنصور الحاجب ، وابنائهم . كما أنسى
قد اطلعت على أسباب الفتن فى الأندلس فى تلك الأيام وكيف صار الأندلس
الى دويلات ، وافتقرت فيه كلمة المسلمين الى أن ذهب شمس الاسلام
عن الأندلس باستماعة بعضهم على بعض ، بالكافر الملحد حتى لمس الكفار
من خلال تلك الفتن ضعف الجميع ، وانحلال قوتهم ، فعند ذلك آن
لهم الانقضاء ، عليهم كما ينقض الأسد على فريسته . عسى الله المسلمين من
تلك الفتن ومن ذلك الخلاف البغيض آمين .

٢ — استطعت من خلال هذا البحث أن اطلع على تاريخ علم الحديث
وما يتعلق به ، لدى الأندلسيين ، وكيف كان مدى تقدمهم
فيه ، وراجعت أكثر الموجود لهم من هذا النوع من التاريخ خاصة ، وذلك
لأنه يتعلق بموضوع رسالتى مباشرة . والواقع أننى قد فرحت جدا عندما
اتصلت بهذا القسط من التاريخ الأندلسى ، فقد وجدت ما لم يكن لى
بالحساب ، من ذا الذى يتوقع أن أمثال البخارى ومسلم وابن معين
واحمد بن حنبل رحمهم الله فى الشرق ، وفى منبع العلم ، قلت : من
ذا الذى يتوقع أن أمثال هؤلاء سينشئون فى أقاصى البلاد البعيدة من منشأ

العلم ، انها من دلائل رفعة الاسلام الظاهرة أن تسمو كلمة كل من نشأ عليه بخضرا لنظر عن أصله ، أو مكانه ، فقد تقدم الأندلسيون في هذا المجال أيما تقدم ، حتى قرن بقى بن مخلد بالبخارى ومسلم ، وقرن ابن حزم بأفاضل أهل المشرق ، وقرن ابن عبد البر بالحافظ المشرقى المطلق في زمانه الخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد . انها لمنقبة كبرى للأندلسيين أن يقارنوا بمن نشأ في أحضان المعرفة ، ومجتمع تراثها مع بعدهم الشاسع عن ذلك كله ، لقد كان أول كتاب من كتب الحديث سبق علمه الى من كتب الأندلسيين هو كتاب ترتيب المسدرك للقاضي عياض ، ثم جذوة المقتبس للحميدى ، ثم بغية الملتبس للضبي ثم الصلة لابن بشكوال . ثم راجعت بقيتها فأفادتني تلك الكتب أن الأندلس كما اشتهر شعره وفضاؤه ، فكذلك اشتهر أكثر من ذلك علمه بالحديث والقرآن الكريم .

الآن أعداء الله المستشرقين كانت لهم اليد الطولى في اخفاء ما لم يخدم أغراضهم ، واظهار ما يساند مطلبهم الوحيد الذى هو اشاعة الفساد والفاحشة بشتى الوسائل ، حتى ولو أدى ذلك الى تزوير التاريخ الذى يمدد العقلاء من الجرائم المستنكرة .

هذا ولقد لمست من خلال دراستى لهذا القسم من تاريخ الأندلس التقارب بين مدرسة الحديث بالأندلس ، وبين مدرسة الحديث بالمشرق التى يتزعمها البخارى ، وابن معين ، وأحمد . ولا غرو فمدرسة المشرق أصل لهذه ، وهذه فرع متفرع عنها ، فما أكثر المرتحلين من رواد مدرسة الأندلس الى المشرق ، وللأخذ عن جهابذة المشرق فى ذلك الزمان .

٣ - وقتت من خلال هذا البحث على أصل الحفاظ ابن عبد البر وأين كان المنبع الذى تفرع منه ، وهل كانوا من العرب ، أو من المجمع ، وأين كان سكناهم قبل الاسلام ، ومعدده ، ومتى كان انتقالهم

من منحهم الأصل إلى مسكنهم الأخير ، فوقفت من ذلك على عبر كيف
هان على أولئك الدعاة من سلفنا أن يتركوا ديار الآباء والأجداد مقابل
نشر الإسلام وتخليده ، كما هان عليهم مقابل ذلك بذل الروح والمال في
سبيل الله . وذلك دللت لهم الصعاب وأدركوا ما عز على من تقاعس
والله المستعان .

٤ — وقتت أيضا على تاريخ والد ابن عبد البر من أوله إلى آخره . —
وكذلك تاريخ ولادة الحافظ ابن عبد البر وكيف كانت ، ومن ذا
الذي قام بتربيته ، وكيف نشأ ، ومتى بدأ في طلب العلم ، ومن من العلماء
من كان له شرف الاتصال به أولا فأول ، وكيف كان اجتهاده في العلم
وحرصه على تحصيله ، وفي أي سن بدأ في ذلك .

كما وقتت على حالته المميشية ، فرأيت كيف كان فقيرا ولا يملك من
المال شيئا فيضطره الحال إلى ملازمة الأمراء ، ثم تتوجه إليه الانتقادات
من معاصريه ، ثم يضطر إلى الرد عليهم بما يراه صوابا .

٥ — واطلمت من خلال هذا البحث أيضا على صيرة العلماء الذين أخذ
منهم الحافظ ابن عبد البر العلم فرأيت مقدار ملازمته لأكثرهم ورأيت
كيف كان يتأدب معهم وكيف كان مدى تأثير ابن عبد البر بهم ، ووقفت
على ما يتمتع به كل واحد منهم من التخصصات حتى تسنى له أن يؤثر
أحسن التأثير في الحافظ ، وخصصت لكل واحد ترجمة تبين ذلك .

٦ — وقتت على تلامذة الحافظ ابن عبد البر فرأيت كيف بلغوا من الكثرة
إلى حد لا يتصور ، وذكرت لأشهرهم تراجم تبين مدى تأثيرهم
بالحافظ ، وبيئت أن تلاميذه هم الذين صاروا فيما بعد أجلة الأندلس
والمغرب ، وأن أكثرهم قد ورثوا منه علمه ونشروه بين الأنام بمدد وفاته ،
وأما من لم أذكر له ترجمة مستفيضة ، فاني ذكرته باختصار غالبا ، وقد
استفدت من خلال تتبعي لشيوخه وتلاميذه أكبر الفوائد حيث تسنى لى
أن أقف على كنوز السنة بالأندلس ورواتها الذين يحاول أهل المصـر
الاخفاء عليهم .

٧ — وقفت على طبقته وهل ارتحل أم لا ورددت الاتهام الذى وجه اليه بسبب عدم الرحلة الى المشرق ، أو المنقصة على الصحيح حيث نقصه بعضهم لعدم رحلته الى المشرق فأجبت عن ذلك .

٨ — وقفت على مذهبه ، وعقيدته ، ورأيت كيف كان متجولا بين المذاهب يبحث عن أولها بالحديث النبوى على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، فقد كان ظاهريا ثم مالكيًا ثم مجتهدا يأخذ ما دل عليه الدليل ثم كان استقراره على أنه من أهل الحديث يذهب حيث تذهب النصوص . ووقفت على عقيدته فرأيت كيف كان من أهل المنة الذاهبين الى ما فى الكتاب والسنة دون تعطيل أو تكيف أو تشبيه ، ورأيت ردوده على أهل البدع من الجهمية والمعتزلة ، وغيرهم ، وكيف رد عليهم بأن الحق هو ما عليه أئمة الجماعة الذين لا يمكن أن يتمسكوا جميعا الا بالحق ، ورأيت ما وجه اليه من الاتهام وقد رددت ذلك الاتهام .

٩ — استطعت من خلال هذا البحث أن اطلع على الممكن من مؤلفات الحافظ ابن عبد البر وأدرسها دراسة ، فتبين لى من خلال تلك الدراسة المزايا الخاصة بكل واحد من مؤلفاته ، وتبين لى كيف كان أكبرهم منصبا على تحقيق علم الحديث فبينت بالأثلة كيف كان يصحح الأحاديث ، وكيف كان يضعفها ، وبينت نقلا من كتبه كيف كان كلامه على علم مصطلح الحديث ، وقارنت بين آرائه وآراء غيره ، واستخرجت من خلال مطالعتى لكتبه منهجه فى استخراج الفقه من الحديث ، فأوضحت كل ذلك باختصار والأثلة .

١٠ — استطعت أن أقف على ما قيل فيه من المدح والثناء فأثبت كلام العلماء فى الثناء عليه ، وبينت أنهم يقدمونه على أكثر معاصريه ، وأنهم أطلقوا عليه اسم : حافظ الدنيا ، ومنهم من اقتصر على أن سماه حافظ المغرب ووصلت الى معرفة كل ما يتعلق بالثناء عليه ووجدت أن ذلك لم يدخل فيه ان شاء الله غلولا شطط .

١١ — اطلعت على ما قيل فيه من الجرح ، أو على الأصح ما أخذ عليه عموما

وخصوصا ، فتبعت ذلك فوجدت أنه لم يخرج من النواحي الخلقية الا
بأكله لطعام الأمراء ، وقد أجاب هو بنفسه عن ذلك وبين أن المنكر
عليه جاهل ، وأنه على الصواب . وبينت أنا هنالك ما أراه صوابا ان شاء
الله ، ثم بعد ذلك ، تبعت المآخذ عليه فوجدت أكثرها متوجها الى
كتابه الاستيعاب ، فدرست ذلك ، ووافقت الذين أخذوا عليه فيما أرى انهم
مصيبون فيه ، وخالفتهم فيما أرى أنهم غير محقين فيه ، ووافقت فيسه
ابن عبد البر .

١٢- هذا وفي آخر البحث تطرقت لذكر فصل كامل في بيان بعض آراء
الحافظ ابن عبد البر في فن الحديث ، وبينت آراءه ، واختياراته
وأشرت في بعض المواضع الى ذكر من وافقه على ذلك من العلماء .

هذا وفي ختام الخاتمة أحمد الله الذي لا اله الا هو ، والذي لا
تتم الصالحات الا بتوفيقه منه ، أحمد الله سبحانه على ما يسر لي من أدوات
البحث التي أعانتني على ما قمت به ، كما أحمد الله على ما هيا لي من رعاية
عالية القدر تمثلت في جامعة الملك عبد العزيز حرسها الله ، التي أولتنا كل
اهتمامها وكل تشجيعها فلهم مني أسى آيات الشكر والعرفان ، كما أحمد الله
سبحانه على توفيقه ومعونته على اتمام هذه الرسالة ، فقد عانيت الكثير والكثير
في تحضيرها كما هو موضح في المقدمة ولولا تسهيله سبحانه لما تخطيت تلك
الصعاب التي واجهتني في ذلك .

والحمد لله أولا وأخيرا ، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين .

قائمة المراجع

- (١) التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد ، للحافظ ابن عبد البر
مطبعة فضالة المحمدية بالمغرب .
- (٢) البداية والنهاية لابن كثير ، ١ لطبعة الأولى لمكتبة النصر بالرياض
سنة ١٩٦٦ .
- (٣) الدياج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب ، لابراهيم بن على
بن محمد بن فرحون المالكي ، الطبعة الأولى بمصر سنة ١٣٥١ هـ .
- (٤) ائتاب الكتاب لأبى عبدالله محمد بن أبى بكر القضاى المـسـرـوف
بابن الأبار ، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق .
- (٥) الحلل السندسية ، لشكيب أرسلان ، الطبعة الأولى بالرحمانية
بمصر سنة ١٣٥٥ .
- (٦) الرسالة المستطرفة ، لمحمد بن جعفر الكتانى طبعة كارخانه تجاره
كتب سنة ١٣٧٩ هـ .
- (٧) الاشارات الى بيان أسماء المبهعات للنووى ، مطبعة الدخانية فى لاهور .
- (٨) اللباب لابن الأثير ، طبعة مكتبة القدسى بالقاهرة سنة ١٣٥٦ هـ .
- (٩) الميزان ، للذهبي أبى عبدالله محمد ابن احمد بن عثمان ، طبعة
دار احياء الكتب العربية لعيسى البابى الحلبي وشركاء .
- (١٠) الرسالة الحموية لشىخ الاسلام ابن تيمية ، تحقيق محمد حامد
اللقى الطبعة الثانية بمطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .
- (١١) المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد المـغـربى الطبعة الثانية بـسـسـدار
المعارف بمصر .
- (١٢) القاموس المحيط ، للفيروز أبادى ، الطبعة الثانية لمصطفى البابسى
الحلبى بمصر .

- (١٣) المجموع شرح المذهب ، للحافظ أبى زكريا محى الدين بن شرف
النووى ، مطبعة العاصمة بشارع الفلكى بالقاهرة .
- (١٤) الالامع الى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ، للقاضى عياض
بن موسى اليحصبى ، الطبعة الاولى بدار التراث بالقاهرة
سنة ١٣٨٩ هـ .
- (١٥) ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول ، لـ محمد بن على
الشوكانى ، الطبعة الاولى لمصطفى البابى الحلبي بمصر سنة
١٣٥٦ هـ .
- (١٦) الضهير الحديث فى علوم الحديث تسم المصطلح ، للدكتور محمد
محمد السماحى ، طبعة دار الانوار للطبع والتجليد سنة ١٣٨٢ هـ .
- (١٧) الكفاية فى علم الرواية ، لأبى بكر احمد بن ثابت المعروف بالخطيب
البخدادى ، الطبعة الاولى بالسعادة بمصر .
- (١٨) اجتناء الثمر فى مصطلح أهل الأثر ، لمبد الحسن المباد ، دار
الثقافة الاسلامية بالرياض سنة ١٣٨١ هـ .
- (١٩) القصد والام فى التعريف بأصول أنساب العرب والمجم ، لابن
عبدالبر ، مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ .
- (٢٠) الأنباء على قبائل الرواة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، لابن عبدالبر
مطبعة السعادة بالقاهرة .
- (٢١) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، لابن عبدالبر ، مطبعة نهضة
مصر ، الفجالة بالقاهرة .
- (٢٢) أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض ، لشهاب الدين احمد
بن محمد المقرئ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٥٨ هـ .
- (٢٣) الاصابة فى معرفة الصحابة ، لابن حجر المسقلانى ، الطبعة الاولى
بالسعادة بمصر .
- (٢٤) السيرة النبوية ، لابن هشام ، الطبعة الثانية للحلبى بمصر .

- (٢٥) الدرر في اختصار المغازي والسير ، لابن عبد البر ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة .
- (٢٦) التقصي لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لابن عبد البر ، مكتبة القدسي بالقاهرة .
- (٢٧) المحلى ، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم ، الناشر مكتبة الجمهورية العربية عبدالفتاح عبدالمجيد مراد سنة ١٣٨٧ هـ .
- (٢٨) الجامع الأصول من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأبي السعادات مارك ابن محمد بن الأثير الجزري ، الطبعة الأولى لمطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .
- (٢٩) اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، لمحمد الخضري بك ، الطبعة التاسعة بمصر .
- (٣٠) البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس لابن عذاري المراكشي ، دار الثقافة ببيروت .
- (٣١) التقييد والايضاح شرح مقدمة ابن الصلاح ، للمراقى ، الطبعة الأولى نشر عبدالحسن الكتبي .
- (٣٢) التراجم والسير لمحمد عبدالغنى حسن ، الطبعة الثانية بدار المعارف بمصر .
- (٣٣) أعلام الاسلام المنصور بن أبي عامر ، لمولى بن أدهم ، طبع دار احياء الكتب العربية لمعنى البابي الحلبي وشركاه .
- (٣٤) أعمال الأعلام فيمن يوقع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام للسان الدين بن الخطيب ، طبعة ثانية بدار الكشف ببيروت لبنان .
- (٣٥) ابن حزم المفكر الظاهري للدكتور زكريا ابراهيم ، نشر الدار المصرية للترجمة والتأليف .
- (٣٦) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لأبي الحسن علي بن بسام الشنترنسي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

- (٣٧) الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ، مالك والشافعى وأبى حنيفة لابن عبد البر ، مطبعة المماهد بجوار الجمالية بمصر .
- (٣٨) الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معانى الرأى والآثار ، لابن عبد البر ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة .
- (٣٩) المصجم فى أصحاب القاضى أبى على الصدفى ، لمحمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاى المعروف بابن الأبار ، طبعة روجس — المسيحية بمجريط .
- (٤٠) الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، تأليف خير الدين الزركلى ، الطبعة الثانية .
- (٤١) السنن الكبرى للبيهقى ، نشر دار صادر بيروت .
- (٤٢) الاسلام فى اسبانيا ، للدكتور لطفى عبد البديع ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .
- (٤٣) أعلام الموقعين عن رب العالمين ، للإمام ابن القيم الجوزية ، مطبعة المدنى ٦٨ شارع المباسية بالقاهرة .
- (٤٤) المستدرك على الصحيحين ، لأبى عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابورى ، الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض ((حرف الباء))
- (٤٥) بغية الملتصق فى تاريخ رجال الأندلس ، لأحمد بن يحيى الضبى ، مطبعة روجس المسيحية فى مدينة مجريط .
- (٤٦) بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، لابن حجر ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر .

حرف التاء

- (٤٧) تذكرة الحفاظ للذهبي ، دار احياء التراث العربى بيروت
• لبنان
- (٤٨) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ،
للقاضى عياض ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت •
- (٤٩) تحقيق تكملة اكمال الاكمال لمصطفى جواد ، نشر المجمع
الملى بالمراق سنة ١٣٧٧ هـ •
- (٥٠) تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ، لمحمد الرحمن بن أبى
بكر السيوطى ، الطبعة الثانية بالسعادة بمصر •
- (٥١) تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلانى الطبعة الاولى
نشر محمد سلطان النمنكانى بالمدينة المنورة •
- (٥٢) تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، تأليف الألمانى
يوسف اشباخ وترجمة محمد عبدالله عنان ، الطبعة الثانية
بمؤسسة الخانجى بالقاهرة •
- (٥٣) تحفة الأحوزى ، للجبار كهورى ، الطبعة الثانية نشر عبدالمحسن
الكتبى •
- (٥٤) تجريد أسماء الصحابة لأبى عبدالله الذهبى ، الطبعة الاولى
بدائرة المعارف النظامية بحيدرآباد الدكن •
- (٥٥) تمجيد النعمة ، لابن حجر ، دار المحاسن للطباعة شارع
الجيش •
- (٥٦) تاريخ العرب فى اسبانيا جمهورية بنسى جهور ، للدكتور خالد
الصوفى ، المطبعة التماونية بدمشق •
- (٥٧) تراجم اسلامية ، لمحمد عبدالله عنان ، الطبعة الثانية للخانجى
بالقاهرة •

- (٥٨) تفسير ابن كثير ، طبعة دار احياء الكتب المروية لميسى البابي الحلبي بمصر .
- (٥٩) تاريخ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر ، للمولى محمد المحبى ، مطبعة المصرية الوهسية .
- (٦٠) تاريخ علماء الأندلس ، لأبى الوليد عبدالله بن محمد بن الفرضى ، طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦ م .
- (٦١) تاريخ التمدن الاسلامى ، لجرجى زيدان ، مطابع دار الهلال .
- (٦٢) تاريخ المغرب فى القرن العشرين ، تأليف روم لاندوت ترجمة الدكتور نقولا زيادة ، نشر دار الثقافة بيروت لبنان .

حرف (الجيم)

- (٦٣) جذوة المقتبس فى ذكر ولاية الأندلس ، لأبى عبدالله محمد بن فتح الحميدى ، مكتبة نشر الثقافة الاسلامية لمؤسسة السيد عزت المطار الحسنى .
- (٦٤) جمهرة أنساب العرب ، لأبى محمد على بن حزم الأندلسى ، طبعة دار المعارف بمصر .
- (٦٥) جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبدالبر ، الطبعة الثانية بالقاهرة .
- (٦٦) نسخة أخرى من جذوة المقتبس للحميدى ، الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦ م . وقيدتها عند النقل منها : بالجديدة للفرق بينها وبين النسخة الأخرى من الجذوة .

حرف (الخاء)

- (٦٧) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال فى أسماء الرجال ، للإمام صفى الدين أحمد بن عبدالله الخزرجى الأنصارى ، الطبعة الثانية بيروت .

- (٦٨) خير الكلام فى القراءة خلف الامام ، للبخارى ، الطبعة الاولى بمطبعة
الامام بمصر • ((حرف الدال))
(٦٩) دولة الاسلام فى الأندلس عهد الفتنة الكبرى حتى نهاية عهد عبدالرحمن
الناصر ، لمحمد عبدالله عنان ، الطبعة الاولى بمصر •

حرف الـذال

- (٧٠) الذخيرة فى محاسن الجزيرة ، لأبى الحسن على بن بسام الشنترينسى
طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة •

حرف السين

- (٧١) سنن أبى داود ، الطبعة الاولى ، لمصطفى البابى الحلبي وأولاده
بمصر •
(٧٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة ، للالبانى ، منشورات المكتب الاسلامى
بدمشق •
(٧٣) سند بان سعاد والبحث العلمى ، بقلم فضيلة ^{الشيخ} اسماعيل محمد
الأنصارى ، طبع فى مطابع القصيم بالرياض •
(٧٤) سنن النسائى المسمى بالمجتبى ، للحافظ أبى عبدالرحمن بسن
شعيب النسائى ، مطبعة البابى الحلبي بمصر •

حرف (الشين)

- (٧٥) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لأبى الفلاح عبدالحمى
بن العماد الحنبلى ، طبعة المكتبة التجارية ببيروت لبنان •

- (٧٦) شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، لأحمد بن علي الشهير
بابسن حجر المسقلاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .
- (٧٧) شرح صحيح مسلم ، للنووي طبعة مصر .
- (٧٨) شرح الزرقاني على موطأ مالك ، مطبعة عبد الحميد أحمد خنقي
بمصر .
- (٧٩) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، تأليف محمد محمد مخلوف ،
طبع دار الكتاب العربي بيروت لبنان .
- (٨٠) شرح السنة ، للإمام الحافظ أبي محمد الحسين بن مسعود
الفراء البغوي ، المكتب الاسلامي ، تحقيق : زهير الشاويش
وشعيب الأرنؤوط ، طبع بأمر جلالة الملك فيصل رحمه الله .

حرف (الصاد)

- (٨١) صحيح البخاري ، لأحمد بن اسماعيل البخاري ، طبعة محمد علي
صبيح وأولاده بمصر .
- (٨٢) صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر
الأقطار ، للحميري ، مطبعة التأليف والترجمة بالقاهرة .

حرف (الميم)

- (٨٣) علوم الحديث ، للإمام أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن المقرئ
بابن الصلاح ، مطبعة الأصيل بحلب نشر محمد النمنكاني
بالمدينة المنورة .

حرف (الفاء)

- (٨٤) فجر الأندلس ، للدكتور حسين مؤنس ، الطبعة الأولى بالقاهرة .
- (٨٥) فتح المفتاح شرح ألفية الحديث ، كلاهما للحافظ زين الدين العراقي ، الطبعة الأولى بوكالة النخلة بجوار الأزهر .
- (٨٦) فهرسة الكتب العربية بالكتبخانة الخديوية المصرية ، لأحمد الميمني ، الطبعة الأولى بالثمانية سنة ١٣٠٧ هـ .
- (٨٧) فتح المفتاح شرح ألفية الحديث ، للمراقي ، تأليف محمد بن عبدالرحمن السخاوي ، الطبعة الثانية بمطبعة العاصمة شارع الفلكي بالقاهرة .
- (٨٨) فهرسة المخطوطات المصورة ، طبعة جامعة الدول العربية بمسهد المخطوطات العربية .
- (٨٩) فهرسة مخطوطات كتب الظاهرية التاريخ وملحقه ، ليوسف العشي .
- (٩٠) فغائل الأندلس وأهلها ، لابن حزم وابن سعيد والشقندي ، دار الكتاب الجديد ، الطبعة الأولى .
- (٩١) فهرسة ما رواه عن شيوخه ، الشيخ أبو بكر محمد بن خير الأموي الأشبيلي ، طبعة مؤسسة الخانجي بالقاهرة .
- (٩٢) قضاة قرطبة ، لـ محمد بن حارث الخشني ، طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة .

حرف (الكاف)

- (٩٣) كتاب الصلة ، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- (٩٤) كتاب طبع التثريب في شرح التقريب ، للمراقي عبد الرحيم بن الحسين نشر دار المعارف بسورية حلب .

- (٩٥) كتاب العبر في أخبار من غير ، للذهبي ، طبعة دار احياء الكتب
المرية ، لعيسى الحلبي وشركاه بمصر .
- (٩٦) كتاب شرف أصحاب الحديث ، للخطيب البغدادي ، طبعة
جمعية أهل الحديث بالباكستان الفري .
- (٩٧) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لمصطفى عبد الله
الشهير بحاجي خليفة ، منشورات مكتبة المثنى بغداد .
- (٩٨) كتاب الجرح والتعديل ، للحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن
أبي حاتم ، الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية
بميدان آباد الدكن الهند .

حرف الميم

- (٩٩) معجم البلدان ، لشهاب الدين أبي عبد الله يعقوب بن
عبد الله الحموي ، طبعة دار بيروت للطباعة والنشر .
- (١٠٠) مختار الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر السرازي ،
طبعة عيسى البابي الحلبي بمصر .
- (١٠١) موطأ مالك مع تنوير الحوالك ، للسيوطي ، طبعة عبد الحميد
احمد حنفي بمصر .
- (١٠٢) مجموعة الرسائل المنيرية المجلد الذي توجد فيه رسالة الانصاف
فيما بين العلماء من الخلاف في بسم الله الرحمن الرحيم ، لابن
عبد البر ، المطبعة المربية لخير الدين الزركلي بمصر .
- (١٠٣) معرفة علوم الحديث ، للحاكم أبي عبد الله ، طبعة المكتب
التجاري للطباعة والتوزيع والنشر بيروت .
- (١٠٤) مجمع الزوائد ، للنهيشي ، طبعة مكتبة القدس بالقاهرة .

- (١٠٥) مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام ، لمحمد عبدالله عنان ، الطبعة الرابعة بمؤسسة الخانجي بالقاهرة .
- (١٠٦) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث — الزمان ، لأبي محمد عبدالله بن أسعد اليافعي الكسي ، الطبعة الثانية بمؤسسة الأعلى بيروت لبنان .
- (١٠٧) مدنية العرب في الأندلس ، لجوزيف ماك كيب ، ترجمة فضيلة الدكتور الهلالي ، طبع بمطبعة العالي سنة ١٩٦٩ م .
- (١٠٨) مقدمة موطأ مالك بن أنس ، لمحمد علي السنوسي الخطابي ، مطابع دار الكتاب اللبناني بيروت .
- (١٠٩) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، تأليف عمر رضا كحالة ، مطبعة الترقى بدمشق .
- (١١٠) مقدمة تحفة الأخوذى ، للحافظ أبي العلى محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم الجباركفوري ، مطبعة الفجالة الجديدة ٣٨ شارع القويسني بالقاهرة .
- (١١١) مسائل الامام احمد بن حنبل رحمه الله ، تأليف أبي داود سليمان بن الأشعث صاحب السنن ، الطبعة الثانية ببيروت لبنان .

حرف (النون)

- (١١٢) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني ، الطبعة الأولى بالسمادة بمصر .
- (١١٣) نفع الطيب أيضا ، للمقرئ ، تحقيق الدكتور احسان عباس دار صادر للطباعة والنشر بيروت ، وقيدت هذه النسخة عند النقل منها باضافتها الى احسان عباس للفرق بينها وبين نسخة النفع الأخرى .

حرف (الواو)

- (١١٤) وفيات الأعيان ، لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ،
مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى .

(فهرس المخطوطات التي رجعت إليها في هذه الرسالة)

- (١١٥) مخطوطة من التمهيد لابن عبد البر وهي عبارة عن الجزء الثالث
موجود بمكتبة السعودية بالرياض الرقم العام ٥٦٩ والخاص
٨٦ .
- (١١٦) مخطوطة أخرى من التمهيد لابن عبد البر غير السابقة ، بمكتبة
الحرم المدني بالمدينة المنورة الرقم العام = ٢٧ والخاص ٢٣٢ .
- (١١٧) طبقات الشافعية ، لابن أبي شهبه مخطوطة بمكتبة عارف حكمة
بالمدينة المنورة حرف (ط) الرقم العام ١٣٤ والخاص ٩٠٠ .
- (١١٨) الروض الممطر في خبر الأقطار ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله
بن عبد المنعم الحميري بمكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة مخطوط
برقم ١١٠ والخاص ٩٠٠ .
- (١١٩) الضعفاء ، للمقبلي مصور بمكتبة الحرم المكي الشريف .
- (١٢٠) الكامل ، لابن عدي مصور بمكتبة الحرم المكي .
- (١٢١) الأنساب للسمرقاني أبي سعيد عبد الكريم بن محمد ، مصور بمكتبة
جامعة الملك عبد العزيز فرع مكة المكرمة .
- (١٢٢) رسالة مخطوطة ، لأحمد نابخت الاغلال المغربي ، موجودة لدى
بعض المفارمة بالمدينة المنورة .

فهرسة لمحتويات هذه الرسالة

الموضوع ————— الرقم

١	مقدمة هذا البحث
١٢	التمهيد :
١٣	١ — الحالة السياسية بالأندلس زمن ابن عبد البر
١٣	امارة عبدالرحمن الناصر
١٦	امارة الحكم المستنصر بن عبدالرحمن
١٩	امارة هشام المؤيد بن الحكم
٢٠	حجابه ابن أبي عامر
٢٦	حجابه عبدالملك بن أبي عامر
٢٧	حجابه عبدالرحمن بن أبي عامر
	ولاية هشام بن محمد
٢٩	ولاية سليمان بن الحكم المستعين
٣١	افتراق الجماعة بالأندلس
٣٤	٢ — الحالة العلمية زمن ابن عبد البر بالأندلس
٣٤	مدينة قرطبة
٣٦	مدينة اشبيلية
٣٧	مدينة طليطلة
٣٨	مدينة بلنسية
٣٩—٣٨	المذاهب الأربعة وغيرها تصل الى الأندلس
٤٣	ظهور أهل الحديث بالأندلس
٤٥	حنة بقي بن مخلد بالأندلس
٤٧	موقف الأمراء مع علمائهم بالأندلس
٤٩	شدة الصدام بين الفقهاء وأهل الحديث زمن الحافظ ابن عبد البر

الرقم	الموضوع
٥٥	الباب الأول
	التعريف بالحافظ ابن عبد البر
	وهو يشتمل على بحوث :
٥٧	المبحث الأول : قبيلته
٦٠	المبحث الثاني : بلده ومسكنه
٦٥	المبحث الثالث : والده
٦٧	المبحث الرابع : ميلاده وتاريخه
٧١	المبحث الخامس : نشأته
٧٢	المبحث السادس : طلبه للعلم مع الحرص الشديد على تحصيله
٧٧	المبحث السابع : حفظه
٨١	المبحث الثامن : رحلته
٨٤	المبحث التاسع : تقدمه على الأقران
٨٥	المبحث العاشر : طبiquه
٨٧	المبحث الحادي عشر : عقيدته
١٠٠	المبحث الثاني عشر : مذهبه
١٠٣	المبحث الثالث عشر : شيوخه
١٢١	المبحث الرابع عشر : تلاميذه
١٣٠	المبحث الخامس عشر : كتبه
١٣١	أ — وصف عام لمصنفاته
١٣٢	ب — المطبوع من كتبه ، والتعريف به تعريفًا موجزًا
١٤٧	ج — المخطوط من كتبه التي وصل إلى العلم بكانها
١٥٣	د — الذي لم يصل إلينا من كتبه ، ولم نسمع عنه
	شيئا الآن
١٥٧	المبحث السادس عشر : ثناء العلماء عليه
١٦١	المبحث السابع عشر : ما أخذ عليه
١٧٩	المبحث الثامن عشر : ذريته
	المبحث التاسع عشر : وفاته

الموضوع	الرقم
الباب الثانى	١٨٤
<u>ابن عبد البر محدثا وباحثا عن كل ما يتعلق بالحديث :</u>	
الفصل الأول : ابن عبد البر وعلوم الحديث	١٨٦
وفيه بحوث :	
المبحث الأول : المرسل عنده	١٨٧
" الثانى : المنقطع	١٩٠
" الثالث : التدليس	١٩١
" الرابع : المرفوع	١٩٣
" الخامس : الموقوف	١٩٤
" السادس : المتصل	١٩٥
" السابع : المسند	١٩٦
" الثامن : المعنعن	١٩٧
" التاسع : الموثق	١٩٨
" العاشر : باب المرفوع على العالم وقول	١٩٩
الطالب فى ذلك أخبرنا وحدثنا	
واختلافهم فى ذلك	
" الحادى عشر : المناولة	٢٠١
" الثانى عشر : الاجازة	٢٠٣
" الثالث عشر : رواية الحديث بالمعنى	٢٠٥
" الرابع عشر : كتابة الحديث منعا وباحة	٢٠٦
" الخامس عشر : زيادة الثقة	٢٠٧
" السادس عشر : خبر الأحاد	٢٠٩
" السابع عشر : كلامه على التحسين ، وجمعه	٢١٣
بين الصحة والتحسين أحيانا	
كالترمذى فى ذلك	

المبحث الثامن عشر : يطلق الحسن ويريد به حسن المعنى ٢١٤

لا الحسن المصطلح عليه

التاسع عشر : رأى الحافظ فى الأحاديث التى ٢١٥

ترد موقوفه وهى لا تدرك بالرأى

والأحاديث التى يقول فيها

الصحابى كانوا يؤمرون بكذا أو من

السنة كذا

المشرون : التحديق عند ابن عبدالبر ٢١٧

بيان الحديث الذى استدل ٢٢١

به الحافظ على عدالة الرواة

والكلام عليه

الفصل الثانى : ابن عبدالبر وعلم تاريخ رجال الحديث ٢٣٣

وما يتعلق به :

المبحث الأول : أمثلة يصح فيها الحافظ ابن ٢٣٤

عبدالبر أخطاء بعض من تقدمه

فى بعض الوقائع

المبحث الثانى : ابن عبدالبر وتصحيح كثير من الأحاديث ٢٤٣

المبحث الثالث : ابن عبدالبر يصف كثيرا من ٢٤٦

الأحاديث

الفصل الثالث من الباب الثانى : ابن عبدالبر ومنهجه فى فقه الحديث ٢٥٢

الفصل الرابع : بيان لبعض آراء الحافظ ابن عبدالبر فى فن ٢٦٢

الحديث واختياراته ، وفيه الأبحاث التالية :

المبحث الأول : رأيه فى وجوب الأخذ بالمعوم ٢٦٢

ولزوم السنة وتقديم النص على غيره

حتى يرد المخصص

الموضوع	الرقم
المبحث الثانى : فى رده للأحاديث الضعيفة	٢٦٤
المعارضة بالأقوى منها فى الأحكام	
المبحث الثالث : أن الضعيف يؤخذ به فى فضائل الأعمال	٢٦٥
المبحث الرابع : أن رواية الأكثر ، والجمهور مقدمة على غيرها	٢٦٦
المبحث الخامس : السنة اذا أطلقت انما يراد بها سنة النبى صلى الله عليه وسلم	٢٦٧
المبحث السادس : فى أن عمل الأمة بالحديث الضعيف يرفعه الى درجة الصحة بل قال : بأنه أقوى من مجرد الاسناد المنفرد	٢٦٨
المبحث السابع : فى تعليم السنن	٢٦٩
المبحث الثامن : ثناؤه على رجال الحديث ، وتنويه بهم	٢٧١
المبحث التاسع : انكاره لمقالة منكرو السنن ورده الشديد عليهم	٢٧٢
المبحث العاشر : تقديمه لعمال أهل مكة والمدينة على عمل غير أهلها	٢٧٣
المبحث الحادى عشر : فى المصير الى النسخ	٢٧٥
المبحث الثانى عشر : أن لا اجتهد الا للعالم ، وأنه لا يكون الا فى الأصول	٢٧٦
الخاتمة :	٢٧٧
قائمة المراجع :	٢٨٣